

الفتح المبين

الى المهدي من الحسين

عليهما السلام

الجزء الاول

الدكتور أحمد الصفار

حقوق الطبع و النشر محفوظة
مانشستر - بريطانيا
الطبعة الاولى 2019

يمنع نسخ او استعمال اي جزء من هذا الكتاب بأي وسيلة تصويرية او الكترونية بما فيه التسجيل الفوتوغرافي و التسجيل على أقراص مقروءة او اي وسيلة نشر اخرى دون إذن خطي من الناشر.

مَنْ لِحَقِّ بِي اسْتَشْهَد وَمَنْ لَمْ

يَلْحَقْ بِي لَمْ يَدْرِكِ الْفَتْحَ

الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام

قال تعالى:

{وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ}¹

قال الحسين عليه السلام:

أيها الناس! إن الله جل ذكره ما خلق العباد إلا ليعرفوه، فإذا عرفوه عبده، فإذا عبده استغنوا

بعبادته عن عبادة ما سواه. فقال له رجل: يا بن رسول الله بأبي أنت وامي فما معرفة الله؟

قال: معرفة أهل كل زمان إمامهم الذي يجب عليهم طاعته²

¹ الذاريات 56

² بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار، محمد باقر المجلسي (ت 1111 هـ) دار الإحياء، بيروت، 1983م، ج 5، ص 312

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

محتويات الكتاب

6	محتويات الكتاب
16	المقدمة
27	الفصل الأول: منارات الهدى ودورها
37	الفصل الثاني: الإمامة بين حركتين
39	أولاً: حركة الناس نحو الإمامة في غدیر خم
43	ثانياً: حركة الإمامة نحو الناس في واقعة الطف
52	الفصل الثالث: دور الحسين عليه السلام هو دور الأنبياء
56	الفصل الرابع: هل أقام علي عليه السلام دولته كما أراد؟
61	الفصل الخامس: معاوية.. التغيير الممنهج للمفاهيم الإسلامية
64	1: اختلاق الأحاديث
69	2: اختلاق الفرق الدينية ذات الأغراض السياسية باسم الإسلام
72	3: سياسة معاوية الفكرية
74	4: شراء ذمم الشعراء
76	5: أسلوب القتل والإرهاب والتشريد
77	6: الحكم الأموي ومبتدعاته السياسية
83	7: نظام الحكم الأموي انقلاب على نظام حكم الخليفة
91	8: تشويه السيرة المطهرة عن الرسول، وذمّ أمير المؤمنين عليه السلام
98	9: لماذا تراتبية أسماء الخلفاء الثلاثة في أحاديث الرسول؟
101	10: الخلاصة
103	الفصل السادس: هل كان لأهل الكوفة موقفان متناقضان مع الإمام الحسين ع؟
103	تمهيد
106	ردات الفعل بعد مقتل الحسين عليه السلام
106	1: ثورة التوابين

107	1: ثورة أهل المدينة
108	1: ثورة المختار الثقفي
109	الفصل السابع: نظرة اجتماعية للأممصار الإسلامية
115	1: نظرة اجتماعية للمجتمع الكوفي
114	أ: عبيد الله بن زياد
119	ب: ولاء المجتمع الكوفي
126	ت: المجتمع الكوفي
134	2: نظرة اجتماعية للأممصار الإسلامية الأخرى
134	أ: المجتمع المكي
138	ب: المجتمع اليمني
142	ت: المجتمع المدني
143	ث: المجتمع المصري
143	ج: المجتمع الخراساني والسجستاني
145	ح: المجتمع البصري
149	الخلاصة
152	الفصل الثامن: لماذا هذا التناقض في المواقف والانقلاب والغدر للمجتمع الكوفي كما تصوره الروايات؟
153	الكوفة مرة أخرى
158	1: لماذا دعا أهل الكوفة الإمام الحسين عليه السلام؟
159	2: لماذا تخلّى أهل الكوفة عن الحسين عليه السلام؟
168	3: فممن بدر هذا الانقلاب إذن؟
169	4: هل من تناقض في الموقف؟
172	5: كيف أشيعت فكرة تناقض موقف أهل الكوفة؟

178	6: الخارطة السياسية للمجتمع الكوفي
179	أ: طائفة علوية الهوى
182	ب: طائفة على عقيدة التبريع
182	ت: طائفة عثمانية الهوى
183	4: الطابور الخامس لمعاوية
185	7: هل كان الحسين عليه السلام على علم بما سيحدث له وكيف ذلك؟
185	أ: بأمر من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم
186	ب: مقتول في الطف
187	ت: مقتول على يد مسلم:
187	ث: مقتول في كربلاء
188	ج: أمر لا رجعة فيه
188	ح: شاء الله عز وجل أن يراني مقتولاً، ويرى حرمي مشردين، وأطفالي مذبحين
190	خ: علمه بأن ستقطع أوصاله
191	د: علمه بمن سيبقى بعده
193	8: قلّة الناصر
194	9: الاستنتاج
201	الفصل التاسع: شخصية الإمام الحسين عليه السلام وسماتها الروحية والقيادية والإصلاحية
203	1: الحسين عليه السلام: معين النبوة: نشأته وتربيته في البيت النبوي
205	2: الإعداد الروحي والأخلاقي للحسين عليه السلام
205	أ: مع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم

211	ب: مع أمه الزهراء عليها السلام
214	ت: مع أبيه علي بن أبي طالب عليه السلام
218	ث: مع أخيه الحسن المجتبي عليه السلام
219	3: علمه
222	4: سخاؤه وجوده وعطاؤه
231	5: الحسين عليه السلام عزيز النفس
238	6: عبادته وزهده
245	7: الإعداد السياسي والعسكري للحسين عليه السلام
252	أ: الحسين عليه السلام محاربا
255	ب: شجاعته
259	الفصل العاشر: نهضة الحسين عليه السلام..... القيام الأصغر
277	1: مقدمات النهضة
282	أ- سياسة الإرهاب والتجويد
283	ب- إحياء النزعة القبلية واستغلالها
282	ت- التحذير باسم الدين، وشلّ الروح الثورية
284	2: أسلوب النهضة
285	أ- جمع المعلومات وتحليلها
287	ب- الرصد والتجسس
289	ت- الدعوة والإعلام
290	3: التهيؤ للنهضة
290	أ- استعداد الأمة لتحمل دورها ومسؤوليتها
292	ب- شحذ همم القادة وتوجيههم
293	ت- السرية والكتمان

294	ث- المتابعة المستمرة والتوجيه بعد التخطيط
295	4: عناصر المنهج النهضوي عند الحسين عليه السلام
295	أ: شخصية القائد
297	1- الحوار بين الحسين عليه السلام والحر بن يزيد الرياحي
301	2- توبة الحر وميله للحسين عليه السلام
303	3- زهير بن القين العثماني الهوى مع الحسين عليه السلام
305	ب: الوعي والتبصر ووضوح الرؤية والهدف
307	1- اختياره للقادة الشجعان
309	2- الانفتاح على قاداته والعمل معهم كفريق واحد
312	ت: الاستعداد العالي للتضحية
312	ث: الانضباط التام
317	الفصل الحادي عشر: مميزات الشخصية الرسالية
318	أ- أنواع الرجال المحيطين بالحسين عليه السلام
318	1: المصلحيون
321	2: الهامشيون والاتكاليون
329	3: الرساليون:
331	ب- مميزات الشخصية الرسالية
330	1: التقاني في حب الله ورسوله
332	2: يؤثرون الآخرة على الدنيا
334	3: ثبات نفسه على طاعة رسول الله والقيادة الالهية
335	4: الولاء الكامل:
336	5: الارادة الايمانية العالية:
337	6: يكون على درجة من الأيمان:

339	7: الجرأة والشجاعة:
342	8: الوعي والبصيرة:
343	9: امتاز أكثرهم بمنزلة علمية جديرة بالاهتمام
345	10: الذوبان في قضيتهم وهدفهم:
346	11: القدوة والعبرة:
346	الخلاصة:
348	الفصل الثاني عشر: التقييم والتوصيف
355	1: الإعلام السلبي والتصدي له
367	2: شروط الخطاب الإعلامي الهادف
366	أ: تحديد الهدف من الخطاب الإعلامي
368	ب: تحديد الجمهور أو الفئة المستهدفة:
370	ت: تحديد لغة وأسلوب الخطاب المناسب حسب مستوى ثقافة الجمهور المخاطب
370	ث: أن يكون أسلوب الخطاب واضحا جليا:
370	ج: تحديد الوقت الذي ينبغي أن يسوق فيه الخطاب:
370	ح: مراعاة الآداب والأخلاق والذوق العام في لغة الخطاب:
371	الفصل الثالث عشر: الحسين عليه السلام وارث الأنبياء: الإعداد والقيادة
377	1: نُطق رأس الحسين عليه السلام لإقامة الحجة
383	2: الحسين عليه السلام وارث الأنبياء
381	أ- النبي موسى قائدا ومحاربته السامري، والحسين عليه السلام
	وريثه
387	1: القيادة المنحرفة كعجل السامري
388	2: معالجة موسى لانحراف السامري

390	ب- النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم يحارب الفساد
400	3: حسين مّني وأنا من حسين
406	الفصل الرابع عشر: خط الرسول والمسارين الحسيني والمهدي
407	1: هل من أسباب تمنع ارتباط الناس بالثورة المهدوية وهم يؤمنون بالثورة الحسينية؟
409	2: العلاقة بين خط الرسول والمسارين الحسيني والمهدي
414	3: المشتركات بين الدعوة المحمدية والدعوة الحسينية والدعوة المهدوية
416	الفصل الخامس عشر: لا بد من الثورة: فكل انحراف ضد السنّة الإلهية يتصدى لها قائد إلهي
422	الفصل السادس عشر: القيادة الربانية
424	1: طالوت القائد الإلهي
431	2: الحسين عليه السلام القائد الإلهي
431	3: مناظرة مع دور طالوت
438	4: ذو القرنين القائد الإلهي
440	أ: صفات ذي القرنين الشخصية
441	ب: صفات ذي القرنين الربانية
448	ت: المشتركات بين ذي القرنين والحسين عليهما السلام
454	الفصل السابع عشر: من الحسين الى المهدي عليهما السلام
455	1: المهدي من الحسين عليهما السلام
458	2: المهدي السر المستودع في الزهراء
460	3: لماذا الزهراء سيدة نساء العالمين؟
464	4: فاطمة الزهراء وحديث الكساء

475	والجواب
476	5: دور المهدي عليه السلام
478	أ: ديمومة الإمامة
483	ب: المهدي هو المكمل للنبوّة التبليغية
487	الفصل الثامن عشر: الفتح المبين الى المهدي من الحسين عليهما السلام
488	1: الحسين أنشأ دولة المهدي
494	2: ما بعد واقعة الطف
498	3: فترة الإعداد (فترة الانتظار)
477	أ: فترة الإعداد
523	ب: مميزات فترة الإعداد (فترة إعداد المنتظرين)
523	أولاً: حب الحسين عليه السلام
527	أ: معنى الحب وفلسفته
532	ب: العمل وفق منهجه واتباع سيرته
534	ثانياً: رعاية النهضة الحسينية
536	ثالثاً: التطبيق الحقيقي للنهضة الحسينية
537	أ: الاستعداد
539	ب: الوعي والبصيرة
547	4- الشعائر الحسينية: دورها وهدفها
547	أ: تعريف الشعيرة
549	ب: تعريف المنسك
550	ت: الشعيرة والمنسك
551	ث: دور الشعائر
552	ج: طبيعة الشعائر

554	1: الهدف من الشعائر
555	2: انعكاسات الشعائر الحسينية في حياة المؤمن والأمة
560	ح: زيارة الحسين المليونية
565	1: زيارة الأربعين والشعائر في الغرب والعالم
567	2: محاربة داعش وفتوى الجهاد الكفائي
571	خ: العمق الديني لزيارة الإمام الحسين عليه السلام
577	د: شعارات الحسين ع، ولماذا إحياء الشعائر الحسينية؟
585	5: الفتح المبين الى المهدي من الحسين عليهما السلام
594	فهرس الآيات: مرتبة حسب الحروف الأبجدية
613	المصادر
628	تعريف الباحث

المقدمة

المقدمة

واحدة من السنن الإلهية أنه لا بد من العودة الى الشريعة السمحاء إذا ما انحرف جمعٌ سكاني انحرافاً مخلاً بالقيم التي دعت لها الشرائع السماوية. وهذا القرآن الكريم يرسم لنا مسارات هذا النهج الرباني في بعث الأنبياء وتكليفهم بالرسالات والوحي ليهدوا الناس الى سبيل الرشاد. أما إذا لم يراعوا عن غيهم وتمردهم فهنا تتدخل القدرة الإلهية بالاقتصاص منهم إما على يد مغيرٍ أو مصلحٍ أو تتم بأمرٍ طبيعية يسلمها الله سبحانه وتعالى عليهم: {فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مُكْرِهِمْ أَنَا دَمَرْنَاَهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ}¹.

وبمراجعة دور الأنبياء عليهم السلام فإنهم كانوا يحاربون الظلم. وكلما استفحل وتغير الى ظلم نوعي يقننه ويشرعنه الطغاة الظلمة فإن السنة الإلهية تقتضي بإرجاع الأمور الى نصابها على يد الأنبياء والمصلحين: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ}².

1 النمل 51

2 النحل 36

إن تجارب الأنبياء عليهم السلام، والأديان عموماً في تكريس العدالة وحفظ الحقوق وصونها والذود عنها، كل ذلك أضفى للتجربة الإنسانية خبرة ومعرفة. فهذه التراكمات في التجارب الإنسانية فيما أبدعه العقل الإنساني إذا استرشدت بتجارب الأنبياء والأوصياء وتراث الأديان فإنها ستكون قادرة على إفراز نظم تشريعية وأنظمة اجتماعية وبناء كيانات سياسية مؤهلة لحفظ التوازنات الصعبة. وإن كل تجارب الأنبياء والأوصياء عليهم السلام وآخرهم علي بن أبي طالب عليه السلام قد ورثها الحسين عليه السلام الشاهد على أمته.

فكان الحسين عليه السلام لما رأى بداية انحراف الأمة عن الشريعة السمحاء بعدما أراد معاوية ويزيد أن يشرعاً لهذا الانحراف فمارسا الموبقات علانية وأمرؤا على الأمصار من كان مشهوراً بالفسوق ومنهم من كان يصلي الفجر وهو مخمور ويستهزأ بالمصلين. وكان شاهداً على ما يجري. فأصبح لزاماً عليه أن يتصدى لهذا الانحراف الشديد كما فعل الأنبياء عليهم السلام من قبل: **لَوِیَوْمَ نَبَعْتُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِمْ مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيداً عَلَىٰ هَؤُلَاءِ**¹.

إن الحسين عليه السلام غيّر مجرى التاريخ لأنه عليه السلام أعاد للناس الرؤية الصحيحة، ووضح الهدف. وأوجد بصيرة ثابتة لدى أجيال المسلمين والبشرية بافتراق نهج

السقيفة والنهج الأموي عَن النهج النبوي السماوي. على اعتبار أنَّ الخلافة السلطوية سلطنة قُدرة وتسلّط، ومسار الهداية الدينية مسار آخر، مسار البنا الروحي السليم والتوجه بكل عمل لله سبحانه وتعالى وكل عمل يشوبه ظلم يعتبر تجنّي واعتداء على الآخرين. وهذه البصيرة المسلّحة في العقول لم تكن لتتوجد ويستمر تواجدها لدى الأجيال لولا تضحية سبط الرسول الإمام الحسين عليه السلام.

لقد دقّ الحسين عليه السلام أسس دولة المهدي عليه السلام. نعم؛ فالنهضة الحسينية هي حلقة الوصل ضمن حركة التاريخ بين ما ورثه محمد صلى الله عليه وآله وسلم ممن سبقه من الأنبياء عليهم السلام وبين القائم الإمام المهدي محمد بن الحسن عجل الله تعالى فرجه الشريف لإقامة دولته المباركة القائمة على العدل والقسط. فنهضة الحسين عليه السلام هي دعوة بين دعوتين -المحمدية والمهدوية-. فالمنطلق واحد والأسس واحدة وهي في محاربة السنن الفاسدة القائمة على الظلم والجور والتي تحارب السنة الإلهية الشريفة.

ولذلك فالحسين عليه السلام هو الحلقة الواصلة بين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبين الحجة المهدي عليه السلام. فالمهديّ من الحسين عليهما السلام، والحسين من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولولا أصحاب الكساء لما أتيّبت القيادة الربانية لحفيد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم. إذ هُم علّة وجوده وهو ينتسب لهم بالدم حصراً. ففاطمة

ابنة الرسول وزوجها وصيّه وخليفته. وأن المهدي المنتظر يكون منهم كما جاء بالحديث: [لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا لَيْلَةٌ، لَمَلَكَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يُوَاطِيْ اسْمُهُ اسْمِي]1.

ولأنه عليه السلام بهذا الحجم من المسؤولية الربانية العظيمة فيكون لزاماً أن يكون ظاهر النسب ونقي المنشأ، فهو من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم نسبا بالدم واليه بامتداد دعوته لله سبحانه وتعالى. تماماً كما هو الحسين عليه السلام بالانتساب والدعوة. فالحسين عليه السلام سبط الرسول وهو جد المهدي عليه السلام، الذي قال فيه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم [حسين مني وأنا من حسين، أحب الله من أحب حسيناً، حسين سبط من الأسباط]2. هذه العلاقة بين الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والإمام هي شراكة بالدعوة مع الرسول، ومن عقائد الشيعة أن الأئمة الاثني عشر عليهم السلام هم شركاء لجدهم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في الدعوة، فهو المؤسس لها، والقيّم الأكبر عليها، وهم -من بعده- الأمناء القوامون على حفظها.

1 موارد الظمان إلى زوائد ابن حبان، الهيثمي (ت 807هـ)، دار الثقافة العربية، دمشق، 1990، ج 6، ص 129.

2 الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، ابن حبان، (ت 354هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1988، ج 15، ص 145.

إن دور الحسين عليه السلام هو دور الأنبياء في إصلاح ما فسد من شؤون الدين على أيدي الظلمة المفسدين، وفي إرشاد الأمة والأخذ بيدها لإراءتهم الطريق نحو الكمال وهدايتهم الى الصراط المستقيم وانتشالها من الجهل والتخلف. لقد واجه الحسين عليه السلام طاغية زمانه يزيد الذي عمق الشرخ الذي ورثه من أبيه معاوية في تشويه الشريعة الإسلامية وزاد في تغيير المسار الأخلاقي والاجتماعي والسياسي وذلك للعمل في توهين الشريعة وقديسية الدين عند الناس من جهة؛ وفي تشويه سيرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وذم وسب أهل البيت عليهم السلام وابتدع مدارس فكرية منحرفة من جهة أخرى، ولأجل ذلك اشترى ذم الرواة فحذفوا أحاديثا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تذكر منقبة لعلي عليه السلام وأهل البيت، وغيرها لتكون في معاوية وفي بني أمية، كما ووضع أحاديثا لم يقلها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم. واشترى ذم الشعراء.

فانقلب نظام الحكم الأموي على نظام الخليفة الذي سار عليه من سبقه -من الخلفاء الراشدين- وجعلها ملكية وراثية. وبذل الأموال فضلا عن قتل وتشريد وتهجير الناس لأجل اخذ البيعة له وسار على ذات النهج ولده يزيد. فانتفض الناس أمام هذا القهر والظلم. فاستدعى أهل الكوفة الإمام الحسين عليه السلام. وانقسم الناس على أنفسهم بين مؤيد وكاره للحسين عليه السلام. ولم يقف يزيد مكتوف اليدين فاستمات لياخذ البيعة من الحسين عليه السلام. لكن الحسين وعلى سيرة جده وأبيه وأخيه رفض الظلم وأراد أن يعيد العدل والحق الى نصابهما

فثار في وجه الظلم وكانت البداية لدولة العدل دولة المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف. وكان الفتح المبين الذي سيستلمه الحجة عليه السلام ليقوم العدل وتسد البشرية بعد محاربتة الظلم النوعي الذي اعتمده الجبابرة وسنّوه قوانيناً. فتجبروا وظلموا وطغوا فازداد الظلم الكمي انتشاراً وممارسة.

إن هذا السفر هو محاولة لدراسة أسباب خروج الحسين عليه السلام عن المألوف فيعلن معارضته العلنية وبوضوح ويسير مع عياله بين المنازل والقرى قاطعاً المسافات الشاسعة ويرسل بالمراسيل ويبعث بالرسل ويخطب ليعلم ويؤكد رفضه للظلم والفساد وتحريف السنة النبوية. بينما بالمقابل نرى أن عبد الله بن الزبير المطلوب أن يبائع يزيد كما الحسين عليه السلام قد اكتفى بالتحصن في مكة عند البيت الحرام. ثم لماذا اختار الحسين عليه السلام الذهاب للكوفة، وهل حقيقة أن أهل الكوفة خذلوه وخذعوه؟ وإلا، فمن اشاع فكرة هذا التناقض في تصرف المجتمع الكوفي تجاه الحسين عليه السلام؟ يتطلب ذلك دراسة اجتماعية للمجتمع الكوفي. وخضضناها، ثم استعرضنا الخارطة السياسية للمجتمع الكوفي.

ولا بد لنا أن نستعرض السمات الروحية والأخلاقية والقيادية للإمام الحسين عليه السلام. ونستعرض نشأته في بيت النبوة وبيت أبويه. لقد أعد الحسين عليه السلام روحياً وأخلاقياً وعسكرياً فكان القيام الأصغر المتمثل بنهضته على الظلم الذي تمثل بيزيد ونظامه.

ولذلك، درسنا مقدمات النهضة وأسلوبها. وتطرقنا لأسلوب التوصيف الذي يروم الى تبرئة الجاني واتهام الضحية وهكذا كان الاعلام الأموي السلبي مساعدا لآلة البطش والقهر التي اعتمدها في تسلطه على الشعوب الإسلامية. وقد عرّجنا لدراسة الإعلام الأموي وكيف استخدمه للترويج لنظامه السياسي.

إن الحسين عليه السلام قد ورث الأنبياء علما وعملا وأسلوبا ومنهجاً، وكيف أنهم جابهوا الظلم وانتصروا عليه وأخذنا مثاليين: وهما تصرف النبي موسى عليه السلام مع السامري وانحرافه، وكيف تصدى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لمحاربة الكفر والفساد. وتساءلنا: هل من أسباب تمنع ارتباط الناس بالثورة المهدوية وهم يؤمنون بالثورة الحسينية؟ ثم ماهي العلاقة بين خط الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والمسارين الحسيني والمهدي؟ فنحتاج إذن الى استعراض المشتركات بين المسارات الثلاثة.

ومن المعلوم (من المنطوق القرآني والسيرة الشريفة)، أن لكل انحراف يسعى الى محاربة السنن الإلهية أن يتصدى له مصلح إلهي وقائد رباني. فاستعرضنا هنا نهضة القائد الإلهي طالوت -كمثال- وقارناها بقيادة الحسين عليه السلام الإلهية، فدرسنا ميزات الشخصية الرسالية.

إن نهضة الحسين عليه السلام هي من مقدمات ثورة المهدي عليه السلام. ولاستبيانها درسنا حديث الكساء وحديث الثقلين وما هو السر المستودع عند الزهراء عليها السلام. ويتطلب

كل ذلك أن نربط تلك المعلومات بعضها ببعض وقد يكون المدخل لها إذا عرفنا لماذا الزهراء عليها السلام سيدة نساء العالمين. فاستنتجنا أن الحسين عليه السلام هو منشئ دولة الحجة عليه السلام.

وبنهضته كان الفتح المبين وهو ذات الفتح للمهدي عجل الله فرجه الشريف وسيكون القيام الأكبر إن شاء الله. ومن هنا جاءت تسمية الكتاب هذا بـ (الفتح المبين الى المهدي من الحسين عليهما السلام).

ولا بد لنا أن نقول: لا يمكن أن يكون كل ما كتبناه من بيان أهداف أو قراءة أو استنتاج آية أو حديث أو رواية إلا من باب الاحتمال ولا نجزم أننا عرفنا الحقيقة، بل هي مجرد عرض استقرارات. فالحقيقة المطلقة عند الله سبحانه وتعالى، والله العالم.

فإن كان ما بين دفتي هذا الكتاب صحيحا فهو من القرآن والسنة المطهرة، وما كان فيه خطأ وزلل فهو مني، وأستغفر الله لي ولمن قرأه، فما كان ذلك عن عمد، وإنما قصور في الفهم نسأل الله أن يوسع مداركنا وأفهامنا.

وأخيرا لا يفوتني أن أشكر أخي السيد الدكتور واثق اليعقوبي لمراجعته الكتاب واسدائه النصائح. والشكر لزوجتي وأولادي لتحملهم انعزالي عنهم في فترة الكتابة التي كانت سياحة بعيدة بين الكتب طمعا في عرض الفكرة بطريقة واضحة ومعضدة بالمصادر.

وإني لا أعلم في الدنيا كاتباً سلم مؤلفه ولم يتعقبه بالتتبع من يليه، ويرى فيه أغلاطاً ما خلا كتاب الله، والذي بين أيديكم لا يسلم حتماً منها فإني أعتذر لله واليكم.

يا سيدي يا أبا عبد الله: " أشهد أنك بلغت عن الله ونصحت ووفيت وأوفيت، وجاهدت في سبيل ربك، ومضيت للذي كنت عليه شهيداً ومستشهداً وشاهداً ومشهوداً، أنا عبد الله ومولاك وفي طاعتك، والوفاد إليك، ألتمس بذلك كمال المنزلة عند الله عز وجل، وثبات القدم في الهجرة إليك، والسبيل الذي لا يختلج دونك من الدخول في كفالتك التي أمرت بها، من أراد الله بدأ بكم، من أراد الله بدأ بكم، من أراد الله بدأ بكم (من أراد معرفة الله)، بكم يبين الله الكذب، وبكم يباعد الله الزمان الكلب (الشديد) وبكم يفتح الله وبكم يختم الله، وبكم يمحو الله ما يشاء، وبكم يثبت وبكم يفك الذل من رقابنا، وبكم يدرك الله ترة كل مؤمن ومؤمنة تطلب، وبكم تنبت الأرض أشجارها، وبكم تخرج الأشجار أثمارها، وبكم تنزل السماء قطرها، وبكم يكشف الله الكرب، وبكم ينزل الله الغيث، وبكم تسبح الأرض التي تحمل أبدانكم لعنت أمة قتلتكم، وأمة خالفتكم، وأمة جحدت ولايتكم، وأمة ظاهرت عليكم، وأمة شهدت ولم تنصركم.

الحمد لله الذي جعل النار مأواهم وبئس ورد الواردين، وبئس الورد المورود، والحمد لله رب العالمين.¹

اللهم تقبل منّا هذا القليل، خالصاً لوجهك الكريم، واجعلنا اللهم من محيي تراث مدرسة أهل البيت عليهم السلام، واجعلنا نعم خلف لأولئك الماضين من علمائنا العظماء الذين كانوا - وبحقّ - نعم سلف لنا، ملتزمين بذلك القربة إليك وحسن الثواب، إنّه وليّ النعم، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

أحمد الصفار

9/محرم الحرام/1440

2018/09/19

1 كتاب من لا يحضره الفقيه، أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، الشيخ الصدوق (ت 381 هـ)، جماعة المدرّسين في الحوزة العلمية، قم. ج 2، ص 596

الفصل الأول

منارات الهدى ودورها

الفصل الأول

منارات الهدى ودورها

لقد اقتضت الحكمة الربانية بأن يهدي سبحانه وتعالى الناس الى سواء السبيل ويجعل لهم منارات مضيئة يهتدوا بهديها ويقفوا بها ويتبعوها على مر العصور. فكان إبراهيم عليه السلام مثالا لذلك في قومه: {قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ} ¹، ويكرر القرآن الكريم التأكيد على اتباع القيادة الحسنة مرة أخرى وهنا يجعلها في جمع من المؤمنين: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ} ². وجعل الله سبحانه وتعالى من رسول الله محمدا صلى الله عليه وآله وسلم الأسوة العظيمة للاقتداء في كل مناحي الحياة فبه ختمت الرسالات: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا} ³، وخُفَّ هذا الاقتداء بثلاث ركائز مهمة لمن يريد النجاة والسلامة ويتحقق معه الاتباع الصحيح، وهي: الثقة بالله، والإيمان

1 الممتحنة 4

2 الممتحنة 6

3 الأحزاب 21

بالمعاد، وأنهم يذكرون الله كثيراً. و "إن الإيمان بالمبدأ والمعاد هو سبب وباعث هذه الحركة في الحقيقة، وذكر الله يعمل على استمراره، إذ لا شك أن من لم يمتلئ قلبه بهكذا إيمان لا يقدر أن يضع قدمه موضع قدم النبي، وإذا لم يدم ذكر الله ويعمر قلبه به أثناء استمراره في هذا الطريق، ويبعد الشياطين عنه، فسوف لا يكون قادراً على إدامة التأسى والاقتداء"¹.

فإذا كان المقتدي يتحلى بهذه الصفات فما بال المقتدى به! لقد اصطفى الله سبحانه وتعالى تلك الأسي الحسنات اصطفاء من بين الناس لما يتمثلون به من طاعة لله سبحانه وتعالى: {إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ}². فوصفهم بأحسن الوصف فقال في إبراهيم عليه السلام: {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ}³، و{إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا}⁴، فقد كان لائقاً مصيباً للواقع بتفكير فطري فكان راشداً: {وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ}⁵، ووفى بما أمره الله سبحانه وتعالى: {وَأَبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى}⁶. ومريم بنت عمران التي اصطفاه وطهرها من الرجس من بين نساء العالمين وقدمها عليهن لما لها من المنزلة والكرامة

1 الامثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي، دار الولاية، ج13، ص 198

2 آل عمران 33

3 هود 75

4 مريم 41

5 الأنبياء 51

6 النجم 37

عند الله سبحانه وتعالى: {يَمْرِيْمُ إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَأَصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ}¹.
فإن "اصطفائها يعني تقبلها لعبادة الله، وتطهيرها هو اعتصامها بعصمة الله، فهي إذن مصطفاة
معصومة"². وكان قبلها موسى عليه السلام لما تميّز به من شخصية قيادية وعبادية فقد اختاره
الله: {وَأَنَا أَخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ}³. لقد ربّاه الله سبحانه وتعالى واختبره في الحوادث الصعبة
ومشاقّها، ومنحه القوة والقدرة، فأهله من جميع الجوانب، وكان موسى تحت عناية الله سبحانه
وتعالى: {وَأَصْطَفَيْنَاكَ لِنَفْسِي}⁴

وإصطفى محمدا صلى الله عليه وآله الذي جمع كل الصفات التي اتصف بها
المصطفون من قبله وزاد عليها سبحانه وتعالى صفة الرحمة فكان هو الرحمة المرسله للبشرية
جمعاء: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ} (*) قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ
مُؤْمِنُونَ (*) فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ ءَاذَنْتُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ وَإِنْ أُذِرِي أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ⁵، "وكانت

1 آل عمران 42

2 الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي (ت 1401 هـ)، ج 3، ص 188

3 طه 13

4 طه 41

5 الأنبياء 107-109

الآيات السابقة قد بشرت العباد الصالحين بورثة الأرض وحكمها، ومثل هذه الحكومة أساس الرحمة لكل البشر¹.

وأختار محمدا صلى الله عليه وآله وسلم: لَوَادُ قَالَ عَيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ بَيْنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ².
لقد أرسله الله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون من أهل الكتاب لتختتم به الرسالات. و "إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى مِنْ وَلَدِ آدَمَ إِبْرَاهِيمَ وَاتَّخَذَهُ خَلِيلًا؛ وَاصْطَفَى مِنْ وَلَدِ إِبْرَاهِيمَ إِسْمَاعِيلَ؛ ثُمَّ اصْطَفَى مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ نَزَارَ؛ ثُمَّ اصْطَفَى مِنْ وَلَدِ نَزَارَ مَضَرَ؛ ثُمَّ اصْطَفَى مِنْ مَضَرَ كِنَانَةَ؛ ثُمَّ اصْطَفَى مِنْ كِنَانَةَ قَرِيشًا؛ ثُمَّ اصْطَفَى مِنْ قَرِيشَ بَنِي هَاشِمٍ؛ ثُمَّ اصْطَفَى مِنْ بَنِي هَاشِمٍ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؛ ثُمَّ اصْطَفَانِي مِنْ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ"³.

فأصحاب الرسالات مبعوثون من قبل الله لهداية الناس، ولذا نراهم متّصفين بأوصاف تتناسب ودورهم هذا. هم الأئمة وهم الهداة وهم القادة في سبيل الحق. ولا بد من هادٍ في كل أمة. لقد جرت سنة الله في عباده أن يبعث في كل قوم هادياً يهديهم، وأن الأرض لا تخلو

1 الامثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي، دار الولاية، ج10، ص 264

2 الصف 6

3 تفسير القرآن العظيم، (تفسير ابن كثير)، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (ت 774 هـ)، دار المعرفة، بيروت، ج2 ص 520

من هادٍ يهدي الناس إلى الحق إما نبي منذر وإما هاد غيره يهدي بأمر الله: {إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ}¹. يدعوهم الى سبيل الحق ويريهم الطريق الى الله سبحانه وتعالى.

وقد روي عن ابن عباس أنه قال: لما نزلت هذه الآية: {إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ} قال: وضع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يده على صدره وقال: [أنا المنذر ولكل قوم هاد، وأوماً بيده إلى منكب علي فقال: أنت الهادي يا علي بك يهتدي المهتدون من بعدي]². ولكنه كعادة ابن كثير الذي روى هذا الحديث فقد نكّره. فكان الإمام علي عليه السلام الهادي لأمته بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكان كما قال صلى الله عليه وآله وسلم: [إن خليلي ووزيرِي، وخليفتي وخير من أترك بعدي، يقضي ديني، وينجز مواعيدي علي بن أبي طالب]³.

1 الرد 7

2 مناقب علي بن أبي طالب وما نزل من القرآن في علي، أبي بكر أحمد بن موسى ابن مردويه الإصفهاني (ت 410)، دار الحديث، قم، 1422هـ، ص 266

3 مناقب علي بن أبي طالب وما نزل من القرآن في علي، أبي بكر أحمد بن موسى ابن مردويه الإصفهاني (ت 410)، دار الحديث، قم، 1422هـ، ص 102

ثم استمرت الإمامة بعد الإمام علي عليه السلام في أهل بيته، كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: [أنا المُنذرُ، وعليُّ الهادي، وكلُّ إمامٍ هادٍ للقرنِ الَّذي هُوَ فيه]¹ فلا بد من مخلصين يقفون بوجه الظالمين والمفسدين، ليصلحوا ما أُفسد في الأرض، و"صحيح أن سنة الله تعالى في هذه الدنيا تقوم على أصل الحرية والإرادة والاختيار وأن الإنسان حر في اختيار طريق الخير أو الشر، ولكن عندما يتعرض العالم إلى الفساد والاندثار بسبب طغيان الطواغيت، فإن الله تعالى يبعث من عباده المخلصين من يقف أمام هذا الطغيان ويكسر شوكتهم، وهذه من ألطاف الله تعالى على عباده"².

وتستمر الإمامة لا انقطاع لها الى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فيقول الباقر عليه السلام: [رَسُولُ اللَّهِ الْمُنْذِرُ، وَعَلِيٌّ الْهَادِي، أَمَا وَاللَّهِ مَا ذَهَبَ مِنَّا وَمَا زَالَتْ فِينَا إِلَى السَّاعَةِ]³. فكانت الإمامة متمثلة بالأئمة الأطهار الذين باشروا إمامتهم التي استمرت لثلاثة قرون حتى الإمام الحسن العسكري ثم انتقلت الى الإمام المهدي عليهما السلام، والى أن يشاء الله {لِيُظْهِرَهُ

1 نبي الرحمة من منظار القرآن واهل البيت، محمد الري شهري، دار الحديث للطباعة والنشر، 1427هـ، ج1، ص 76

2 الامثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي، دار الولاية، ج2، ص 229

3 نبي الرحمة من منظار القرآن واهل البيت، محمد الري شهري، دار الحديث للطباعة والنشر، 1427هـ، ج1، ص 77

عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً¹، فهو "الإمام الذي يظهره الله على الدين كله فيملاً الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً"² الذي اقتضت الحكمة الإلهية من تغييبه عن الأنظار وليس غائبا بدوره وإمامته؛ فالإمامة قائمة الى قيام الساعة، وهذا ما يؤكد حديث الثقلين المتواتر والقطعي الصدور أيضا: [إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمُ الثَّقَلَيْنِ، مَا إِن تَمَسَّكْتُم بِهِمَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدِي، وَأَحَدُهُمَا أَكْبَرُ مِنَ الْآخَرِ: كِتَابُ اللَّهِ حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ، وَعِزَّتِي أَهْلُ بَيْتِي، أَلَا وَإِنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ]³.

لقد جعل الله للبشرية قائدا لإنقاذ وهداية البشر في كل عصر وزمان، حيث تقتضي حكمته ألا تطبق السعادة إلا مع وجود ضامن تنفيذي لها ليقوم العدل. والمهم أن تتعرف المجتمعات على قيادتها وأن لا يقعوا في شباك القادة الضالين والفاستدين، حيث تكون النجاة من مخالبتهم أمرا صعبا للغاية.

1 الفتح 28

2 تفسير القمي، أبو علي بن إبراهيم القمي (القرن الثالث)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ج2، ص 317

3 بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار، محمد باقر المجلسي (ت 1111 هـ) دار الإحياء، بيروت، 1983م، ج 23، ص 106

وهذه هي فلسفة عقيدة الشيعة بضرورة وجود إمام معصوم في كل زمان، كما يقول الإمام علي عليه السلام: [اللهم بلى لا تخلوا الأرض من قائم لله بحجة، إما ظاهراً مشهوراً وإما خائفاً مغموراً، لئلا تبطل حجج الله وبيئاته]¹.

واقترضى التكليف الإلهي لأئمة أهل البيت عليهم السلام في المحافظة على سنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في المجتمع من الضياع والتحريف، ومواجهة الضلال والفتن التي يُخشى منها على الإسلام، وبالتالي مواصلة الهداية الخاصة، والشهادة والحجة على الناس التي أسسها النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

"أن لله سبحانه في كل زمان عبداً أو عبادةً موكلين بالهداية الإلهية والطريقة المستقيمة التي يتضمنها ما آتاه أنبياءه من الكتاب والحكم والنبوة يحفظ الله بهم دينه عن الزوال وهدايته عن الانقراض، ولا سبيل للشرك والظلم إليهم لاعتصامهم بعصمة إلهية وهم أهل العصمة من الأنبياء الكرام وأوصيائهم عليهم السلام. فالآية التالية: {فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيَسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ} (*) أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبْهَتَاهُمْ أَقْتَدِهِ² خاصة بأهل العصمة وقصارى

1 شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، دار الكتب العلمية، بيروت، كلمة الحكمة 147

2 الأنعام 89-90

ما يمكن أن يتوسع به أن يلحق بهم الصالحون من المؤمنين ممن اعتصم بعصمة التقوى
والصلاح ومحض الإيمان عن الشرك والظلم، وخرج بذلك عن ولاية الشيطان"¹.

1 الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي (ت 1401 هـ)، ج 7، ص 259

الفصل الثاني

الإمامة بين حركتين

الفصل الثاني الإمامة بين حركتين

حركة الناس الى الإمامة في غدير خم، وحركة الإمامة الى الناس في الطف

الإمامة هي الزعامة والحكومة والرئاسة في الدين والدنيا، الثابتة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، والأئمة عليهم السلام من بعده. وتتمثل الحركتان في نهايتهما العظميين، وهما تحرك الناس نحو الإمامة، وتحرك الإمامة نحو الناس وما بينهما ممازجة دؤوبة وحياتية يومية للحركتين ولهما شواهدهما التاريخية والعقائدية.

وتتمثل الحركة الأولى بغدير خم حيث الناس تحركوا مبايعين الإمام علي عليه السلام، وبها انطلقت الإمامة شرعية بين الناس، لقد عقدها الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم بأمر إلهي، وواقعة الطف حيث حركة الحسين عليه السلام من المدينة الى كربلاء مرورا بمكة المكرمة الى الناس تمثل الحركة الثانية. وبينهما كانت حركية الإمامة الدؤوبة. ولاستيضاح هذه الفكرة نقول:

أولاً: حركة الناس نحو الإمامة في غدیر خم:

وكانت أن طلب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان يبايعوا عليا عليه السلام بأمر إلهي: {يَأْيُهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ} ¹. فشبك يده الشريفه بيد علي عليه السلام ورفعها عاليا نحو السماء ليشهد الناس. فتحرّكت الجموع البشرية لمبايعته ومباركته، إذ لم يطرح النبي صلى الله عليه وآله وسلم قضية الإمامة في يوم الغدير وبعده بصورة توجيهات ونصائح، ولا يريد ان يثبت لهم أن عليا عليه السلام حميمه وصديقه وأخوه وغير ذلك إذ ان ذلك لا يستقيم وسيناريو الاجتماع والدعوة له بعدما تفرّق الحجاج خارج مكة المكرمة قافلين الى ديارهم في ذلك القبط. بل كان ذلك حكما إلهيا وأمرنا نبويا يجب تنفيذه وتبليغه، ولذلك اقترن إعلانها بأخذ البيعة لعلي عليه السلام من جميع المسلمين. ورافق إعلان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لإمامة علي عليه السلام ذلك الوعد الإلهي بعصمته وحفظه من كيد الأعداء المعترضين: {وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ} ²، وكما هو متوقع؛ بأن يكتب التاريخ موافقا لمن لا يرتضي لنفسه تلك البيعة وتتعارض ومصالحه، فنال تلك الحادثة الشهيرة ما نالها من تشويه وتسطيح كبيرين. ونذكر

1 المائدة 67

2 المائدة 67

بعضاً منها بشكل مختصر من عدم نقل حديث غدير خم أما مبتوراً ناقصاً وأما لم يذكر، ومن

الشواهد على ذلك ما يلي:

• ما رواه أحمد بن حنبل حديثاً ناقصاً: "حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، عن أبي حيان التيمي،

حدثني يزيد بن حيان التيمي، قال انطلقت أنا وحصين بن سبرة، وعمر بن مسلم، إلى

زيد بن أرقم فلما جلسنا إليه قال له حصين لقد لقيت يا زيد خيراً كثيراً رأيت رسول الله

صلى الله عليه [وآله] وسلم وسمعت حديثه وغزوت معه وصليت معه لقد رأيت يا زيد

خيراً كثيراً حدثنا يا زيد ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم فقال يا ابن

أخي والله لقد كبرت سني وقدم عهدي ونسيت بعض الذي كنت أعني من رسول الله

صلى الله عليه [وآله] وسلم فما حدثتكم فاقبلوه وما لا فلا تكلفونيهِ ثم قال قام رسول الله

صلى الله عليه [وآله] وسلم يوماً خطيباً فينا بماء يدعى خماً بين مكة والمدينة فحمد الله

تعالى وأثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال أما بعد ألا يا أيها الناس إنما أنا بشر يوشك أن

يأتيني رسول ربي عز وجل فأجيب وإني تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله عز وجل

فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله تعالى واستمسكوا به فحث على كتاب الله ورغب فيه

قال وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل

بيتي فقال له حصين ومن أهل بيته يا زيد أليس نساءه من أهل بيته قال إن نساءه من

أهل بيته ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده قال ومن هم قال هم آل علي وآل عقيل

وآل جعفر وآل عباس قال أكل هؤلاء حرم الصدقة قال نعم.¹

• ويعود سبب بتر الحديث لخوف الراوي مما يستدعي سكوتهم خوفا على أنفسهم: "حدثنا

ابن نمير، حدثنا عبد الملك يعني ابن أبي سليمان، عن عطية العوفي، قال سألت زيد

بن أرقم فقلت له إن خنتا لي حدثني عنك، بحديث في شأن علي رضي الله تعالى عنه

يوم غدير خم فأنا أحب أن أسمعه منك فقال إنكم معشر أهل العراق فيكم ما فيكم فقلت

له ليس عليك مني بأس فقال نعم كنا بالجحفة فخرج رسول الله صلى الله عليه [وآله]

وسلم إلينا ظهرا وهو آخذ بعضد علي رضي الله تعالى عنه فقال يا أيها الناس أستم

تعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم قالوا بلى قال فمن كنت مولاه فعلي مولاه قال

فقلت له هل قال اللهم وال من والاه وعاد من عاداه قال إنما أخبرك كما سمعت.²

1 المسند، للإمام أحمد بن محمد بن حنبل (ت 241 هـ)، دار الحديث، 1995، ج 14، ص 424، ح

19162

2 المسند، للإمام أحمد بن محمد بن حنبل (ت 241 هـ)، دار الحديث، القاهرة، 1995، ج 14، ص

430، ح 19175

ولكن ومع التشويه في الروايات وتأويلها فقد رَشَحَ منها بعض الروايات في كتب الحديث والتفسير تثبت حقيقة الأمر وسأخذ نماذج منها.

- ومنها ما جاء في روح المعاني للألوسي في تفسير آية التبليغ فيقول: "عن ابن عباس، قال: نزلت هذه الآية في علي كرم الله تعالى وجهه حيث أمر سبحانه أن يخبر الناس بولايته فتخوّف رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] وسلّم أن يقولوا حابي ابن عمه وأن يطعنوا في ذلك عليه، فأوحى الله تعالى إليه هذه الآية فقام بولايته يوم غدیر خم، وأخذ بيده فقال عليه الصلاة والسلام: من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه"¹.

- وكذلك ما جاء في التفسير الكبير لفخر الدين الرازي: فقد ذكر من جملة الوجوه الواردة في سبب نزول آية: {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ} وأنها نزلت في الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، قال: "نزلت الآية في فضل علي بن أبي طالب عليه السلام، ولما نزلت هذه الآية أخذ بيده وقال: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من

1 روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، (تفسير الألوسي)، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت 1270هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415 هـ، ج 3، ص 359

والاه وعاد من عاداه، فلقية عمر فقال: هنيئاً لك يا ابن أبي طالب، أصبحت مولاي

ومولى كل مؤمن ومؤمنة"¹. وغيرها كثير لا مجال لحصره هنا.

فالمسلمون تحركوا لمبايعة الإمام تنفيذا للأمر الإلهي، وفي حركتهم هذه شرّعت العلاقة

بين الإمام والناس.

ثانياً: حركة الإمامة نحو الناس في واقعة الطف:

لقد بُعث الأنبياء عليهم السلام لإنقاذ المجتمعات البشرية وتعليمهم وحملهم على القسط

في تعاملاتهم. وهذا هدف كبير لا يتحقق إلا بالمكنة والقدرة. فإذا ظهر نبي ودعا الى الله

والى الصالحات ونبذ الموبقات ليعيشوا السعادة ويتمتعوا بالقسط والعدل، وكان هناك متجبر

طاغوت يدعو الناس الى الانحلال في العقيدة والفساد في العمل ويحكمهم بالظلم والجور،

وكانت القدرة بيده ومقاليد الحكم مسخرة لأمره فيعيب بالمجتمع ويخفق الأصوات الداعية الى

الله والعاملة بالشريعة الإلهية، وكان يجبر الناس على التحلل الأخلاقي. فلمن تكون الغلبة؟

أتكون الغلبة والنجاح للنبي الذي لا يمتلك القدرة العسكرية والبشرية أم للطاغوت الحاكم

1 مفاتيح الغيب، التفسير الكبير، فخر الدين الرازي، (ت 604هـ)، دار الحديث، القاهرة، ج12، ص 50

والمسخرة بين يديه مقاليد الحكم والقهر؟ فعلى هذا لا يمكن لأي مصلح يدعو الناس الى الصلاح ويؤمن بدعوته أن يكتفي بالإنذار والوعظ المجرد، وأن يهمل جانب التنفيذ والتطبيق. وأن يترك النظم المستبدة بيد الآخرين يعبثون بالقيم كلها. لأن ذلك وبساطة سينتهي الى إبادة تلك الدعوة ومحو آثارها، ولنا في قصة أصحاب الأخدود عبرة. إذ أجهز الطاغوت على ثلثة من المؤمنين فأنهاهم عن بكرة أبيهم حرقا ليقضي عليهم ماديا ومعنويا وليكونوا عبرة لغيرهم. ولأجل الثبات على الإيمان فقد تحمل أصحاب الأخدود الحرق في النار وأشد من ذلك على أن يتركوا طريق الحق أو العدول عن الدين: {قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ (*) النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ (*) إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ (*) وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ}1.

وأن ما جرى للحسين عليه السلام وأصحابه في ميدان التضحية والفداء في كربلاء، وكيف أنهم قد تسابقوا على شرف نيل وسام الشهادة، كما هو معروف في التاريخ، فهو مثال صارخ للوقوف بوجه التسلط والقهر وتنفيذا لأمر الله سبحانه في تطبيق الشريعة السمحاء، ويقف بوجه الظالم صارخا ليقول له لا. فإنه مهما تجاسرت وتناولت وحاولت أن تنهي أو تقضي على الشرعة السماوية فلا يمكنك بلوغ ذلك ولسان حاله ما قالت العقيلة زينب عليها

السلام ليزيد: "كَيْدُ كَيْدِكَ وَاسِعٌ سَعْيِكَ وَنَاصِبٌ جُهْدِكَ فَوَ اللَّهُ لَا تَمْحُو ذِكْرَنَا وَلَا تُمِيتُ وَحْيَنَا وَلَا

تُذْرِكُ أَمَدَنَا"¹

ولأجل كل ذلك قام الأنبياء والمصلحون يكافحون الأنظمة الفاسدة المتجبرة، ويدعون الناس الى إدانة عملهم واللجوء الى الله سبحانه والعودة الى القيم السماوية لتأسيس حكومة الله على الأرض، ليتسنى لرسالة الله من تطبيق في تحقيق كمال الإنسان وسعادته في الدنيا والآخرة. ولكن ظل هذا الصراع بين الخير والشر قائما الى يوم القيامة.

وأن الإهمال أو الانحراف في الرئاسة وحكومة الناس نحو الشر في المجتمعات البشرية سيؤديان الى هدم القيم الإلهية التي شرعها سبحانه وتعالى وذهاب الحق والعدل. ويؤديان الى ضمور الحق والعدل وزوالهما فيما بعد. وجعل الله سبحانه وتعالى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أداة للإصلاح والتنبيه المستمر من عدم الابتعاد عن الجادة الصحيحة. وهذا يستوجب أن يكون الدعاة لهذا المنهج على وعي وإخلاص كاملين. وكان من دعاة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دائما هم الأنبياء والأوصياء والأئمة الهداة والمصلحون. لذلك جاء عن أئمة أهل البيت عليهم السلام في ان الإمام الباطل هو أصل الفواحش والمفاسد.

1 اللهوف على قتلى الطفوف، رضي الدين أبو القاسم علي بن موسى بن جعفر بن طاووس الحلي (664 هـ)، دار الأسوة للطباعة والنشر، ج1، ص 185

يقول أمير المؤمنين عليه السلام: [فإن الرعية الصالحة تتجو بالإمام العادل، ألا وإن الرعية الفاجرة تهلك بالإمام الفاجر]¹.

"إنّ المنافقين حيث دفعوا أهل البيت عن مقامهم، وأزالوهم عن مراتبهم التي رتبهم الله فيها، ظهروا للناس بمظاهر النيابة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأظهروا التأييد لدينه والخدمة لشريعته، فوقع الالتباس واغترّ بهم أكثر الناس، ولما ملكوا من الامة أزمتهَا واستسلمت لهم برمتها، حرّموا -والناس في سنة عن سوء مقاصدهم- من حلال الله ما شاءوا، وحلّوا من حرامه ما أرادوا، وعاثوا في الدين وحكموا في القاسطين، فسَمَلوا أعين أولياء الله، وقطعوا أيديهم وأرجلهم من خلاف، وصلبوهم على جذوع النخل، ونفوهم عن عقر ديارهم، حتّى تفرقوا. ولعنوا أمير المؤمنين عليه السلام وكنّوا به عن أخيه الصادق الامين صلى الله عليه وآله وسلم. فلو دامت تلك الاحوال، وهم أولياء السلطة المطلقة والرئاسة الروحانية، لما أبقوا للإسلام عيناً ولا أثراً. لكن ثار الحسين عليه السلام فادياً دين الله عز وجل بنفسه وأحبائه، حتّى وردوا حياض المنايا، فاستنقذ الدين من أيدي الظالمين"². ولسان حاله يقول:

1 بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار، محمد باقر المجلسي (ت 1111 هـ) دار الإحياء، بيروت، 1983م، ج 34، ص 132
2 المأتم الحسيني مشروعيته وأسراره، السيد عبد الحسين شرف الدين الموسوي، ج1، ص 100

(إن كان دين محمد لم يستقم إلا بقتلي يا سيوف خذيني)¹

فتحرك الحسين عليه السلام نحو الناس لإعادة النصاب الى محله حيث ابتعد الحاكم الظالم والمحيطين به عن الإسلام، وانحازت الناس الى الدعة والتهاون في الضوابط الشرعية والضوابط العامة. فلا بد أن يتدخل الإمام الى اصلاحه وتوعية الناس الى ذلك وإن كلفه حياته.

ويمكن ان تتلخص حركة الإمامة نحو الناس وهدفه وعنوان حركته من خلال وصية الإمام الحسين عليه السلام الى أخيه محمد بن الحنفية قائلاً: "بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أوصى به الحسين بن علي بن أبي طالب إلى أخيه محمد المعروف بابن الحنفية ان الحسين يشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله، جاء بالحق من عنده، وأن الجنة والنار حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور، وانى لم أخرج أشرا ولا بطرا ولا مفسدا ولا ظالما وانما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي صلى الله عليه وآله وسلم، أريد أن أمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدي، وأبى على بن أبي طالب فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق ومن رد عليّ هذا أصبر حتى يقضي الله بيني

1 ديوان الشيخ محسن أبو الحبّ (الكبير)، الشيخ محسن أبو الحبّ، بيت العلم للنابهيّن، ص 169

وبين القوم بالحق وهو خير الحاكمين وهذه وصيتي يا أخي إليك وما توفيقى الا بالله عليه
توكلت واليه أنيب"¹

لقد أعلن الإمام عن حركته بوضوح كامل أسفرت عن أهداف نبيلة تدعو الى إقامة
العدل بين الناس وإحقاق الحقوق التي ضيقت متخذاً سيرة جده المصطفى صلى الله عليه وآله
وسلم نبراساً له وخطى أبيه المرتضى سلام الله عليه اتباعاً، فخرج الحسين عليه السلام على
حكم الظلم والطغيان، يريد أن يقيم صروح العدل بين الناس. لا طمعا في سلطة أو حكم،
وإنما لبى ما سمعه من جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في وجوب الخروج على أئمة
الجور والطغيان إذ يقول صلى الله عليه وآله وسلم: لَإِنَّ رَحَى الْإِسْلَامِ سَتَدُورُ، فَحَيْثُ مَا دَارَ
الْقُرْآنُ فَدُورُوا بِهِ، يُوشِكُ السُّلْطَانُ وَالْقُرْآنُ أَنْ يَقْتَتِلَا وَيَنْفَرَقَا، إِنَّهُ سَيَكُونُ عَلَيْكُمْ مُلُوكٌ يَحْكُمُونَ
لَكُمْ بِحُكْمٍ، وَلَهُمْ بَعْضُهُمْ عَلَيْهِمْ، فَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ أَصْلَحْتُمْ، وَإِنْ عَصَيْتُمُوهُمْ قَتَلْتُمْ. قالوا: يا رسول الله،
فكَيْفَ بَنَّا إِنْ أَدْرَكْنَا ذَلِكَ؟ قَالَ: تَكُونُونَ كَأَصْحَابِ عِيسَى: نُشِرُوا بِالْمَنَاشِيرِ وَرُفِعُوا عَلَى
الْخَشَبِ. مَوْتُ فِي طَاعَةٍ خَيْرٌ مِنْ حَيَاةٍ فِي مَعْصِيَةٍ². لم يخرج سلام الله عليه أشراً ولا بطراً
ولا مفسداً ولا ظالماً، حاشاه وهو الإمام المعصوم سبط رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

1 حياة الإمام الحسين بن علي دراسة وتحليل، باقر شريف القرشي، قسم الشؤون الفكرية والثقافية، العتبة
الحسينية، العراق، 2008، ج2، ص 264

2 ميزان الحكمة، محمد الري شهري، دار الحديث، قم، ج1، ص 34

وابن المرتضى عليه السلام. وكم من مرة سمع أبيه يردد نفس المقولة: [اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعَلَّمَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنِ الَّذِي كَانَ مِنَّا مُنَافَسَةً فِي سُلْطَانٍ، وَلَا التَّمَّاسَ شَيْءٍ مِنْ فُضُولِ الحُطَامِ، وَلَكِنْ لِنَرْدِ المَعَالِمِ مِنْ دِينِكَ، وَنُظْهِرَ الإِصْلَاحَ فِي بِلَادِكَ، فَيَأْمَنَ المَظْلُومُونَ مِنْ عِبَادِكَ، وَتُقَامَ المَعْطَلَةُ مِنْ حُدُودِكَ]¹.

هكذا كانت حركة الإمام الحسين عليه السلام لإنقاذ الناس من الظلم والجور وإعادة النصاب الى ما كان عليه في زمن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الى اتباع الشريعة السمحاء بعدما عطلها السلطان الجائر.

فالإمامة تتحرك بين أن يقصدها الناس فيعودوها والرجوع اليها في دينهم ودنياهم، وبين أن يعود الأئمة الناس بأنفسهم لإعادة الحق الى نصابه وإقامة الحدود المعطلة. إن حياة الأئمة جميعا قد غطت كل المساحة بين النهايتين، وهذا هو دورها الشريف.

لهذا نهض الحسين عليه السلام، لإصلاح ما قد فسد في الأمة، ولم يخرج من أجل دنيا أو منصب أو ساعيا وراء سمعة، وإنما خرج ونهض طلبا للإصلاح. تحرك الحسين عليه السلام لأداء فريضة عظيمة، فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهي سبيل الأنبياء ومنهاج الصالحاء، عاملا بواجبه الشرعي كما أراد الله سبحانه وتعالى: لَوَلَّتْكُمْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ

1 شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، دار الكتب العلمية، بيروت، خطبة 131

إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ¹. [إِنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ
والنهي عن المنكر فريضة عظيمة، بها تقام الفرائض، هنالك يتم غضب الله عز وجل عليهم
فيعمهم بعقابه، فيهلك الأبرار في دار الأشرار، والصغار في دار الكبار، إِنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ
والنهي عن المنكر سبيل الأنبياء، ومنهاج الصالحاء، فريضة عظيمة، بها تقام الفرائض، وتأمين
المذاهب، وتحل المكاسب، وترد المظالم، وتعمر الأرض وينتصف من الأعداء، ويستقيم
الأمر². وعن أمير المؤمنين عليه السلام في وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:
[أما بعد، فإنه إنما هلك من كان قبلكم حيثما عملوا من المعاصي ولم ينههم الربانيون والأخبار
عن ذلك، وأنهم لما تمادوا في المعاصي ولم ينههم الربانيون والأخبار عن ذلك نزلت بهم
العقوبات، فأمرؤا بالمعروف وانهاوا عن المنكر، واعلموا أَنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ والنهي عن المنكر
لن يقربا أجلاً ولن يقطعاً رزقاً³. لقد أشكل البعض على الإمام الحسين عليه السلام في
خروجه للعراق أمراً بالمعروف ونهاياً عن المنكر، فخاف لما ستؤول نتيجته الى القتل؛ ومنهم

1 آل عمران 104

2 الموسوعة الفقه الإسلامي طبقاً لمذهب أهل البيت عليهم السلام، مؤسسة دائرة معارف الفقه الإسلامي،
قم، إيران، ج 13، ص 351، حديث الإمام الصادق عليه السلام. أنظر: الوسائل ج 16، ص 119، ب
1 من الأمر والنهي، ح 6

3 الموسوعة الفقه الإسلامي طبقاً لمذهب أهل البيت عليهم السلام، مؤسسة دائرة معارف الفقه الإسلامي،
قم، إيران، ج 13، ص 350، أنظر: الوسائل، ج 16، ص 120، ب 1 من الأمر والنهي، ح 7

عبد الله بن مطيع العدوي¹. فقال له بألا يعرض لبني أمية، وعبد الله هذا وأمثاله تتاسوا الواجب الشرعي لمثل الإمام الحسين عليه السلام من أنه يقوم بواجبه الشرعي من أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر.

فالإمامة تأخذ دورها كاملاً بين النهايتين لتلكما الحركتين وتسقطهما على أرض الواقع، ولا فرق أين تكون البداية، وإنما هي كلها واجبه ضمن مفهوم الإمامة فهي قائمة ما داموا أحياء، سواء كانوا حاكمين أو بدونها فالإمامة لا تعني الحاكمية فهم حجج الله على خلقه: [الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا]². وكتب السير والتواريخ مليئة بالشواهد.

1 لما أقبل الحسين من الحاجز يسير نحو العراق فأنتهى إلى ماء من مياه العرب، فاذا عليه عبدالله بن مطيع العدوي، وهو نازل به، فلما رآه الحسين قام إليه فقال: بأبي أنت وأمي يا ابن رسول الله ما أقدمك واحتمله وأنزله، فقال له الحسين عليه السلام: كان من موت معاوية ما قد بلغك، وكتب إلي أهل العراق يدعونني إلى أنفسهم.

فقال له عبدالله بن مطيع: اذكرك الله يا ابن رسول الله وحرمة الاسلام أن تنتهك، أنشدك الله في حرمة قريش، أنشدك الله في حرمة العرب، فو الله لئن طلبت ما في أيدي بني أمية ليقتلنك، ولئن قتلوك لا يهابوا بعدك أحدا أبداً، والله إنها لحرمة الاسلام تنتهك، وحرمة قريش وحرمة العرب، فلا تفعل ولا تأت الكوفة ولا تعرض نفسك لبني أمية، فأبى الحسين عليه السلام إلا أن يمضي. انظر: بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار، محمد باقر المجلسي (ت 1111 هـ) دار الإحياء، بيروت، 1983م، ج 44، ص 271-270

2 بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار، محمد باقر المجلسي (ت 1111 هـ) دار الإحياء، بيروت، 1983م، ج 44، ص 2

الفصل الثالث

دور الحسين عليه السلام هو دور الأنبياء

الفصل الثالث

دور الحسين عليه السلام هو دور الأنبياء

لماذا بادر الحسين عليه السلام بالثورة بدلا عن أسلوب آخر كما باقي الأئمة الأطهار؟

وهل سبق هذا الإجراء تصحيح للواقع بالدعوة قبل السيف؟

إن "جوهر الصراع يرجع إلى العقيدة ذاتها وإلى الأمانة في تطبيق الشريعة الإسلامية بإخلاص في الحياة اليومية"¹. وهكذا كان دور الأنبياء سلام الله عليهم. فكلما ابتعد قوم عن السنن الإلهية وانحرفوا بها بعيدا عن العقيدة فينبري لها الأنبياء والمصلحون فيقومون بدورهم الإلهي وبما تملي عليهم المسؤولية الشرعية في ذلك ولنا أسوة في إبراهيم عليه السلام: {قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ} ²، فبالرغم من قلة المؤمنين الذين ساروا معه بهذا الطريق، إلا أنهم لم يهنوا أو يعفوا، أو يستكنوا، بل كافحوا من أجل إعلاء كلمة التوحيد وتعبيد الناس لله الواحد ومقارعة

1 أعيان الشيعة، محسن الأمين (ت 1371 هـ)، دار المطبوعات، بيروت، ج 11، ص 16

2 الممتحنة 4

الظلم وإرجاع تطبيق السنن الإلهية. وفي هذا المقام نلاحظ تشبيه القرآن الكريم لرسول الإسلام محمد صلى الله عليه وآله وسلم بإبراهيم عليه السلام، وتشبيه المسلمين بأصحابه وأعدائه: {مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا}¹. فأصبح محمد صلى الله عليه وآله وسلم أسوة لنا في حياتنا حقا، ولو اتخذناه كذلك في إيمانه وتوكله، وفي إخلاصه وشجاعته، وفي تنظيم أمره ونظافته، وفي وزهده وتقواه، فسيختلف حتماً أسلوب حياتنا، وسيعمّ الضياء والسعادة كل زوايا حياتنا ونواحيها: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ}².

وهكذا كان دور الحسين عليه السلام فأراد أن يعيد الإسلام الى واقع الحياة وأن يقف ضد الطموح الأموي الهادف الى محق الشريعة من عقول الناس وأن يجعلوها غطاء لا ينفذ الى القلوب بل ممارسات وطقوس لا علاقة لها بالواقع المعاش، والى نسيانها من الأذهان الى الأبد. لقد اختلق معاوية ومن بعده أحاديث بديلة. من السذاجة والسخافة ما تجعل الدين سفاهة فأصبح لعق على الألسن لا ينسجم وروحه مع ما أراد الله سبحانه وتعالى في تنظيم حياة الناس وتهذيب أخلاقهم. فكيف يقبل الحسين عليه السلام لهذا

1 الفتح 29

2 الأحزاب 21

الانحراف الكبير والذي تقام الى درجة أن أصبح والي المدينة الوليد بن عقبة يستهزأ

بالصلاة وممارستها ويأتيها وهو سكران¹.

1 عن ابن شوذب، قال: صلى الوليد بن عقبة بأهل الكوفة صلاة الصبح أربع ركعات، ثم التفت إليهم، فقال: أزيدكم؟! فقال عبد الله بن مسعود: ما زلنا معك في زيادة منذ اليوم.
قال: وحدثنا محمد بن حميد، عن جرير، عن الأجلح، عن الشعبي في حديث الوليد بن عقبة حين شهدوا عليه، فقال الحطيئة

شهد الحطيئة يوم يلقي ربه إن الوليد أحق بالعدر

نادى وقد تمت صلاتهم أزيدكم سكرًا وما يدري؟

فأبوا أبا وهب ولو أذنوا لقرنت بين الشفع والوتر

وذكر أبياتا آخر في ذلك عنه، ثم قال وخبر صلاته بهم سكران. وقوله لهم: أزيدكم؟ بعد أن صلى الصبح أربعًا مشهور من رواية الثقات من نقل أهل الحديث وأهل الأخبار. أنظر: بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار، محمد باقر المجلسي (ت 1111 هـ) دار الإحياء، بيروت، 1983م، ج 31، ص 153

الفصل الرابع

هل أقام علي عليه السلام دولته كما أراد؟

الفصل الرابع

هل أقام علي عليه السلام دولته كما أراد؟

لو راجعنا التاريخ لرأينا شكوى أمير المؤمنين بابتعاد أكثرية الناس عنه، وحلت الفرقة بين الجماهير خلال حكم علي عليه السلام، ولم يستطع عليه السلام إيجاد وحدة الكلمة بين صفوف الجماهير التي بايعته حتى أنه اشتكى كثيرا من عدم محافظة الناس على حركته الإصلاحية وهو يقول: [طَعَّانِينَ عَيَّابِينَ حَيَّادِينَ رَوَّاعِينَ إِنَّهُ لَا غَنَاءَ فِي كَثْرَةِ عَدَدِكُمْ مَعَ قَلَّةِ اجْتِمَاعِ قُلُوبِكُمْ لَقَدْ حَمَلْتُمْ عَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ الَّتِي لَا يَهْلِكُ عَلَيْهَا إِلَّا هَالِكٌ مَنِ اسْتَقَامَ فَإِلَى الْجَنَّةِ وَ مَنْ زَلَّ فَإِلَى النَّارِ]¹. لقد أحاط بأمر المؤمنين عليه السلام مجتمع أغلبه من الذين سئم أمير المؤمنين عليه السلام من بعدهم عنه في كل شيء. فيحنّ الى الرجال الذين كان يعدّهم رجالا يتحملون المسؤولية وهم الدواء لكل داء ومن كلام له عليه السلام: [وَقَدْ قَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ نَهَيْتَنَا عَنِ الْحُكُومَةِ ثُمَّ أَمَرْتَنَا بِهَا فَمَا نَدْرِي فَلَمْ نَدْرِ أَيُّ الْأَمْرَيْنِ أَرْشَدُ فَصَفَّقَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِحْدَى يَدَيْهِ عَلَى الْأُخْرَى ثُمَّ قَالَ هَذَا جَزَاءُ

1 شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، دار الكتب العلمية، بيروت، ج 7، ص 285

مَنْ تَرَكَ الْعُقْدَةَ أَمَا وَاللَّهِ لَوْ أَنِّي حِينَ أَمَرْتُكُمْ بِمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ حَمَلْتُكُمْ عَلَى الْمَكْرُوهِ الَّذِي
يَجْعَلُ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا فَإِنْ اسْتَقَمْتُمْ هَدَيْتُكُمْ وَإِنْ اعْوَجَجْتُمْ قَوَّمْتُكُمْ وَإِنْ أَبَيْتُمْ تَدَارَكْتُكُمْ لَكَانَتْ
الْوُتْقَى وَلَكِنْ يَمَنْ وَالِي مَنْ أُرِيدُ أَنْ أُدَاوِيَ بِكُمْ وَأَنْتُمْ دَائِي كَنَاقِشِ الشُّوكَةِ بِالشُّوكَةِ وَهُوَ يَعْلَمُ
أَنْ ضَلَعَهَا مَعَهَا اللَّهُمَّ قَدْ مَلَّتْ أَطِبَّاءُ هَذَا الدَّاءِ الدَّوِيِّ وَكَلَّتِ النَّزْعَةُ النَّزْعَةُ بِأَشْطَانِ الرَّكِيِّ
أَيُّنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ دُعُوا إِلَى الْإِسْلَامِ فَقَبِلُوهُ وَقَرَأُوا الْقُرْآنَ فَأَحْكَمُوهُ وَهَيَّجُوا إِلَى الْجِهَادِ فَوَلَّهُوا
وَلَهُ اللَّقَاحِ إِلَى أَوْلَادِهَا وَسَلَبُوا السُّيُوفَ أَعْمَادَهَا وَأَخَذُوا بِأَطْرَافِ الْأَرْضِ رَحْفًا رَحْفًا وَصَفَاً
صَفَاً بَعْضُ هَلَكٍ وَبَعْضُ نَجَا لَا يُبَشِّرُونَ بِالْأَحْيَاءِ وَلَا يُعَرِّوْنَ عَنِ الْمَوْتَى مُرَهُ الْعُيُونِ مِنْ
الْبُكَاءِ خُمْصُ الْبُطُونِ مِنَ الصِّيَامِ ذُبُلُ الشِّفَاهِ مِنَ الدَّعَاءِ صُفْرُ الْأَلْوَانِ مِنَ السَّهْرِ عَلَى
وُجُوهِهِمْ غَبْرَةُ الْخَاشِعِينَ أَوْلَيْكَ إِخْوَانِي الذَّاهِبُونَ فَحَقَّ لَنَا أَنْ نَظْمًا إِلَيْهِمْ وَنَعَضَّ الْأَيْدِي
عَلَى فِرَاقِهِمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ يُسَيِّ لَكُمْ طُرُقَهُ وَيُرِيدُ أَنْ يَحُلَّ دَيْنَكُمْ عُقْدَةً عُقْدَةً وَ يُعْطِيَكُمْ
بِالْجَمَاعَةِ الْفُرْقَةَ وَبِالْفُرْقَةِ الْفِتْنَةَ فَاصْدِفُوا عَنْ نَزْعَاتِهِ وَنَفَقَاتِهِ وَإِقْبَلُوا النَّصِيحَةَ مِمَّنْ أَهْدَاهَا
إِلَيْكُمْ وَاعْقِلُوهَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ¹.

إن سبب إديار عامّة الناس عن الحكم العلوي بعد ذلك الإقبال منقطع النظير الذي
حظي به الإمام يوم البيعة، وانفضاضهم عن الإمام وبقائه وحيداً لم يسما له بإمكانية

1 شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، دار الكتب العلمية، بيروت، ج 7، ص 292

ممارسة الحكم عملياً وفق أصول المنهج السياسي العلوي وذلك لاعتماده العدل والرجوع للشريعة السمحاء؛ لا تأويلها بالرأي كما فعل الآخرون -سنتناول هذا الموضوع فيما بعد، ونقطة أخرى: وهي طبيعة المجتمع الكوفي القبلية ورجوعهم الى ساداتهم قبل الرجوع الى أمير المؤمنين عليه السلام وهذا بالضبط ما فعلوه مع الحسين عليه السلام، ولا نتعجب إذن من "تخلي الخواص والنخب ورؤساء قبائل الأمة الإسلامية عنه، بالخصوص أهل العراق، وبخاصة أهل الكوفة. وإن أسباب بقاء الإمام وحيداً يعود إلى نقطتين:

1. دور الخواص في التحوّلات السياسيّة والاجتماعيّة: فالنخب هي التي تأخذ موقع الجمهور في العادة وتقرّر بدلاً منه، على حين ليس للجمهور -في الأغلب- إلاّ اتباع تلك النخب والانقياد لها.

2. دور أهل الكوفة في حكم الإمام عليه السلام: أنّ الكوفة هي قاعدة عسكريّة، ومن ثمّ فإنّ من يسكنها لم يكن يفكرّ بأكثر من القتال والبعوث وفتح البلدان والحصول على الغنائم وغير ذلك ممّا له صلة بهذه الدائرة. وفيها ألفت فيما بعد البذور التأسيسية لتيّار الخوارج. ثم نقطة أساسية أخرى تتمثّل بالنسيج القبائلي الموجود في الكوفة وهيمنة الطباع القبليّة، وثقافة القبيلة وموازينها على مجتمع الكوفة، ففي إطار نسيج ثقافيّ

كهذا تكون الكلمة الفصل لرئيس القبيلة، أما البقيّة فهم تبع له، من دون أن تكون لهم

حرية الاختيار.¹

3. قلة الناصر: وللسببين أعلاه لم يكن معه من يجاهد ضمن الضوابط العلوية فلا غنيمة

ولا مطمع من حرب تقام. فعزف الناس عن مناصرته، وهنا يقول عليه السلام: "اللهم

إنك تعلم أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قد قال لي: إن تمّوا عشرين فجاهدهم.

وهو قولك في كتابك: {إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِئَتِينَ}،² قال الراوي:

وسمعته يقول: اللهم وإتّهم لم يتمّوا عشرين حتّى قالها ثلاثاً³

1 منتخب موسوعة الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام، محمد الري شهري، دار الحديث للطباعة والنشر، ط1، 1430 هـ، ص 641.

2 الأنفال 65

3 بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار، محمد باقر المجلسي (ت 1111 هـ) دار الإحياء، بيروت، 1983م، ج 28، ص 229

الفصل الخامس

معاوية... التغيير الممنهج للمفاهيم الإسلامية

الفصل الخامس

معاوية.. التغيير الممنهج للمفاهيم الإسلامية

"ان معاوية بن ابي سفيان لما تسلط على الحكم ودامت خلافته عشرون عاما، ولم يكن هناك منازع له في الحكم، فأسس لجنة وكلفها في وضع الاحاديث لصالح الخلفاء، وأمر ولاته وعماله من أدنى البلاد الى اقصاها ان يقرؤوها على الناس في خطب صلاة الجمعة وينشروها بينهم. ولم يدع معاوية في هذا المجال ذريعة الا استفاد منها، واستفرغ كل ما كان في وسعه من فكر وقوى في تحقيق هذه الامنية، حتى ان مرتزقته وعماله لم يهنوا لحظة من مساعدته في ذلك، فاختلقوا فضائل للخلفاء حتى ولو كانت هذه الفضائل المزيفة تؤدي الى الالهانة بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم (حاشاه) وتحجيم منزلته. والهدف من وضعهم هذه الاحاديث المزورة لتكون بديلة عن الاحاديث النبوية الصحيحة التي تروي فضائل أمير المؤمنين الامام علي عليه السلام"¹.

1 أضواء على الصحيحين، محمد صادق النجمي، مؤسسة المعارف الإسلامية، قم، ص 304

فعمل معاوية على تغيير المفاهيم الإسلامية، وسعى جاهداً "لطمس وتشويه النظرية الإسلامية ومحاولة تزييفها، ولعل أخطر ما توصل إليه الأمويون من طرق التغلب على الشعور الإسلامي التائر، وتحطيم ما لأهل البيت عليهم السلام من سلطان روجي على المسلمين؛ وذلك بتخدير شعورهم الديني"¹، "وإيجاد تبرير ديني لسلطان بني أمية، أو على الأقل لكبح الجماهير عن الثورة، برادع داخلي هو الدين نفسه. ولم يقتصر على ذلك بل إن معاوية وضع قوماً من الصحابة، وقوماً من التابعين على رواية أخبار قبيحة في علي عليه السلام تقتضي الطعن فيه والبراءة منه، وجعل لهم على ذلك جُعللاً يرغب في مثله، فاختلفوا ما أَرْضاه. منهم؛ أبو هريرة، وعمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة، ومن التابعين عروة بن الزبير"².

ولم يكتف بذلك بل ابتدعها سنة في خطبة الجمعة ومن على المنبر يسبّ عليا عليه السلام. "وكان معاوية يومئذ بالمدينة فعند ذلك نادى مناديه وكتب بذلك نسخة إلى عماله: ألا برئت الذمة ممن روى حديثاً في مناقب علي وأهل بيته وقامت الخطبة في كل مكان

1 موسوعة كربلاء، لبيب بيضون، مؤسسة الأعلمي، ج 1، ص 273

2 ثورة الحسين ظروفها الاجتماعية وآثارها الإنسانية، محمد مهدي شمس الدين، المؤسسة الدولية للدراسات والنشر، بيروت، ط7، 1417 هـ، ص 88.

على المنابر بلعن علي بن أبي طالب عليه السلام والبراءة منه والوقية في أهل بيته
واللعنة لهم بما ليس فيهم عليهم السلام"¹.

وتمثلت أساليب معاوية في طمس النظرية الإسلامية وتزييفها بما يلي:

1. اختلاق الأحاديث:

وشراء الأحاديث من بعض الذين كان لهم من الاستعداد في ذم علي عليه السلام والبراءة
منه، والكذب على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في مقابل عطاء كبير. "أما بالنسبة للذين
أبوا الانصياع لأوامره في الدس والكذب على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فقد نعتهم
بالروافض، لأنهم رفضوا مسيرته وتنفيذ خطته الجاهلية، وحاول الضغط عليهم وإرهابهم
بشتى الوسائل"².

وجعل في ذكر فضائل عثمان وإكرام مقربيه بديلا عن ذكر مناقب علي عليه السلام
وما ان ضجّت الرواة في اختلاق أحاديث عن عثمان وأصبحت عند الناس أنها متبناة من

1 بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار، محمد باقر المجلسي (ت 1111 هـ) دار الإحياء،
بيروت، 1983م، ج33، ص 176

2 موسوعة كربلاء، لبيب بيضون، مؤسسة الأعلمي، ج 1، ص 274

النظام الأموي، أمر وضاع الأحاديث الى أن يرووا فضائل الصحابة عدا في علي عليه السلام فهددهم وأنذرهم. "فقامت الخطباء في كل كورة وعلى كل منبر يلعنون عليا ويبرؤون منه ويقعون فيه وفي أهل بيته، وكان أشد الناس بلاءً حينئذ أهل الكوفة لكثرة من بها من شيعة علي عليه السلام، فاستعمل عليهم (معاوية) زياد بن سمية وضم إليه البصرة، فكان يتتبع الشيعة وهو بهم عارف لأنه كان منهم أيام علي عليه السلام فقتلهم تحت كل حجر ومدر، وأخافهم وقطع الأيدي والأرجل وسمل العيون وصلبهم على جذوع النخل، وطردهم وشردهم عن العراق، فلم يبق بها معروف منهم. وكتب معاوية إلى عماله في جميع الآفاق: أن لا يجيزوا لاحد من شيعة علي وأهل بيته شهادة. وكتب إليهم: أن انظروا من قبلكم من شيعة عثمان ومحبيه وأهل ولايته والذين يروون فضائله ومناقبه فأدنوا مجالسهم وقربوهم وأكرمهم وكتبوا إلي بكل ما يروي كل رجل منهم واسمه واسم أبيه وعشيرته. ففعلوا ذلك حتى أكثروا في فضائل عثمان ومناقبه، لما كان يبعثه إليهم معاوية من الصلوات والكساء والحباء والقطائع، ويفيضة في العرب منهم والموالي. فكثرت ذلك في كل مصر، وتنافسوا في المنازل والدنيا، فليس يجيء أحد مردود من الناس عاملا من عمال معاوية فيروي في عثمان فضيلة أو منقبة ألا كتب اسمه وقربه وشفعه. فلبثوا بذلك حيناً. ثم كتب (معاوية) إلى عماله أن الحديث في عثمان قد كثر وفشا في كل مصر وفي كل وجه وناحية، فإذا جاءكم كتابي هذا فادعوا الناس إلى الرواية في فضائل الصحابة والخلفاء الأولين، ولا

تتركوا خبرا يرويه أحد من المسلمين في أبي تراب إلا وتأتوني بمناقض له في الصحابة، فإن هذا أحب إلي وأقر لعيني وأدحض لحجة أبي تراب وشيعته وأشد إليهم من مناقب عثمان وفضله.

فقرأت كتبه على الناس فرويت أخبار كثيرة في مناقب الصحابة مفتعلة لا حقيقة لها، وجد الناس في رواية ما يجري هذا المجرى حتى أشادوا بذكر ذلك على المنابر وألقي إلى معلمي الكتاتيب فعلموا صبيانهم وغلماهم من ذلك الكثير الواسع حتى رووه وتعلموه كما يتعلمون القرآن، وحتى علموه بناتهم ونساءهم وخدمهم وحشمهم فلبثوا بذلك ما شاء الله.

ثم كتب (معاوية) إلى عماله نسخة واحدة إلى جميع البلدان: انظروا من قامت عليه البينة أنه يحب عليا وأهل بيته فامحوه من الديوان وأسقطوا عطاءه ورزقه. وشفع ذلك بنسخة أخرى: من اتهمتموه بموالاتة هؤلاء القوم فنكلوا به وأهدموا داره. فلم يكن البلاء أشد ولا أكثر منه بالعراق، ولا سيما بالكوفة حتى أن الرجل من شيعة علي عليه السلام ليأتيه من يثق به فيدخل بيته فيلقي إليه سره ويخاف من خادمه ومملوكه، ولا يحدثه حتى يأخذ عليه الايمان الغليظة ليكتمن عليه. فظهر حديث كثير موضوع وبهتان منتشر، ومضى على ذلك الفقهاء والقضاة والولاة.

وكان أعظم الناس في ذلك بلية القراء المرأون، والمستضعفون الذين يظهرون الخشوع والنسك فيفتعلون الأحاديث ليحظوا بذلك عند ولاتهم ويقربوا مجالسهم ويصيبوا به الأموال

والضياع والمنازل حتى انتقلت تلك الأخبار والأحاديث إلى أيدي الديانين الذين لا يستحلون الكذب والبهتان فقبلوها ورووها وهم يظنون أنها حق، ولو علموا أنها باطلة لما رووها ولا تدينوا بها. فلم يزل الأمر كذلك حتى مات الحسن بن علي عليه السلام فازداد البلاء والفتنة فلم يبق أحد من هذا القبيل إلا وهو خائف علي دمه أو طريد في الأرض"¹.

وعمل معاوية بالتوازي مع اختلاق الأحاديث أن ابتدع منها سياسيا للحكم غير الذي كان من قبله، ولما اعترضوا عليه حاججهم في أن من سبقه أيضا قد ابتدعوا مناهج سياسية لم تكن على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. لقد أمر معاوية بمراقبة المجالس فإن كانوا من محبي أهل البيت فيقربهم ويكرمهم، ووزع العيون لمراقبة من يذكر فضائل أهل البيت عليهم السلام. وكتب معاوية الى جميع عماله في جميع الأمصار. "لقد كان تصميم بني أمية من خلال معاوية على تقويض الإسلام، وفق المستوى النظري والعملي، فحاولوا الإبقاء على المظهر الخارجي للإسلام كغطاء، للإجهاض على معانيه وجوهره الداخلي. ومن أهم مظاهر ذلك التغيير إحباط نظام الشورى، وجبر المسلمين على نظام الملكية الوراثية، الذي يحاربه الإسلام ولا يرضى به. فاستلم معاوية الحكم قهرا عن

1 بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار، محمد باقر المجلسي (ت 1111 هـ) دار الإحياء، بيروت، 1983م، ج33، ص 191، أنظر الهامش.

المسلمين، بالخدیعة والمكر والنزاع والخروج على إمام زمانه، وهو يعلم أنه من الطلقاء الذين ناهضوا هم وآباؤهم الدعوة الإسلامية منذ بزوغها، والذين لا تجوز لهم الخلافة قطعاً¹، وجاء كلام الحسين عليه السلام مصداقاً لقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: [الخلافة محرمة على آل أبي سفيان]²، فيما قاله الحسين عليه السلام لمروان بن الحكم فيقول: "إنا أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة، ومهبط الرحمة. بنا فتح الله وبنا ختم، ويزيد رجل فاسق شارب الخمر، قاتل النفس المحترمة، معن بالفسق، ومثلي لا يبايع مثله"³.

1 موسوعة كربلاء، لبيب بيضون، مؤسسة الأعلمي، ج 1، ص 263
2 بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار، محمد باقر المجلسي (ت 1111 هـ) دار الإحياء، بيروت، 1983م، ج 44، ص 326
3 موسوعة كربلاء، لبيب بيضون، مؤسسة الأعلمي، ج 1، ص 185

2. اختلاق الفرق الدينية ذات الأغراض السياسية باسم الإسلام:

وعملا في تبرير حكم بني أمية، فقد اختلق مدارس فكرية منحرفة، "بعد أن توضع لها التفسيرات الدينية المضللة، وتصاغ بأطر إسلامية مزيفة، تتخذ اسم المرجئة¹ تارة والجبرية² أخرى، هادفين من وراء هذا العمل الدنيء لفت أنظار المسلمين عن الثورة".³ ويضاف الى

1 من الفرق الإسلامية التي ظهرت على الساحة الإسلامية كرد فعل لظهور الخوارج الذين حكموا على مرتكب الكبيرة بالكفر، والخلود في النار فعارضهم المرجئة بقولهم: لا يضر مع الإيمان معصية، كما لا ينفع مع الكفر طاعة. والإرجاء له معنيين: أحدهما: بمعنى التأخير: أي الإمهال في الحكم. وهذا الإطلاق صحيح؛ لأنهم كانوا يؤخرون العمل عن النية، والعقد.

والثاني: بمعنى إعطاء الرجاء، وهو ظاهر: لأنهم كانوا يقولون: لا يضر مع الإيمان معصية، كما لا ينفع مع الكفر طاعة.

وقيل: الإرجاء تأخير الحكم إلى يوم القيامة؛ فلا يقضى على صاحب الكبيرة بحكم في الدنيا.

وقيل: الإرجاء تأخير على - رضي الله عنه - عن الدرجة الأولى، إلى الدرجة الرابعة.

والمرجئة أربعة أصناف: مرجئة الخوارج، ومرجئة القدرية، ومرجئة الجبرية، والمرجئة الخالصة. أنظر: أبحار الأفكار في أصول الدين، سيف الدين أمدي (ت 623 هـ)، دار الكتب، القاهرة، 1423 هـ، ج 5، ص

84

2 فالجبر عبارة عن نفي الفعل عن العبد حقيقة، وإضافته إلى الرب - تعالى - غير أن الجبرية تنقسم إلى: جبرية خالصة: وهي التي لا تثبت للعبد فعلا، ولا كسبا: كالجهمية. وإلى: جبرية متوسطة: وهي التي لا تثبت للعبد فعلا؛ ولكن تثبت له كسبا كالأشعرية. أنظر: أبحار الأفكار في أصول الدين، سيف الدين أمدي

(ت 623 هـ)، دار الكتب، القاهرة، 1423 هـ، ج 5، ص 91

3 موسوعة كربلاء، لبيب بيضون، مؤسسة الأعلمي، ج 1، ص 274

ذلك ظهور أول فرقة إسلامية وهم الخوارج¹ الذين خرجوا على الإمام علي عليه السلام. ومنهم الأزرق أصحاب نافع بن الأزرق²، فإنهم كفروا عليا بالتحكيم وقالوا: إن عليا هو الذي أنزل في شأنه: [وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ

1 الخارجي: هو كل من خرج على الإمام الحق. سواء كان الخروج في أيام الصحابة، أو في أيام التابعين، والأئمة في كل زمان، والخوارج من أوائل الفرق الإسلامية. فهم الذين خرجوا على علي عليه السلام عند التحكيم، وكانوا اثني عشر ألف رجل، أهل صلاة وصيام وفيهم قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم [تحقر صلاة أحدكم في جنب صلاتهم، وصوم أحدكم في جنب صومهم، ولكن لا يجاوز إيمانهم تراقيهم]. وهم مجمعون على تجويز الإمامة في غير قريش، وأن كل من نصبوه برأيهم وعاشر الناس بالعدل، واجتناب الجور؛ كان إماما، وإن غير السيرة، وعدل عن الحق، وجب عزله أو قتله، وجوزوا ألا يكون في العالم، إمام أصلا.

وأجمعوا أيضا على تخطئة علي عليه السلام في التحكيم، وتكفيره؛ وتكفير عثمان وأكثر الصحابة، وتكفير ومرتكب الكبيرة. وقولهم بجواز خلو العصر عن الإمام. ومنهم من قال: إنه لا حرام سوى ما في قوله تعالى: [قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ] [الأنعام 145]، وما سواه؛ فكله حلال. ومنهم من قال: إن الإمام إذا كفر كفرت الرعية شاهدا، وغائبها، وقالوا إن أطفال المؤمنين، مؤمنين، وأطفال الكفار، كفار، ووافقوا القدرية في القدر. ومنهم من قال: إن السكر إذا كان من شراب حلال؛ فلا يؤاخذ صاحبه بما قال، أو فعل؛ بخلاف الحرام. ومنهم من قال: إن السكر إذا انضم إليه فعل كبيرة؛ فهو كفر. وقولهم: إنه لا حرام إلا ما حرم في الآية المذكورة، وأن الإمام إذا كفر كفرت الرعية، فهو أيضا خلاف الإجماع من السلف والقرآن؛ لقوله تعالى: [وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى] [الأنعام 164]. أنظر: أبحار الأفكار

في أصول الدين، سيف الدين أمدي (ت 623 هـ)، دار الكتب، القاهرة، 1423 هـ، ج 5، ص 74
2 نافع بن الأزرق بن قيس بن نهار، البكري، الوائلي، الحروري، سحب في أول أمره عبد الله بن عباس. كان من أنصار علي - رضي الله عنه - حتى كانت قضية التحكيم وفي سنة 65 هـ اشتدت شوكته، وكثرت جموعه؛ ولكنه قتل بعد معركة كبيرة سنة 65 هـ. أنظر: أبحار الأفكار في أصول الدين، سيف الدين أمدي (ت 623 هـ)، دار الكتب، القاهرة، 1423 هـ، ج 5، ص 75.

الْخِصَامِ¹. وزادوا على ذلك بتكفير عثمان، وطلحة، والزبير، وعائشة، وعبد الله بن عباس، وسائر المسلمين معهم، وقضوا بتخليدهم في النار، وكفروا القعدة عن القتال، وإن كانوا موافقين في الدين، ولم يجوزوا التقيّة في قول، ولا عمل، وأباحوا قتل أطفال المخالفين، ونسأئهم، وأسقطوا الرجم عن الزاني المحصن، وحد قذف المحصنين من الرجال دون النساء؛ إذ هو غير مذكور في القرآن. وحكموا بأن أطفال المشركين في النار مع آبائهم، وجوزوا بعثة نبي كان كافراً؛ وإن علم كفره بعد النبوة. وقضوا بأن من ارتكب كبيرة؛ فقد كفر، وخرج عن الملة؛ وهو مخلد في النار.

فمعاوية أول من قال بالفكرة الجبرية ودافع عنها، وأوهم الناس أنه طالما كل شيء يجري بقضاء الله، فإن تولّيه الحكم هو بأمر الله ومشيتته، وهو يؤتي الملك من يشاء، وينزع الملك ممن يشاء. فاعتلاؤه إلى السلطة هو عطاء إلهي ومشروع.

أما المرجئة فكانوا عوناً وسنداً لحكم معاوية، جاءت آراؤهم ومعتقداتهم تبريراً لخلافته، وإقناعاً للمسلمين بوجوب طاعته. وجاءت الخوارج وإن كان أعداء لمعاوية لكنهم ساعدوا في

إضعاف ثقة الضعفاء بأحقية أمير المؤمنين عليه السلام وأحدثوا في الشريعة الإسلامية وابتدعوا.

3. سياسة معاوية الفكرية

"لقد استخدم معاوية وبنو أمية في حربهم للإسلام، ولنشر المبادئ المعاكسة للإسلام، كل وسيلة من وسائل الإرهاب والتجويع والتهجير والتفريق للتسلط على المسلمين. وبما أن المسلمين كانوا قد وصلوا إلى وضع معنوي مائع مهلهل، فقد عملت أساليب بني أمية فعلها فيهم، واستعبدتهم لأنهم كانوا عبيداً للعالم¹، و[إنَّ النَّاسَ عَبِيدُ الدُّنْيَا، وَالدِّينُ لَعَقٌّ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ، يَحُوطُونَهُ مَا دَرَّتْ مَعَايِشُهُمْ، فَإِذَا مَجَّصُوا بِالْبَلَاءِ قَلَّ الدِّيَانُونَ]². ولم يدع معاوية في هذا المجال ذريعة الا استفاد منها، واستفرغ كل ما كان في وسعه من فكر وقوى في تحقيق هذه الامنية، حتى ان مرتزقته وعملاه لم يهنوا لحظة من مساعدته في ذلك، فاختلفوا فضائل للخلفاء حتى ولو كانت هذه الفضائل المزيفة تؤدي الى الالهانة بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم

1 موسوعة كربلاء، لبيب بيضون، مؤسسة الأعلمي، ج 1، ص 263

2 ميزان الحكمة، محمد الري شهري، دار الحديث، قم، ج 2، ص 44: من كلام الحسين عليه السلام في مسيره لكربلاء.

وتحجيم منزلته. حتى " إن أكثر الأحاديث الموضوعية في فضائل الصحابة افتعلت في أيام بني أمية تقرباً إليهم بما يظنون أنهم يرغبون به أنوف بني هاشم"¹.

فكانت الأحاديث الموضوعية التي تدعو المسلمين إلى الخضوع لأمرائهم الظالمين، وتحرم عليهم الثورة على هؤلاء الأمراء طلباً لحقهم. واعتمدت الأحاديث كوسيلة فاعلة نظراً لقربهم الزمني من فترة الدعوة الإسلامية وقبل انقضاء معاوية على الحكم. بل أن معاوية قد مارس هذا الأسلوب منذ توليه على الشام فتمرد على من نصبه. فأصبح له جيش من الوضّاعين للأحاديث التي تدعو فيما تدعو في جانب منها إلى الصبر على الظلم والجوع والإرهاب؛ وأنّ استنكارها يعتبر مخالف للدين. حتى أن الفرقة الفكرية التي أنشأها معاوية قد نفثت سمومها في أوساط الأمة فتبرر لمعاوية الفسوق والعصيان. ومن عقيدتها: "إنّ الإيمان الاعتقاد بالقلب، وإن أعلن الكفر بلسانه وعبد الأوثان، ولزم اليهودية، والنصرانية في دار الإسلام، ومات على ذلك فهو مؤمن كامل الإيمان عند الله عزّ وجلّ ولي لله عزّ وجلّ، من أهل الجنة"². لقد اعتبر معاوية أن توليه الحكم على الناس وتأميره عليهم إنما هو من الله سبحانه وتعالى، ووجوب موالاته وتحريم معاداته، فقال في خطبة له في النخيلة ليعلم أعل

1 شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، دار الكتب العلمية، بيروت، ج 11، ص 44

2 ثورة الحسين ظروفها الاجتماعية وآثارها الإنسانية، محمّد مهدي شمس الدّين، المؤسسة الدوليّة للدراسات والنشر، بيروت، ط7، 1417 هـ. ص 95

الكوفة قائلاً: "والله اني ما قاتلتكم لتصلوا ولا لتصوموا ولا لتحجوا ولا لتزكوا وانما قاتلتكم لا تأمر عليكم، وقد اعطاني الله ذلك وانتم كارهون"¹. وهي قولة "لم يقلها أحد غيره من المطبوعين على الصولة والزعامة، لأنهم لا يحتاجون إليها، ولكنه قالها لأنها جثمت على صدره لطول ما صبر على مجابهة هذا ومصانعة ذاك، وتذكير المذكرين إياه أنه لم يملكهم عنوة ولا فتحاً، بل ملكهم بالمشاركة والاتفاق... فنفس عن صدره بتلك الكلمة، ولم يحدث من غيره أنه شعر بالحاجة إلى تنفيس كذلك التنفيس"²

4. شراء نهم الشعراء

"كان معاوية . وملوك بني أمية من بعده . يسعون راضين شعراء هم بل ويحملون هؤلاء الشعراء على أن يقولوا الشعر الذي يُمجدونهم فيه بنعوت تجعل سلطانهم وسيادتهم قدراً مقدوراً من الله، ومن أجل ذلك لا يمكن أن يثور المؤمن ضدّهم.

1 الفصول المهمة في تأليف الأمة، عبد الحسين شرف الدين الموسوي، مؤسسة البعثة، 1377 هـ، ط1، ص 141.

2 علي امام البررة، أبو القاسم الموسوي الخوئي، دار الهدى، ج 3، ص 398: عن: معاوية في الميزان، عباس العقاد، ج 3، ص 542، ضمن موسوعة العقاد، دار الكتاب العربي، بيروت

فمعاوية عند الأخطل ليس ملكاً كما وصف نفسه في ساعة من ساعات سهوه، بل

خليفة الله، والظفر الذي حازه ليس ناشئاً من أسبابه الطبيعية وإنما هو من صنع الله:

أظفره الله فليهنأ له الظفرُ إلى امرئ لا تعدينا نوافله

خليفة الله يُستسقى به المطرُ الخائضُ الغمرَ والميمونُ طائرُه¹

وهذا الوليد بن يزيد فقد عقد البيعة لولديه عثمان والحكم، ثم كتب يهدد الناس بأنه: لا

يستخف بولايتهم ويتهم قضاء الله فيهم أحدٌ إلا أمكنهم الله منه، وسلطهم عليه، وجعله موعظة

ونكالاً (لغيره). وقد انتقلت هذه الفكرة من حكام بني أمية إلى شعرائهم، "يقول جرير لعبد الملك

بن مروان:

الله طوّك الخلافة والهدى والله ليس لما قضى تبديل

ويقول في قصيدة أخرى:

والله قدر أن تكون خليفة خير البرية وارتضاك المرتضى

ويقول في عمر بن عبد العزيز:

نال الخلافة إذ كانت له قدرٌ كما أتى ربّه موسى على قدرٍ

ثورة الحسين ظروفها الاجتماعية وآثارها الإنسانية، محمد مهدي شمس الدين، المؤسسة الدولية للدراسات

والنشر، بيروت، ط7، 1417 هـ، ص 98

ويقول:

ذو العرش قدر أن تكون خليفة مُلِّكْتَ فاعلٌ على المنابرِ واسلم¹

5. أسلوب القتل والإرهاب والتشريد

واحد من الأساليب التي ابتكرها معاوية أو قد نشأت فخدمت توجه معاوية في تأمره على الناس بالإكراه، "فهنا عامل نفسي وهو الخوف، وعامل اجتماعي وهو الوضع القبلي كانا يُعدان بالإنسان المسلم عن الثورة، ويحملانه على تقبل حياته على ما فيها من نكد وقسوة وحرمان، ولكنهما ما كانا ليحملا الرضى الباطني لروحه القلقة المعذبة، بالإضافة التضليل الديني الذي تكفل بإيجاد تبرير ديني للوضع الاجتماعي الشاذ الذي كان عليه المجتمع الإسلامي، وأريد منه حمل الجماهير المسلمة على السكوت عن النقد².

لقد كان الذوق الأموي في التعاطي مع الدين والحياة أمرا شادا وعلى جميع المستويات، وإن نشأة الدولة الأموية على مفترق هذين الطريقين: طريق الخلافة الإسلامية وطريق الهرقلية

1 علي امام البررة، أبو القاسم الموسوي الخوئي، دار الهدى، ج 3، ص 407
ثورة الحسين ظروفها الاجتماعية وآثارها الإنسانية، محمد مهدي شمس الدين، المؤسسة الدولية للدراسات والنشر، بيروت، ط7، 1417 هـ، ص 99-100

الكسروية، هي الحادث الجلل في صدر الإسلام، وهي الحادث الجلل الذي يقر تبعتها في التاريخ الإسلامي بل في التاريخ العالمي كله¹.

وكان أشد الناس بلية أهل الكوفة لكثرة من بها من الشيعة، فجعل ابن زياد واليا عليه بالإضافة للبصرة. فجعل يتتبع الشيعة وهو عارف بهم. "يقتلهم تحت كل حجر ومدر، وأخافهم وقطع الأيدي والأرجل وصلبهم في جذوع النخل، وسمل أعينهم وطردهم وشردهم، حتى نفوا عن العراق فلم يبق بها أحد معروف مشهور فهم بين مقتول أو مصلوب أو محبوس أو طريد أو شريد."²

6. الحكم الأموي ومبتدعاته السياسية

لقد استثمر معاوية الانقسام الذي حدث في عهد الخليفة الثاني الذي أسس مفهوما عرف باجتهاد الرأي مقابل اجتهاد النص الذي تبناه الإمام علي عليه السلام. وانتهج عثمان من بعده ومعاوية والآخرين منهج الرأي. ولعل أول من أشار الى المنهجين هو بن ابي الحديد في

1 علي امام البررة، أبو القاسم الموسوي الخوئي، دار الهدى، ج 3، ص 397: عن: معاوية في الميزان، عباس العقاد، ج 3، ص 543، ضمن موسوعة العقاد، دار الكتاب العربي، بيروت
2 الاحتجاج مناظرات وخطب واحتجاجات ومفاخرات الرسول المصطفى وأهل بيته عليهم السلام، أبي منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي (ت القرن السادس)، دار المرتضى، بيروت، 2008، ج 1، ص 263.

معرض استعراضه لخصائصه الخلقية وفضائله النفسانية والدينية فيقول واصفا أمير المؤمنين عليه السلام: "وأما الرأي والتدبير فكان من أسدّ الناس رأيا وأصحهم تدبيرا وهو الذي أشار على عمر بن الخطاب لما عزم على أن يتوجه بنفسه إلى حرب الروم والفرس بما أشار وهو الذي أشار على عثمان بأمور كان صلاحه فيها ولو قبلها لم يحدث عليه ما حدث وإنما قال أعداؤه لا رأي له لأنه كان متقيدا بالشريعة لا يرى خلافها ولا يعمل بما يقتضي الدين تحريمه وقد قال عليه السلام لو لا الدين والتقى لكنت أدهى العرب. وغيره من الخلفاء كان يعمل بمقتضى ما يستصلحه ويستوقفه سواء أكان مطابقا للشرع أم لم يكن ولا ريب أن من يعمل بما يؤدي إليه اجتهاده ولا يقف مع ضوابط وقيود يمتنع لأجلها مما يرى الصلاح فيه تكون أحواله الدنيوية إلى الانتظام أقرب ومن كان بخلاف ذلك تكون أحواله الدنيوية إلى الانتثار أقرب"¹. وأضاف بن أبي الحديد في معرض رفض علي عليه السلام شرط عبد الرحمن بن عوف على أن يسير عليه السلام بسنة الرسول والشيخين فقال: " أن عليا عليه السلام كان لا يرى مخالفة الشرع لأجل السياسة سواء أكانت تلك السياسة دينية أو دنيوية. أما الدنيوية فنحو أن يتوهم الإمام في إنسان أنه يروم فساد خلافته من غير أن يثبت ذلك عليه يقينا فإن عليا عليه السلام لم يكن يستحل قتله ولا حبسه ولا يعمل بالتوهم وبالقول غير المحقق. وأما

1 شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، دار الكتب العلمية، بيروت، ج 1، ص 28.

الدينية فنحو ضرب المتهم بالسرقة فإنه أيضا لم يكن يعمل به بل يقول إن يثبت عليه بإقرار أو بينة أقمت عليه الحد وإلا لم أعترضه. وغير علي عليه السلام قد كان منهم من يرى خلاف هذا الرأي ومذهب مالك بن أنس العمل على المصالح المرسله وأنه يجوز للإمام أن يقتل ثلث الأمة لإصلاح الثلثين ومذهب أكثر الناس أنه يجوز العمل بالرأي وبغالب الظن وإذا كان مذهبه عليه السلام ما قلناه وكان معاوية عنده فاسقا وقد سبق عنده مقدمة أخرى يقينية هي أن استعمال الفاسق لا يجوز ولم يكن ممن يرى تمهيد قاعدة الخلافة بمخالفة الشريعة فقد تعين مجاهرته بالعزل وإن أفضى ذلك إلى الحرب"¹.

فأمير المؤمنين عليه السلام كان ملتزما بمنهج النص رافضا ما يميل اليه الرأي المخالف للشريعة. وأمتد العمل بمنهج الرأي هذا "حيث لا نص من كتاب ولا السنة"² من وفاة أمير المؤمنين علي عليه السلام عام 40 هـ.

وقد أحتج أمير المؤمنين على من قال بالرأي في الشرع والاختلاف في الفتوى، وأن يتعرض بحكم بين الناس من ليس لذلك بأهل وذكر وجه الاختلاف من اختلف في الدين والرواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. فمما روي عنه عليه السلام أنه قال: "ترد

1 شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، دار الكتب العلمية، بيروت، ج 10، ص 246.

2 تاريخ التشريع الإسلامي، عبد الهادي الفضلي، الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية، لندن، 1992، ص

على أحدهم القضية في حكم من الأحكام فيحكم فيها برأيه، ثم ترد تلك القضية بعينها على غيره فيحكم فيها بخلاف قوله، ثم يجتمع القضاة بذلك عند الإمام الذي استقضاهم فيصوب آرائهم جميعا، وإلهم واحد، ونببهم واحد، وكتابهم واحد، أ فأمرهم الله سبحانه بالاختلاف فأطاعوه، أم نهاهم عنه فعصوه، أم أنزل الله دينا ناقصا فاستعان بهم على إتمامه أم كانوا شركاء له فلهم أن يقولوا وعليه أن يرضى، أم أنزل الله سبحانه دينا تاما فقصر الرسول صلى الله عليه وآله عن تبليغه وأدائه، والله سبحانه يقول: {مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ} ¹، وفيه تبيان كل شيء وذكر أن الكتاب يصدق بعضه بعضا، وأنه لا اختلاف فيه فقال سبحانه: {وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا} ² وأن القرآن ظاهره أنيق، وباطنه عميق، لا تفني عجائبه، ولا تنقي غرائبه، ولا تكشف الظلمات إلا به ³.

"لقد تميّزت لبني أمية في الجاهلية و صدر الإسلام خلائق عامة يوشك أن تسمّى -
لعمومها بينهم - (خلائق أموية)، وهي تقابل ما نسميه في عصرنا بالخلائق الدنيوية أو النفعية، ويراد بها أن المرء يؤثر لنفسه وذويه، ولا يؤثر عليها وعليهم في مواطن الإيثار.

1 الأنعام 38

2 النساء 82

3 الاحتجاج مناظرات وخطب واحتجاجات ومفاخرات الرسول المصطفى وأهل بيته عليهم السلام، أبي منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي (ت القرن السادس)، دار المرتضى، بيروت، 2008، ج 1، ص 263.

وهذه الخلائق الأموية دنيوية نفعية تميل بالمتخلقين بها إلى مناعم الحياة، وتحبب إليهم العيش الرغد والمنزل الوثير، وتغريهم بالنعم واللذات، يغدقونها على أنفسهم وعلى الأقربين، فهي عندهم قسطاس البر بمن يحبون كما يحبون. وقد عرف خيارهم ديناً وصلاً بهذه الخلائق الأموية، كما عرف بها كثيرون منهم لم يشتهروا بدين ولا صلاح¹.

واعتمد الحكم الأموي على العنف "حيث التضييق على أهل البيت عليهم السلام والضغط على شيعتهم بالقتل والسجن والتعذيب بغية القضاء على مدرسة أهل البيت لتبنيها منهج النص ورفضها رفضاً صريحاً وحازماً منهج الرأي.

ذلك المنهج الذي قام عليه حكم الأمويين، والذي أفادوا منه كثيراً في تبرير تصرفاتهم المخالفة من قبل الفقهاء الأذنان الضالعين في ركابهم، بوضع الآراء الشخصية في ضوء اجتهاد الرأي لتصبغ تلك التصرفات بالصبغة الشرعية. ومن هذا كشاهد واحد فقط: إعلان معاوية وجوب سب علي عليه السلام رسمياً، الذي علله غير واحد من فقهاء أهل السنة بأنه اجتهاد من معاوية، يقول الحجوي: في ترجمة معاوية: "ومن أقبح ما يذكر في تاريخه سبه لعلي -كرم الله وجهه-، ولولا أنه في (صحيح مسلم) ما صدقت بوقوعه منه، وما أدري ما

1 علي امام البررة، أبو القاسم الموسوي الخوئي، دار الهدى، ج 3، ص 399: عن معاوية في الميزان، عباس العقاد، ج 3، ص 613، ضمن موسوعة العقاد، دار الكتاب العربي، بيروت

وجه اجتهاده فيه، حتى كان سنة من بعده، والله يغفر له، وليست العصمة إلا للأنبياء"¹.
وصحيح جدا أن العصمة للأنبياء، ولا أدري أحتاج عدم السب الى عصمة أم هو أمر منهي
عنه في الإسلام!

"ولما مات الحسن بن علي عليهما السلام حج معاوية فدخل المدينة وأراد أن يلعن عليا
على منبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقبل له: إن ههنا سعد بن أبي وقاص ولا نراه
يرضى بهذا²، فابعث إليه وخذ رأيه، فأرسل إليه وذكر ذلك فقال: إن فعلت لأخرجن من
المسجد ثم لا أعود إليه، فأمسك معاوية عن لعنه حتى مات سعد، فلما مات، لعنه على
المنبر³، وكتب إلى عماله أن يلعنوه على المنابر، ففعلوا"⁴، "وقامت الخطبة في كل مكان

1 تاريخ التشريع الإسلامي، عبد الهادي الفضلي، الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية، لندن، 1992، ص
85، عن الفكر السامي: ج1، ص 276.

2 أي منطلق سخيف هذا، يهابون سعدا بن أبي وقاص ولا يخشون الله

3 وهنا تحققت أمنيته أن يسب عليا من على منبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفي مسجده الذي
كان مشعل نور وهداية الى آفاق الأرض وأن يحولّه الى أداة لعن وسب وتفريق بين الناس وتوهين الدين.
وذهب بذلك سنة في الأمصار متحديا من مسجد رسول الله سنة الله في تحريم السب، وكان أول اعلان من
معاوية في تشريع السب.

4 بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار، محمد باقر المجلسي (ت 1111 هـ) دار الإحياء،
بيروت، 1983م، ج 33، ص 176. انظر الهامش

على المنابر بلعن علي بن أبي طالب عليه السلام والبراءة منه والوقية في أهل بيته واللعنة لهم بما ليس فيهم عليهم السلام.¹

7. نظام الحكم الأموي انقلاب على نظام حكم الخليفة

"كان ظهور نظام الخلافة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، فأصبح نظاماً جديداً فريداً، وفتح باب الاجتهاد، ثم كانت مرحلة الخلافة الأموية حيث انحصرت الخلافة في البيت الأموي، وأصبحت تتبع مبدأ الوراثة، وقد وقف كبار الصحابة رضوان الله عليهم من بيعة يزيد ابن معاوية يوم أن اغتصبت السلطة من المسلمين لأول مرة، موقف الرفض والثورة المسلحة، لما أراد معاوية بن أبي سفيان أخذ الحكم لابنه يزيد بالإكراه عن غير رضا المسلمين، وكان ذلك نتيجة مشورة من المغيرة بن شعبة والي معاوية على الكوفة، فكان بذلك أول من حَضَّ على ارتكاب جريمة اغتصاب السلطة في الإسلام لأول مرة"².

1 بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار، محمد باقر المجلسي (ت 1111 هـ) دار الإحياء، بيروت، 1983م، ج 33، ص 176.

2 علي امام البررة، أبو القاسم الموسوي الخوئي، دار الهدى، ج 3، ص 404: عن: الإسلام نظام إنساني، مصطفى الرافي، ص 30.

"في هذا العصر تلاحظ انقلاباً شاملاً بل جذرياً في تطبيق الخلافة كنظام للحكم، فبالإضافة إلى تحولها إلى السياسة وابتعادها عن جوهرها الأول كعمل ديني. فقد أخذ الخليفة في هذا العصر ليغرف من مظاهر الأبهة غرماً، فاتخذت السرر، وأقيمت الشرطة، كما أصبح من مبتدعات هذا النظام أن يكون للخليفة مقصورة خاصة في المسجد، يقوم حولها الحرس حين أداء الصلاة. وفي هذا العصر أيضاً بدأ معاوية السنّة الجديدة في توريث الملك، واستعمل في إقرارها كل أنواع الحيل والدهاء، حتى أصبح هذا النظام متبعاً عند المسلمين منذ ذلك الحين"¹. وأن الملاحظات العامة على الحكم الأموي تتلخص فيما يلي:

1. "ظهرت العداوة من بدعة تعيين ولي العهد وحصر الخلافة في بيت واحد، وتفشّت أمراض المنافسة والحقد بين أفراد البيت الأموي، ولقيت المؤامرات في البلاط أرضها الخصيبة، وهذا -في نظرنا- كان له أكبر الأثر في زوال الدولة الأموية.
2. يتبين لنا دون عناء في الدرس والتمحيص أن النظام الأموي كان نظاماً لا يمت إلى الخلافة الحقيقية بصلة. تلك الطريقة التي عرفناها في العهد الراشدي، إذ أنها كانت غير شورية وديكتاتورية بالمعنى الحديث.

1 علي امام البررة، أبو القاسم الموسوي الخوئي، دار الهدى، ج 3، ص 400: عن: الأصول الفكرية للثقافة الإسلامية، محمود الخالدي، دار الفكر، عمّان، 1404 هـ، ج 3، ص 16.

3- في هذا العصر ظهر جلياً أثر البيئة في تطور نظام العامة، إذ أنه لما كانت المدينة حاضرة الدولة العربية في العهد الراشدي كانت السيادة والنفوذ فيها للعنصر العربي، وقام ذلك النظام الذي يتفق مع طبيعة العرب في بيئتهم الأصلية، فلما أصبحت دمشق حاضرة الدولة العربية تأثر العرب بالبيئة التي عاشوا فيها، وكان من الطبيعي أن يتحول نظامهم الشوري إلى نظام ملكي أو قيصري بكل ما فيه من تجديدات كانت مجهولة لدى الشعوب العربية، وبالتالي فقد كادت أن تنتفي الصفة الدينية للخليفة، وأصبح عمله سياسياً بحتاً واتسمت بسمات الدكتاتورية، يداناً على ذلك قول عبد الملك بن مروان وهو على المنبر: من قال لي بعد عامي هذا: اتق الله ضربت عنقه"¹.

لقد ابتدع معاوية نظاماً في الحكم "فأدخل مبدأ الوراثة الذي ينافي روح الإسلام وعندما فكّر معاوية بتوريث ابنه يزيد الخلافة من بعده استحدث للنظم الإسلامية تقليداً جديداً غير به

1 علي امام البررة، أبو القاسم الموسوي الخوئي، دار الهدى، ج 3، ص 404: عن: الإسلام نظام إنساني، مصطفى الرافي، ص 31-41.

سنّة السلف، وتشبّه بملوك الفرس والبيزنطيين، وحول الخلافة . كما قال الجاحظ: إلى ملك كسروي وعصب قيصري"¹.

لقد تمسك معاوية ومن بعده بعقيدة الجبر رافضاً بذلك عقيدة القدرية الداعية الى حرية الإرادة والاختيار . فهذه هي العقيدة التي تلائمهم في الميدان السياسي؛ لأنها توحى إلى الناس بأن وجود الأمويين وتصرفاتهم مهما كانت شاذة وظالمة ليست سوى قدر مرسوم من الله لا يمكن تغييره ولا تبديله، فلا جدوى من الثورة عليه"². لقد "كانت السلطة الأموية ترفع راية جبرية صريحة، تبرّر تحتها مظالم الحكم ومفاسده الشائعة، فضلاً عن تبرير شرعية وجودها باعتبار أن ذلك كله إنما كان قضاءً من الله وقدرًا مقدورًا"³.

بينما لم يكن ذلك ممكناً لأمير المؤمنين بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أن يحيد عن النص، كما أصبح ذلك ممكناً حيث جوزه الخلفاء من بعده، وبمقارنة بين سياستي علي عليه السلام وعمر من جهة وبين سياستي علي عليه السلام ومعاوية، فإن كلا من عمر

1 علي امام البررة، أبو القاسم الموسوي الخوئي، دار الهدى، ج 3، ص 402: عن: النظم الإسلامية نشأتها وتطورها، صبحي الصالح، دار العلم للملايين، بيروت، ط 1، ص 87.

2 ثورة الحسين ظروفها الاجتماعية وآثارها الإنسانية، محمد مهدي شمس الدين، المؤسسة الدولية للدراسات والنشر، بيروت، ط7، 1417 هـ. ص 96

3 علي امام البررة، أبو القاسم الموسوي الخوئي، دار الهدى، ج 3، ص 405: عن: السلطة في الإسلام، العقل الفقهي السلفي بين النص والتاريخ، عبد الجواد ياسين،

ومعاوية عملا بالرأي والاستحسان وهذا العمل يمكنهما من بلوغ أعلا مراتب السياسة بمعناها المرجو في تحقيق المآرب الدنيوية. إذ يلزم ذلك في تأويل النص ولويه إذا اقتضى الحال، و "إعلم أن السائس لا يتمكن من السياسة البالغة إلا إذا كان يعمل برأيه وبما يرى فيه صلاح ملكه وتمهيد أمره وتوطيد قاعدته سواء وافق الشريعة أو لم يوافقها ومتى لم يعمل في السياسة والتدبير بموجب ما قلناه فبعيد أن ينتظم أمره أو يستوثق حاله وأمير المؤمنين كان مقيدا بقيود الشريعة مدفوعا إلى اتباعها ورفض ما يصلح اعتماده من آراء الحرب والكيد والتدبير إذا لم يكن للشرع موافقا فلم تكن قاعدته في خلافته قاعدة غيره ممن لم يلتزم بذلك ولسنا بهذا القول زارين على عمر بن الخطاب ولا ناسبين إليه ما هو منزه عنه ولكنه كان مجتهدا يعمل بالقياس والاستحسان والمصالح المرسلة ويرى تخصيص عموميات النص بالآراء وبالاستنباط من أصول تقتضي خلاف ما يقتضيه عموم النصوص ويكيد خصمه ويأمر أمراءه بالكيد والحيلة ويؤدب بالدرة والسوط من يتغلب على ظنه أنه يستوجب ذلك ويصفح عن آخرين قد اجترموا ما يستحقون به التأديب كل ذلك بقوة اجتهاده وما يؤديه إليه نظره.

ولم يكن أمير المؤمنين عليه السلام يرى ذلك وكان يقف مع النصوص والظواهر ولا يتعداها إلى الاجتهاد والأقيسة ويطبق أمور الدنيا على أمور الدين ويسوق الكل مساقا واحدا ولا يضيع ولا يرفع إلا بالكتاب والنص فاختلفت طريقتاهما في الخلافة والسياسة وكان عمر مع ذلك شديد الغلظة والسياسة وكان علي عليه السلام كثير الحلم والصفح والتجاوز فازدادت

خلافة ذاك قوة وخلافة هذا لنا ولم يمنّ عمر بما مني به علي عليه السلام من التي أوجته إلى مداراة أصحابه وجنده ومقاربتهم للاضطراب الواقع بطريق تلك الفتنة ثم تلا ذلك فتنة وفتنة ثم فتنة وكل هذه الأمور مؤثرة في اضطراب أمر الوالي وانحلال معاهد ملكه ولم يتفق لعمر شيء من ذلك فشتان بين الخلافتين فيما يعود إلى انتظام المملكة وصحة تدبير الخلافة.¹

والتجربة حديثة لم يتعاهد المسلمون على الإلزام بكل جوانبها في حياتهم العامة، فلم يتسن لأمير المؤمنين "أن يقهرهم يومئذ على التعبد بالنص فرقاً من انقلابهم إذا قاومهم وخشية من سوء عواقب الاختلاف في تلك الحال وقد ظهر النفاق بموت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقويت بفقده شوكة المنافقين وعتت نفوس الكافرين وتضعفت أركان الدين وانخلعت قلوب المسلمين، حيث صاروا بعده كالغنم المطيرة في الليلة الشاتية بين ذئاب كاسرة ووحوش ضارية، وقد ارتدت طوائف من العرب وهمت بالردة أخرى وعظم قلق السلف الصالح على الإسلام واشتد فرقههم على أمة سيد الأنام فصبروا على مخالفة النص بقيا على المسلمين واحتياطا على الدين. صبروا وفي أعينهم من ذلك قذى وفي حلوهم منه شجى كما قالوا.

وأشفق علي أمير المؤمنين أن يظهر إرداة القيام بأمر الناس مخافة البائقة وفساد العاجلة والأجلة، والقلوب على ما وصفنا والمنافقون على ما ذكرنا، يعضون عليهم الأنامل

1 شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، دار الكتب العلمية، بيروت، ج 10، ص 212-213.

من الغيظ وأهل الردة على ما بينا والأنصار قد خالفوا المهاجرين، وانحازوا عنهم يقولون منا أمير ومنكم أمير. فدعاه النظر للدين إلى الكف عن الاظهار والتجافي عن الأمور، وعلم أن طلب الخلافة والحال هذه يستوجب التغيير في الدين والخطر بالأمة فاختر الكف ضناً بالدين وايثاراً للأجلة على العاجلة.

غير أنه قعد في بيته (ولم يبايع حتى أخرجه كرهاً) احتفاظاً بحقه واحتجاجاً على من عدل عنه، ولو أسرع إلى البيعة ما تمت له حجة ولا سطع له برهان، ولكنه جمع فيما فعل بين حفظ الدين والاحتفاظ بحقه من امرة المؤمنين، فدل ذلك على أصالة رأيه ورجاحة علمه وسعة صدره وشدة زهده وفرط سماحه وقلة حرصه، ومتى سخت نفس امرئ عن هذا الخطب الجليل والأمر الجزيل ينزل من الله تعالى بغاية منازل الدين، وإنما كانت غايته مما فعل أربح الحالين له وأعود المقصودين عليه. أما الخليفة الأول وأتباعه (رض) أجمعين فقد تأولوا النص عليه بالخلافة للأسباب التي قدمناها، ولا عجب منه في ذلك بعد الذي نبهناك اليه من عدم تعبدهم بما كان من نصوصه، متعلقاً بالسياسات والتأميرات وتدبير قواعد الدولة وتقرير شؤون المملكة¹.

1 الفصول المهمة في تأليف الأمة، عبد الحسين شرف الدين الموسوي، مؤسسة البعثة، 1377 هـ، ط1، ص 98-99

ولهذه الأسباب وغيرها لم يدفعهم الإمام عليه السلام بالتعبد بالنص خوفا على تفرق الأمة وانفضاض كلمة الإسلام والتطاحن بين مدرستي النص والرأي فيما لا زال المسلمون حديثي عهد بالإسلام منهاجاً لحياتهم وتفكيرهم، "ألم يقسم أمير المؤمنين ليسلمن وليتركن المخالفة لهم إذا كان في تسليمه ونزوله عن حقه سلامة أمور المسلمين ولم يكن الجور والحيف إلا عليه خاصة وهذا كلام مثله عليه السلام لأنه إذا علم أو غلب على ظنه أنه أن نازع وحارب دخل على الإسلام وهن وثلم لم يختار له المنازعة وإن كان يطلب بالمنازعة ما هو حق وإن علم أو غلب على ظنه بالإمساك عن طلب حقه إنما يدخل التلم والوهن عليه خاصة ويسلم الإسلام من الفتنة وجب عليه أن يغضي ويصبر على ما أتوا إليه من أخذ حقه وكف يده حراسة للإسلام من الفتنة فيقول عليه السلام: [لَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي أَحَقُّ بِهَا مِنْ غَيْرِي وَوَاللَّهِ لَأُسْلِمَنَّ مَا سَلِمَتْ أُمُورُ الْمُسْلِمِينَ وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا جَوْرٌ إِلَّا عَلَيَّ خَاصَّةً الْتِمَاساً لِأَجْرِ ذَلِكَ وَفَضْلِهِ وَزُهْداً فِيمَا تَنَافَسْتُمُوهُ مِنْ زُحْرَفِهِ وَزَبْرَجِهِ]¹.

1 شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، دار الكتب العلمية، بيروت، ج 6، ص 166-167.

8. تشويه السيرة المطهرة عن الرسول، وذمّ أمير المؤمنين عليه السلام

لقد خلقت لنا مدرسة معاوية في الرواية والحديث ألواناً من الأحاديث النبوية المختلفة والموضوعة في تشويه السيرة المطهرة عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وذمّ أمير المؤمنين عليه السلام وسبه. ويظهر أنّ هذا الاتجاه اعتُبر سياسة ثابتة في مهمات الدولة الثقافية، فنجد "أنّ هشام بن عبد الملك طلب من ابن شهاب الزهري أن يقول في قوله تعالى: [وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ]¹، أي الذي تولى كبره هو علي بن أبي طالب عليه السلام، فأبى وقال: هو عبد الله بن أبي سلول. وعندما طلب خالد من عبد الله القسري والي العراق في عهد هشام بن عبد الملك من ابن شهاب الزهري أن يكتب سيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، يقول ابن شهاب: فقلت له: فإنّه يمرّ بي الشيء من سيرة علي بن أبي طالب فأذكره؟ ولكنّ خالداً القسري رفض أن يأذن لابن شهاب في ذكر علي عليه السلام إلاّ إذا كان ذكره يتضمّن قدحاً وذمّاً"². ولم يدع معاوية في هذا المجال ذريعة الا استفاد منها، واستفرغ كل ما كان في وسعه من فكر وقوى في تحقيق الإساءة الى شخص أمير المؤمنين وسيرته

1 النور 11

2 ثورة الحسين ظروفها الاجتماعية وآثارها الإنسانية، محمّد مهدي شمس الدّين، المؤسسة الدوليّة للدراسات والنشر، بيروت، ط7، 1417 هـ، ص 92

ويحاول أن يسدل على دوره بل مدرسته وهي مدرسة أهل البيت عليه السلام ستار النسيان أو أقله التشويه وإبعاد الناس ولأجيال اللاحقة من اتباعه، حتى ان مرتزقته وعملائه لم يهنوا لحظة من مساعدته في ذلك.

ويمكنك من خلال دراسة هذه الاخبار والاحاديث المنسوبة بهتانا الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان تقف على فضائل مختلقة ترفع من شأن الخلفاء اكثر من ذلك، ونشاهد احاديث مختلقة اكثر توهينا وازدراءً بحق أهل البيت عليهم السلام وضعتها ايادي الوضّاعين الذين عملت الآلة الأموية على تمويلها وشحذ هممها، أيادي العصبية المفرطة للحط من مقام

النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتشويه شخصيته. وفي هذا المجال نضيف على ما ذكر سابقا أحاديث في كتاب الطهارة في سنن الترمذي¹ كنموذج فقط في هذا المجال، هذه الأحاديث جعلت من الرسول الكريم يقول ما لا يفعل وحاشاه ذلك، ويلزم أمته بما لا يلزم به نفسه. لقد تجرأ بنو أمية على فعل ذلك وتم لهم ذلك بتكميم الأفواه وإتلاف كل ما لا يتماشى مع مخططهم الثقافي الشرير بالمال من جهة وبرفع الوضع من الوضّاعين من جهة أخرى وبالنفى والقهر والقتل من جهة ثالثة. وهنا اريد ان ارفع تساؤلات:

1- لماذا تُعرض شخصية الرسول بهذه الصورة المشوهة التي لا أجرؤ أن اصفها به كما

وصفتها الأحاديث التي رواها الترمذي في كتاب الطهارة؟

2- كيف أن الصحابة بعده لم يستنوا بهذه السنّه -المروية بتلك الأحاديث- حتى وان

كانت تأديبية وليست تحريمية. علام إذن فعلها الرسول وامتنع الصحابة عن فعلها؟

مثلا ما جاء في سنن الترمذي: "حدثنا هناد حدثنا وكيع عن الأعمش عن أبي وائل

عن حذيفة أن النبي صلى الله عليه (وآله) وسلم أتى سباطة (كناسة) قوم فبال عليها

1 سنن الترمذي، كتاب الطهارة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج1، ص 13-32: جاء في باب في النهي عن استقبال القبلة بغائط أو بول في الحديث 8: [قال رسول الله صلى الله عليه وآله) وسلم إذا أتيتم الغائط فلا تستقبلوا القبلة بغائط ولا بول ولا تستدبروها ولكن شرقوا أو غربوا]. وقد علق على هذا الحديث في الصفحة التالية ان قال أبو الوليد المكي: قال أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي إنما معنى قول النبي صلى الله عليه وآله) وسلم لا تستقبلوا القبلة بغائط ولا ببول ولا تستدبروها إنما هذا في الفيافي وأما في الكنف المبنية له رخصة في أن يستقبلها وهكذا قال إسحق بن إبراهيم وقال أحمد بن حنبل رحمه الله إنما الرخصة من النبي صلى الله عليه وآله) وسلم في استدبار القبلة بغائط أو بول وأما استقبال القبلة فلا يستقبلها كأنه لم ير في الصحراء ولا في الكنف أن يستقبل القبلة" انتهى. لم أعطيت الرخصة أو هكذا فسرت من قبل الآخرين لا تبريرا وإنما هي فقط لتؤكد الروايات التي يناقض نصها هذا الحديث والتي رويت عن مشاهدات الآخرين (كما زعموا) مثل بن عمر وحذيفة وغيرهم مما سيأتي الكلام عنهما، فأى منهما كان فإنه لا ينبغي أن تستقبل أو تستدبر القبلة لا في الفيافي ولا في المراحيض (الكنف المنية) على رأي، وعلى رأي بن حنبل ان الرخصة هي في استدبار القبلة فقط وليس في استقبالها. جيد ولكن لم يستقم هذا الكلام، ففي الأحاديث التي تلي هذا الحديث مباشرة تجد عين التناقض وهي تباعا حديث 9: "عن مجاهد عن جابر بن عبد الله قال نهى النبي صلى الله عليه وآله) وسلم أن نستقبل القبلة ببول فرأيت قبل أن يقبض بعام يستقبلها". بمعنى أوضح أن الرسول لم يقل بذلك انما ينقل عن ادعا انه رآه! عجيب والله. وفي حديث 10: "عن أبي قتادة أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم يبول مستقبلا للقبلة!!!". حديث 11: "عن ابن عمر قال رقيت يوما على بيت حفصة (أيجوز ذلك والله سبحانه وتعالى يقول: {وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَأَقْبُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} البقرة 189، فرأيت النبي صلى الله عليه وآله) وسلم على حاجته مستقبلا الشام مستدبر الكعبة قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح" غفرانك اللهم! عذرا يا سيدي يا رسول الله... أيمن هذا لرسول الله وهو الذي قد أمر الناس بعدم استدبار الكعبة من جهة وهو نفسه لا يلتزم بذلك؟ وكيف جوز الرسول لنفسه ان يقضي حاجته في فناء الدار وعلى مرأى من الآخرين وهو يأمر الناس بأن يتواروا عن الناس حال قضاء حاجتهم كما في الحديث التالي المدون بعد صفتين من هذا الحديث وهو الحديث رقم 20 في باب ما جاء أن النبي صلى الله عليه وآله) وسلم كان إذا أراد الحاجة أبعد في المذهب (المكان) حديث 20: "حدثنا محمد بن بشار حدثنا عبد الوهاب الثقفي عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن المغيرة بن شعبة قال==

==كنت مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم في سفر فأتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم حاجته فأبعد في المذهب" (يعني المكان). أعتبر رواية حديث من ارتقى بيت رسول الله من دون أستاذان وهو ابن عمر، والذي لا يستحي من ان ينظر الى عورات الاخرين حديثاً صادقاً ويعتمد عليه؟ انتهت مثل هذه الأحاديث التي أعطيت أو رسمت صورة مشوهة عن رسول الله (حاشاه) تتنافي والصورة القرآنية لخلق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم {وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ} القلم 4. صورته بأنه يقوم بأفعال يأبى الإنسان المحترم ان تتجلى فيه مثل هذه الممارسات القبيحة. فلا غرابة ان تحفظ كرامة ومصداقية ابن عمر ولا يهم اذا هدرت كرامة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا حول ولا قوة الا بالله. والملاحظ أن تأثير بني أمية كان واضحاً في دس مثل هذه الروايات البائسة هدرًا وتوهينًا لكرامة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما فعل بنو إسرائيل مع أنبيائهم، من جهة، ومن جهة أخرى تشكيكا بصحة ما روي عنه صلى الله عليه وآله وسلم. والملاحظ من هذه الأحاديث أنه لا يهم أن يفترى عليه صلى الله عليه وآله وسلم ويعتبر حديثاً صحيحاً على ألا تهدر كرامة الراوي وهو ابن عمر المتسور على بيت رسول الله والمتجسس على عورة رسول الله (كما يدعي) والمفترى على رسول الله بأنه يقضي حاجته في فناء الدار فيكون عرضة لنظر الآخرين. فتصبح بنظر الترمذي وغيره شخصية ابن عمر أقدس من شخص رسول الله!! ويمعن هؤلاء في تشويه قدسية الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، فتمعن معي في الحديث التالي حديث 13: "حدثنا هناد حدثنا وكيع عن الأعمش عن أبي وائل عن حذيفة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أتى سباطة (كناسة) قوم فبال عليها قائماً فأتيته بوضوء فذهبت لأتأخر عنه فدعاني حتى كنت عند عقبيه فتوضأ ومسح على خفيه قال أبو عيسى وسمعت الجارود يقول سمعت وكيعاً يحدث بهذا الحديث عن الأعمش ثم قال وكيع هذا أصح حديث روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في المسح "عذرا لك يا رسول الله اي وصف وصفوك به: ان تبول قائماً رافعاً ملابسك وعلى مرأى من الناس، وعلى قارعة الطريق وفي مكان قذر (كناسة) حاشاك، ولا تأخذ معك ما تتطهر به من ماء؟ لا وألف لا ما هذا خلق الرسول الكريم الرحمة للعالمين الذي أدبه ربه فأحسن تأديبه، أيرتضيه احدنا لرمز من رموزه الدينية أو الاجتماعية أو حتى لنفسه؟ وكيف يؤخذ به حديثاً ويعد من أصحابها فيما قد كذبت عائشة كل من يقول بأن الرسول يتبول وقوفا ألم ينه الرسول عن البول وقوفا كما في الحديث 12: باب ما جاء في النهي عن البول قائماً، وهذا نص الحديث 12: حدثنا علي بن حجر أخبرنا شريك عن المقدم بن شريح عن أبيه عن عائشة قالت من حدثكم أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يببول قائماً فلا تصدقوه ما كان يببول إلا قاعدا. قال وفي الباب عن عمر ==

قائماً..¹، أيعقل هذا؟! فهذا الخليفة الثاني عمر يرفض هذه السنّة: "روى عبيد الله عن

نافع عن ابن عمر قال: قال عمر رضي الله عنه ما بليت قائماً منذ أسلمت"² أهو أكثر

تأدبا من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أم أنه لا يلتزم بالسنّة، أم لا هذا ولا ذاك؟

=وبريدة وعبد الرحمن بن حسنة قال أبو عيسى حديث عائشة أحسن شيء في هذا الباب وأصح". وهنا لا بد أن نتساءل: من أصدق عائشة ام حذيفة في الحديثين السابقين؟ ثم كيف يمكن له ان يبول وقوفا وفي حديث اخر يرويّه أنس في ان الرسول يستتر عند الحاجة كما هو في الحديث 14 في الصفحة 21 في باب ما جاء في الاستتار عند الحاجة "الحديث 14: حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا عبد السلام بن حرب الملائني عن الأعمش عن أنس قال كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا أراد الحاجة لم يرفع ثوبه حتى يدنو من الأرض". ويتكرر الوصف المشين بحق رسول الله ولكن الآن بصيغة اخرى ففي الحديث 17 في الصفحة 25 في باب ما جاء في الاستتار بالحجرين. فوصف أنه عليه الصلاة والسلام يستتجى أمام الناس والعجيب أنه لم يأخذ معه ما يستتجى به! ما أجرؤكم أيها الحمقى على الرسول الرحمة الموصوف من الله عز وجل بصاحب الخلق العظيم. لنقرأ الحديث الفرية: حديث 17: حدثنا هناد وقتيبة قال حدثنا وكيع عن إسرائيل عن أبي إسحق عن أبي عبيدة عن عبد الله قال خرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم لحاجته فقال التمس لي ثلاثة أحجار قال فأنتيته بحجرين وروثة فأخذ الحجرين وألقى الروثة وقال إنها ركس!" فلو سلمنا (تنزلا) بأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أراد ان منها يعلم أصحابه أفبهذا الأسلوب المحترق والوضيح؟ وأقل ما يقال عن هذا الأسلوب أنه لا يقبل عقلا ولا ذوقا ثم أنه لا يحتاج الى هذا التطبيق المباشر ألا يمكن شرحه وتبينه وهو الفصيح البليغ أقصرت مدارك الناس الى هذا المستوى المتدني؟ ثم أيها المفكرون كيف لي أن استوعب هذا الوصف المشين للرسول!! ألا يعلم انه يريد الحاجة فلماذا لم يأخذ معه ما يستتجى به؟ والأغرب أنه كأنما كان يحدث أطفالا لا يميزون بين الحجرة والبعرة؟! أيعقل ابن الصحراء لا يعرف ان يميز بين الحجرة والبعرة؟؟ لا حول ولا قوة الا بالله.

1 سنن الترمذي، كتاب الطهارة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج1، ص 13-32، ح 13

2 سنن الترمذي، كتاب الطهارة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج1، باب في النهي عن استقبال القبلة

بغائط أو بول، الحديث 12

3- أن الأحاديث المروية عن رسول الله مباشرة واضحة جلية وتتماشى مع الخُلق العظيم،

بينما تلك المروية عن لسان الرواة فإنها تختلف تماماً عن ذلك الخلق الرفيع؟

أما لماذا يصر على انها صحيحة؟ فهي السياسة الأموية التي اخذتها على عاتقها.

وينطلق المأجورون من الوعّاظ والمحدّثين فينفثون هذه السموم في قلوب الجماهير المسلمة

وعقولها ليشككوا في الرسول صلى الله عليه وسلم وينزعوا عنه القداسة والشرافة والخلق العظيم

ليطفئوا بها حر حقد بني أمية على بني هاشم.

ومن جهة أخرى اقتضت السياسة في تلك الأوقات الى إغفال مناقب أمير المؤمنين عليه

السلام مما اضطرت رواية الحديث إلى القول بانهم قد نسوا ذلك أو عدم ذكر أسم علي عليه

السلام في الحديث، فانا لله وانا اليه راجعون. وإليك نموذجاً مما رواه ابن عباس بتعمده نسيان

جزءاً من وصية رسول الله صلى الله عليه وآله وهي واحدة من ثلاث: "قال البخاري في كتاب

المغازي، باب مرض الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ووفاته من صحيحه حدثنا: قبيصة

حدثنا ابن عيينة عن سلمان الاحول عن سعيد بن جبير عن ابن عباس انه قال: يوم الخميس

وما يوم الخميس، ثم بكى حتى خضب دمه الحصباء فقال: اشتد برسول الله صلى الله عليه

وآله وسلم وجعه يوم الخميس فقال: ائتوني بكتاب اكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده ابداً، فتنازعوا

ولا ينبغي عند نبي تنازع فقالوا: هجر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال دعوني فالذي

انا فيه خير مما تدعوني اليه. قال: وأوصى عند موته بثلاث: أخرجوا المشركين من جزيرة

العرب، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم: قال: ونسيت الثالثة¹

9. لماذا تراتبية أسماء الخلفاء الثلاثة في أحاديث الرسول؟

وبسبب تكالب الحكم الأموي في العمل بعدم الاعتماد على النص من الكتاب والسنة في

الاجتهاد، اجتهد وبخط مواز الى الأسلوب الأول وذلك بتشويه السيرة النبوية والدس فيها

والوضع والحط من قدسية الرسول صلى الله عليه وآله مقابل الرفع من قدسية الخلفاء الثلاثة

الى أن أصبحت الأحاديث الموضوعية عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بطريقة تثير

السخرية، وذلك لاستغلال عقول الناس والإيحاء بأن الرسول أراد ذلك وإن لم يصرح بخلافتهم

منها تتابعية ترتيب أسماء الخلفاء الثلاثة بالترتيب ليفضي ذلك أن خلافتهم بعد الرسول صلى

الله عليه وآله تكون بنفس الترتيب، ولناخذ نموذجا على ذلك: "عن أبي موسى الأشعري، قال:

انطلقت مع النبي صلى الله عليه وسلم فدخل حائطا للأنصار فقضى حاجته، فقال لي: يا أبا

موسى أملك علي الباب فلا يدخلن علي أحد إلا بإذن. فجاء رجل فضرب الباب، فقلت: من

هذا؟ فقال: أبو بكر، فقلت: يا رسول الله هذا أبو بكر يستأذن، قال: ائذن له وبشره بالجنة.

1 صحيح البخاري، كتاب أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن

المغيرة البخاري، أبو عبد الله (ت 256هـ). حديث 4431

فدخل وبشرته بالجنة، وجاء رجل آخر فضرب الباب، فقلت: من هذا؟ فقال: عمر، فقلت: يا رسول الله هذا عمر يستأذن، قال: افتح له وبشره بالجنة. ففتحت الباب ودخل وبشرته بالجنة، فجاء رجل آخر فضرب الباب، فقلت: من هذا؟ قال: عثمان، فقلت: يا رسول الله هذا عثمان يستأذن، قال: افتح له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه"¹. وفي حديث آخر يؤكد هذه التراتبية بالأسماء. عن عائشة قالت: " كان النبي صلى الله عليه (وآله) وسلم مضطجعا في بيتي، كاشفا عن فخه أو ساقيه، فاستأذن أبو بكر رضي الله عنه فأذن له كذلك، فتحدث، ثم استأذن عمر رضي الله عنه، فأذن له كذلك، ثم تحدث. ثم استأذن عثمان رضي الله عنه، فجلس النبي صلى الله عليه وسلم وسوى ثيابه- قال محمد: ولا أقول في يوم واحد- فدخل، فتحدث، فلما خرج. قالت: قلت: "يا رسول الله! دخل أبو بكر فلم تهش ولم تباله، ثم دخل عمر فلم تهش ولم تباله، ثم دخل عثمان فجلست وسويت ثيابك؟ قال: "ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة؟"²، ونموذجا آخر: "أخبرنا محمد بن الحسن بن قتيبة حدثنا ابن أبي السري حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري عن يحيى بن سعيد بن العاص: عن عائشة قالت:

1 صحيح البخاري، كتاب أصحاب النبي صلى الله عليه (وآله) وسلم، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (ت 256هـ)، ح 3504

2 صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (ت 256هـ)، دار الصديق للنشر والتوزيع، 1997، ح 603/472، ج 1، ص 225

استأذن أبو بكر رضي الله عنه على النبي صلى الله عليه وسلم وأنا معه في مرط واحد فأذن له فقضى إليه حاجته وهو على تلك الحال في المرط ثم خرج ثم استأذن عليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأذن له فقضى إليه حاجته وأنا على تلك الحال في المرط ثم خرج ثم استأذن عليه عثمان بن عفان رضي الله عنه فأصلح عليه ثيابه وجلس فقضى إليه حاجته ثم خرج قالت عائشة: فقلت: يا رسول الله استأذن عليك أبو بكر فقضى إليك حاجته وأنت على حالك تلك ثم استأذن عليك عمر فقضى إليك حاجته وأنت على ذلك الحال ثم استأذن عليك عثمان فأصلحت ثيابك واحتفظت فقال: يا عائشة إن عثمان رجل حيي ولو أذنت له على تلك الحال خشيت أن لا يقضي إلي حاجته ونموذجا آخر: ليلة أسري بي رأيت على العرش مكتوبا: لا إله إلا الله محمد رسول الله، أبو بكر الصديق، عمر الفاروق، عثمان ذو النورين، يقتل مظلوما"1.

إن بني أمية حاولوا جاهدين طمس معالم الدين وجعله ممارسات سطحية ولكن أفعالهم كثيرا ما تكون جاهلية. لقد فعلوا من القبيح والفجور فزرعوه بين الولاة والرعية وأهتّموا به ثم سقوه بالغرور وتجاوزوا حق أمير المؤمنين عليه السلام. حتى قال عليه السلام في معاوية

1 سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، الألباني (ت 1420هـ)، دار المعارف، الرياض، 1992، ج 12، ص 246، ح 5617

وغيره: "إِزْرَعُوا الْفُجُورَ وَسَقِّوهُ الْعُرُورَ وَحَصِّدُوا الثُّبُورَ لَا يُقَاسُ بِآلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَحَدٌ وَلَا يُسَوَّى بِهِمْ مَنْ جَرَتْ نِعْمَتُهُمْ عَلَيْهِ أَبَدًا هُمْ أَسَاسُ الدِّينِ وَعِمَادُ الْيَقِينِ إِلَيْهِمْ يَفِيءُ الْعَالِي وَبِهِمْ يُلْحَقُ التَّالِي وَلَهُمْ خَصَائِصُ حَقِّ الْوِلَايَةِ وَفِيهِمُ الْوَصِيَّةُ وَالْوَرَاثَةُ الْآنَ إِذْ رَجَعَ الْحَقُّ إِلَى أَهْلِهِ وَنُقِلَ إِلَى مُنْقَلَبِهِ".¹، وهذا الكلام "إشارة إلى من تغلب عليه وجدد حقه كعماوية وغيره، والاستعارة واقعة موقعها لأن تماذيهما وما سكنت إليه نفوسهم من الإمهال هو الذي أوجب استمرارهم على القبائح التي واقعوها فكان ذلك كما يسقى الزرع و يربى بالماء و يستحفظ"².

10. الخلاصة:

نستخلص مما سبق أن الأمويين عملوا جاهدين على خطين متوازيين وهما تقزيم سيرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والخط منها وعدم العمل بها في أمور الخلافة والحكم وغيرها، وتوهينها وتحقيرها عند الناس وذلك بخلق الإرباك في النقل. أو من رواة هم محل شبهة أو كذابين، ومن جهة أخرى وضع الأحاديث أو شراؤها من قبل الوضاعين، واختلاقها. لتشويه شخصية الرسول صلى الله عليه وآله وأهل بيته من ذمهم وعدم ذكر مناقبهم وسبهم، ويقابل

1 شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، دار الكتب العلمية، بيروت، ج 1: ص 139

2 شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، دار الكتب العلمية، بيروت، ج 1: ص 138

هذا الفعل تقديس الخلفاء الثلاثة ورفع شأنهم أكثر من الرسول صلى الله عليه وآله، وإملاء الساحة الفكرية بفرق فكرية أربكت عقول الناس فزرعت فيهم الفتنة أو على أقل التقديرات خدّرت الأمة فكراً وأبعدتها عن المطالب الأساس من الشريعة، فتركت الظالم يعبث بمقدرات الأمة بغيه وجبروته وألبسته ثوب التقوى والعفاف والزهد، وبحكم الجبر الذي ابتدعه يُبرر طغيانه وجبروته بأنه من الله سبحانه وتعالى فظلمت الناس بأحاديث مختلقة تدعوهم الى قبول كل ما يفعله الظالم.

الفصل السادس

هل كان لأهل الكوفة موقفان متناقضان مع الإمام الحسين

عليه السلام؟

الفصل السادس

هل كان لأهل الكوفة موقفان متناقضان مع الإمام الحسين عليه السلام؟

1. تمهيد:

من الواضح من كتب السير والتواريخ أن المجتمع الكوفي قد انقسم على نفسه إلى ثلاث فئات:

1. فئة قليلة قد كانت فيمن طلب إلى الحسين القدوم إلى الكوفة ووعده النصر فيمن وعد

وها هو الحسين قد أقبل مجيئاً الدعوة فهي تفعل ما وعدته به وكان في هذه الفئة

حبيب بن مظاهر الأسدي وعابس بن أبي شبيب الشاكري، وقيس بن مسهر الصيداوي،

وعبد الرحمن بن عبد الله الأرحبي، وغيرهم

2. فئة أخرى كانت على نقيض الفئة الأولى لا تحفل بعقيدة وهي إذا كانت قد كتبت إلى

الحسين فيمن كتب وتحمست لدعوته أشد التحمس وإذا كانت تري في الحسين رجل

الساعة المفرد الذي يخلق بالتأييد والنصرة فلا ترى بأساً وقد مالت الكفة مع عبيد الله

ابن زياد أن تميل معها وتقاتل الذي دعت له لتتضوي تحت لوائه. "فلما بلغ أهل الكوفة

هلاك معاوية، أرجفوا بيزيد وعرفوا خبر الحسين عليه السلام وامتناعه وخروجه إلى

مكة، فاجتمعت الشيعة في دار سليمان بن صرد الخزاعي فذكروا ما كان، وتؤامروا

على أن يكتبوا للحسين عليه السلام بالقدوم إليهم¹

3. فئة ثالثة كانت وسطاً بين الفئتين فلا هي نصرت الحسين عليه السلام ولا هي نفرت

لقتاله ولكنها انكشفت على نفسها تنكر المنكر بقلبها حتى إذا قتل الحسين ندمت على

تركها نصرته وتلاومت فيما بينها ورأت أن قد أخطأت خطأ كبيراً ومن هذه الفئة

انبعثت فكرة الثورة التي عرف رجالها باسم التوابين. فأخذ يجتمعون بعد مقتل الإمام

الحسين عليه السلام مباشرة في إطار من السرية التامة، وعند الاجتماع يعقدون

مناقشات أشبه ما تكون بالنقد الذاتي، وذلك لمحاسبة أنفسهم على التقصير الذي

أظهروه إزاء الحسين عليه السلام، والتشاور على كيفية التكفير عن الذنب وغسل العار

الذي لحق بهم نتيجة هذا التخاذل.

1 تاريخ الكوفة، حسين ابن السيد أحمد البراقي النجفي (ت 1332 هـ)، المكتبة الحيدرية، 1424 هـ، ص

ردات الفعل بعد مقتل الحسين عليه السلام

لقد اندلعت الثورات بعد استشهاد الحسين عليه السلام رافعة شعار يالثرات الحسين على يد الجماهير وعادت اليهم الهممة والروح النضالية. فقد أيقظ استشهاد الحسين عليه السلام ضمائرهم، لأخلاء ذممهم فثاروا مستلهمين من جذوة ثورة الحسين عليه السلام قبسا يرشدهم الى محاربة الظلم واجتثاثه. فاجتمعوا حول زعيم يقودهم لنزع قيد الخنوع والاستسلام، وإرجاع الحياة والحركة للإسلام. و"حدثت عدة ثورات بعد استشهاد الحسين عليه السلام منها"¹:

1. ثورة التوابين:

التي اندلعت في الكوفة سنة 65 هـ بقيادة الصحابي سليمان بن صرد الخزاعي، وكانت ردّ فعل مباشر لمقتل الحسين عليه السلام، وانطلقت من مبدأ الشعور بالإثم والتقصير في نصرة الحسين عليه السلام.

1 موسوعة كربلاء، لبيب بيضون، مؤسسة الأعلمي، ص 299

2. ثورة أهل المدينة:

وكانت تهدف إلى تفويض سلطان الأمويين الظالم، وقد بدأت هذه الثورة بطرد والي يزيد من المدينة¹، ومعه كل الأمويين وعددهم ألف شخص. فكان من نتيجة ذلك أن بعث يزيد بالمجرم السقّاق مسلم بن عقبة المرّي، الذي اشتهر باسم (مسرف) من شدة ما أسرف في قتل أهل المدينة من أبناء الصحابة والتابعين. وقد سبى المدينة ثلاثة أيام، حتى أن جيشه اقتضّ ألف فتاة عذراء من بنات الصحابة الأجلاء.

1 ولما طرد أهل المدينة بني أمية في وقعة الحرّة أراد مروان بن الحكم أن يستودع أهله، فلم يأوهم أحد، وتكر الناس له إلا الإمام زين العابدين رحب بهم، وجعلهم من جملة عياله، وقد عال الإمام في هذه الوقعة أربعمئة امرأة. أنظر: أعيان الشيعة، محسن الأمين (ت 1371 هـ)، دار المطبوعات، بيروت، ج1، ص 625

ومما يثبت أن صفة الغدر متأصلة في مروان، أنه لما أخذ أسيرا يوم الجمل، استشفع الحسن والحسين عليهما السلام إلى الإمام عليه السلام في أن يطلق سراحه، فخلّى سبيله. فقالا لأبيهما: أتحبّ أن يبايعك يا أمير المؤمنين؟. فقال عليه السلام: أولم يبايعني بعد قتل عثمان؟ لا حاجة لي في بيعته، إنها كفّ يهودية، لو بايعني بكفّه لغدر بسبته (أي إسته). أما إنّ له إمرة كلعة الكلب أنفه. وهو أبو الأكبش الأربعة، وستلقى الأمة منه ومن ولده يوما أحمر [يقصد بالأكبش الأربعة أولاد عبد الملك بن مروان وهم: الوليد وسليمان ويزيد وهشام. أنظر: شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، دار الكتب العلمية، بيروت، ج 6: ص

3. ثورة المختار الثقفي:

الذي خرج من العراق طالبا الأخذ بالثأر من قتلة الحسين عليه السلام، وذلك سنة 66هـ. فنتبّع المختار¹ قتلة الحسين عليه السلام وآله، وقتلهم ومثّل بهم. فقتل منهم في يوم واحد مائتين وثمانين رجلا، حتّى قتل منهم الآلاف. ولم ينج منه أحد، حتّى عبید الله بن زياد وعمر بن سعد وشمر بن ذي الجوشن وأضرابهم.

1 والمختار هو ابن أبي عبيدة ابن مسعود الثقفي أبو إسحاق، من زعماء الثائرين على بني أمية، من أهل الطائف، انتقل إلى المدينة مع أبيه، وبقي المختار في المدينة منقطعاً إلى بني هاشم، تزوج عبدالله ابن عمر بن الخطاب أخت المختار صفية، وكان المختار مع علي عليه السلام بالعراق، وسكن البصرة بعد علي عليه السلام، قبض عليه عبید الله بن زياد في البصرة وحبسه ونفاه بشفاعه ابن عمر إلى الطائف، ذهب إلى الكوفة بعد موت يزيد لأخذ الثأر من قتلة الحسين، واستولى على الكوفة والموصل وتتبع قتلة الحسين عليه السلام، قتله مصعب بن الزبير بعد حرب بينهما سنة 67 هـ. انظر: اللهوف على قتلى الطّفوف، رضي الدين أبو القاسم علي بن موسى بن جعفر بن طاووس الحليّ (664 هـ)، دار الأسوة للطباعة والنشر، ج1، ص 108

الفصل السابع

لماذا هذا التناقض في المواقف والانقلاب والغدر للمجتمع الكوفي كما
تصوره الروايات؟

الفصل السابع

نظرة اجتماعية للأممصار الإسلامية

ولأجل الإجابة على التساؤل فيما إذا كان المجتمع الكوفي أو قل من بعث بالكتب للحسين يطلب قدومه قد تناقض في موقفه مع الحسين عليه السلام أم لا. لا بد وأن نستعرض حقيقة المجتمع الكوفي ووضعه النفسي ومقدار ولأئه لأهل البيت عليهم السلام جهد الإمكان من خلال استقراء الروايات. ومن ثم نحاول ان نجيب عمّن صوّر أو سعى في نشر صورة هذا التناقض في الموقف، للمجتمع الكوفي في الفصل الذي يليه!

ابتداءً قد نستغرب كثيرا لهذا السلوك المتناقض الذي فعله أهل الكوفة في استدعاء الحسين عليه السلام لنصرته ثم انقلبوا عليه قبل وفي اليوم العاشر من المحرم. فقد دعوه للمجيء الى الكوفة وتضافرت كتبهم ورسائلهم لنصرته. لقد كتبوا للحسين عليه السلام ثلاث مرات يحثوه على المجيء وبعثوا الكتب على فترات: "فكتبوا للحسين بن علي عليه السلام كتباً يدعونه فيها للبيعة وسرحوها إليه مع عبد الله بن سبع وعبد الله بن وال، ثم لبثوا يومين فكتبوا إليه مع قيس بن مسهر الصيدائي وعبد الرحمن بن عبد الله الأرحبي، ثم لبثوا يومين فكتبوا إليه مع سعيد بن عبد الله وهاني بن هاني. وصورة الكتب: "للحسين بن علي عليه السلام من

شيعة المؤمنين: أما بعد، فحيهلاً¹، فإن الناس ينتظرونك، لا رأي لهم في غيرك، فالعجل العجل، والسلام². ونموذجاً آخر من تلك الرسائل التي جاء فيها: " أما بعد، فإن الناس ينتظرونك، لا رأي لهم غيرك، فالعجل العجل يا ابن رسول الله، فقد أخضر الجناب، وأينعت الثمار، وأعشبت الأرض، وأورقت الأشجار، فاقدم علينا إذا شئت، فإنما تقدم على جندٍ مجندة لك، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته وعلى أبيك من قبلك"³.

وكما ترى فإن هذه الكتب تعبّر عن مدى استعدادهم لنصرة الحسين عليه السلام والقتال تحت رايته ضد يزيد بن معاوية الذي تسلّم السلطة والخلافة، وقد بلغ مجموع الرسائل الواصلة إليه منهم إلى اثني عشر ألف رسالة كما تذكر أغلب المصادر الإسلامية. وقد رد الحسين عليه السلام اليهم بجواب مع مسلم بن عقيل. " فسار مسلم بالكتاب حتى دخل إلى الكوفة، فلما وقفوا على كتابه كثر استبشارهم بإتيانه إليهم، ثم أنزلوه في دار المختار بن أبي عبيدة

1 اسم فعل أمر بمعنى تعال أو تعالوا. "حيهلاً (حي هلاً) الصلاة، يصل بهلاً كما يوصل بعلى فيقال حيهلاً الصلاة، ومعناه اتنوا الصلاة واقربوا من الصلاة وهلموا إلى الصلاة". أنظر: لسان العرب، ابن منظور (ت 711هـ)، دار صادر، بيروت، 1414هـ.

2 إِبصار العين في أنصار الحسين عليه وعليهم السلام، محمد طاهر السماوي، مركز الدراسات الإسلامية، 1419 هـ، ص 112

3 اللهوف على قتلى الطّفوف، رضي الدين أبو القاسم علي بن موسى بن جعفر بن طاووس الحليّ (664 هـ)، دار الأسوة للطباعة والنشر، ج1، ص 106

الثقفي، وصارت الشيعة تختلف إليه. فلما اجتمع إليه منهم جماعة قرأ عليهم كتاب الحسين

عليه السلام وهم يبكون، حتى بايعه منهم ثمانية عشر ألفاً¹.

وأراد الإمام عليه السلام من إرساله بن عمه مسلم أن يحصل لديه الاطمئنان، ويتأكد

من نصرته الكوفيين له، وأيضا لكي يطّلع على الأوضاع كلها عن قرب، ومما جاء في رسالته:

"قد نفذت إليكم ابن عمي مسلم ابن عقيل ليعرفني ما أنتم عليه من الرأي"². وأما ما جاء في

آخر رسالة بعثها الحسين عليه السلام أنه قد أكد مرة أخرى لمعرفة رأيهم وتحديد موقفهم فقال:

"بسم الله الرحمن الرحيم من حسين بن علي إلى الملائمة من المؤمنين والمسلمين أما بعد فإن

هانئا وسعيدا قدما علي بكتبكم وكانا آخر من قدم علي من رسلكم وقد فهمت كل الذي

اقتصصتم وذكرتم ومقالة جلکم إنه ليس علينا إمام فأقبل لعل الله أن يجمعنا بك على الهدى

والحق وقد بعثت إليكم أخي وابن عمي وثقتي من أهل بيتي وأمرته أن يكتب إلي بحالكم

وأمرکم ورأيکم فإن كتب إلي أنه قد أجمع رأي ملئکم وذوي الفضل والحجى منكم على مثل ما

1 اللهوف على قتلى الطفوف، رضي الدين أبو القاسم علي بن موسى بن جعفر بن طاووس الحنفي

(664 هـ)، دار الأسوة للطباعة والنشر، ج1، ص 108

2 اللهوف على قتلى الطفوف، رضي الدين أبو القاسم علي بن موسى بن جعفر بن طاووس الحنفي

(664 هـ)، دار الأسوة للطباعة والنشر، ج1، ص 108

قدمت علي به رسلكم وقرأت في كتبكم أقدم عليكم وشيكا إن شاء الله فلعمري ما الامام إلا العامل بالكتاب والآخذ بالقسط والدائن بالحق والحابس نفسه على ذات الله والسلام"1

هذا بالإضافة الى ما سمعه من الفرزدق الذي استقرأ الأجواء فقال للأمام حينما التقاه في طريقه إلى الكوفة عندما أجابه بعد أن سأله: "اخبرني عن الناس خلفك فقلت الخبير سألت قلوب الناس معك وأسيافهم عليك والقضاء ينزل من السماء والله يفعل ما يشاء فقال صدقت لله الامر من قبل ومن بعد وكل يوم هو في شأن إن نزل القضاء بما نحب فنحمد الله على نعمائه وهو المستعان على أداء الشكر وإن حال القضاء دون الرجاء فلم يبعد من كان الحق نيته والتقوى سيرته فقلت له أجل بلغك الله ما تحب وكفاك ما تحذر"2. ومن جهة أخرى فإن أهل الكوفة قد حسموا أمرهم وبيان رأيهم في انتظار الحسين عليه السلام فأجابه قائلاً: "أما بعد فان كتاب مسلم بن عقيل جاءني يخبرني فيه بحسن رأيكم، واجتماع ملائكم على نصرنا والطلب بحقنا، فسألت الله أن يحسن لنا الصنيع، وأن يثيبكم على ذلك أعظم الاجر، وقد شخصت إليكم من مكة يوم الثلاثاء، لثمان مضي من ذي الحجة يوم التروية، فاذا قدم عليكم رسولي فانكمشوا في أمركم وجدوا فاني قادم عليكم في أيامي هذه والسلام عليكم ورحمة الله

1 تاريخ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت 310 هـ)، دار التراث، ج4، ص 262

2 أعيان الشيعة، محسن الأمين (ت 1371 هـ)، دار المطبوعات، بيروت، ج1، ص 589

وبركاته)، وكان مسلم كتب إليه قبل أن يقتل بسبع وعشرين ليلة وكتب إليه أهل الكوفة أن لك

ههنا مائة ألف سيف ولا تتأخر"¹

إذن لماذا هذا التناقض في المواقف والانقلاب والغدر كما تصوره الروايات؟

للإجابة عليه علينا أن نتعرف على أمرين:

1. ولاء المجتمع الكوفي لأهل البيت عليهم السلام.

2. السياسة الأموية المتبعة مع المجتمع الكوفي.

1 بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار، محمد باقر المجلسي (ت 1111 هـ) دار الإحياء،

بيروت، 1983م، ج 44، ص 369-370

1. نظرة اجتماعية للمجتمع الكوفي

أ- عبيد الله بن زياد:

عبيد الله بن زياد الذي ولّاه يزيد بن معاوية على الكوفة بالإضافة للبصرة هو: "ابن زياد بن عبيد، المعروف بابن زياد بن أبي سفيان، ويقال له زياد بن أبيه، وابن سمية، أمير العراق بعد أبيه زياد، ويقال له عبيد الله بن مرجانة وهي أمه، وكانت مجوسية، وسيروية وكانت بنت بعض ملوك الاعاجم يزدجرد أو غيره، وأن في كلامه شيء من كلام العجم وكنيته أبو حفص، وقد سكن دمشق بعد يزيد بن معاوية، وكان مولده في سنة تسع وثلاثين. وقتله ابراهيم بن مالك الأشتر فقطعه نصفين واحتز رأسه وبعثه الى المختار يوم عاشوراء سنة ست وستين، والصواب سنة سبع وستين. وأن عبيد الله بن زياد حين قتل الحسين عليه السلام كان عمره ثمانين وعشرين سنة"¹. وأقدم ابراهيم الأشتر على حرق² جسد عبيد الله بن زياد، وكان ابراهيم الأشتر قد قتل في هذه حربه التي قادها قرب نهر الخازر القريب من الموصل ضد بن زياد وجيشه بالإضافة لعبيد الله بن زياد عدداً من قتلة الحسين بن

1 البداية والنهاية، ابي الفداء اسماعيل بن كثير الدمشقي (ت 774 هـ) ، دار احياء التراث العربي، ج 8، ص 311

2 أعيان الشيعة، محسن الأمين (ت 1371 هـ)، دار المطبوعات، بيروت، ج2، ص 201

علي عليهما السلام منهم حُصين بن نُمير وشُرحبيل بن ذي الكلاع، وكثير ممّن تلطّخت أيديهم بدماء شهداء كربلاء، وقتلهم وأحرق أجسادهم¹، أو رماها إلى الكلاب². ويقال أنه لما أُتي برأس عبيد الله بن زياد ورأس عمر بن سعد، الى الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام، فاستبشر و "خرّ ساجداً"³، وقال عليه السلام: "أبعدهُ اللهُ إلى النَّارِ"⁴، ثم دعا للمختار فقال: الحمد لله الذي أدرك لي ثأري من أعدائي، وجزى اللهُ المُختار خيراً⁵. وكان بمقتل عبيد الله بن زياد عليه لعائن الله، انفراج هموم عيال الحسين عليه السلام وأخواته عليهم السلام بأخذ ثأرهم من عدوهم قاتل سبط رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. فابتهجت نفوسهم، فيصف الإمام الصادق عليه السلام تلك الأجواء فقال: "مَا اكْتَحَلَتْ

1 التاريخ الصغير، أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، (ت 256هـ)، دار المعرفة، بيروت

2 موسوعة كربلاء، خليل زامل العصامي، دار الرسول الأكرم، ص 154

3 بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار، محمد باقر المجلسي (ت 1111 هـ) دار الإحياء، بيروت، 1983م، ج 46، ص 53

4 موسوعة كربلاء، لبيب بيضون، مؤسسة الأعلمي، ج2، ص 862

5 أعيان الشيعة، محسن الأمين (ت 1371 هـ)، دار المطبوعات، بيروت، ج1، ص 631

هَاشِمِيَّةٌ وَلَا اخْتَضَبْتُ، وَلَا رُئِي فِي دَارِ هَاشِمِيٍّ دُخَانٌ خَمَسَ حِجَجٍ، حَتَّى قُتِلَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنِ

زِيَادٍ لَعَنَهُ اللَّهُ¹

ومن المعلوم أنه "لما تولّى يزيد الخلافة جمع له (لعبيد الله بن زياد) بين البصرة

والكوفة"². "قولِي البصرة سنة خمس وخمسين، وله ثنتان وعشرون سنة، وكان جميل

الصورة، فبيح السريرة. وكان غلاماً سفيهاً، سفك الدماء سفكا شديداً، وكان عبيد الله جباناً"³

ومذموماً عند الموالين لأهل البيت عليهم السلام.

وكان مع عبيد الله بن زياد أربعة آلاف من الشرطة، ولكن هؤلاء الشرطة كانوا امتداداً

لشرطة أبيه زياد بن أبيه، وهم من الديالمة⁴، وكان بن زياد ورث عن أبيه المنصب والرتبة

1 بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار، محمد باقر المجلسي (ت 1111 هـ) دار الإحياء،

بيروت، 1983م، ج 45، ص 386

2 البداية والنهاية، ابي الفداء اسماعيل بن كثير الدمشقي (ت 774 هـ)، دار احياء التراث العربي، ج 8،

ص 311

3 سير أعلام النبلاء، شمس الدين أحمد بن محمد 3بن عثمان الذهبي (ت 1374 هـ)، مؤسسة الرسالة،

ج 3، ص 545

4 الديالمة: جيل من الناس مشهورون بالظلم والجور، وهو ديلمي من الديالمة أي عدو من الأعداء، لشهرة

هذا الجيل بالشرارة والعداوة. وبلادهم أرض الجبال بقرب قزوين، وهي ثغر أرض الديلم. أنظر: تاج العروس

من جواهر القاموس، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي (ت

1205هـ)، دار الهداية، ج 166، ص 32

الإدارية والعسكرية وحتى الولاء ممن كان مع أبيه زياد بن أبيه. وهؤلاء الديالمة أو الموالي¹ الذين سبق أن أسرهم المسلمون العرب سنة 17 للهجرة في عين تمر بقيادة سعد بن أبي وقاص، وهؤلاء قد سلطهم زياد على شيعة الكوفة، ومن ثمَّ ابنه عبيد الله، وقد أجادوا مهنة الإرهاب، فكانوا أشرارا وأعداء للموالين لأهل البيت عليهم السلام في المجتمع الكوفي.

"إنَّ الموالي في العصر الأموي كانوا تحت الضغط يحقرون بأنهم غير عرب، فلأجل ذلك لا عجب إذا رأينا صلة بينهم وبين الخوارج فإنهم وإن كانوا لا يتبنون مبادئ الخوارج ولكن كانوا يلتقون معهم بعدائهم للحكومة الأموية، ولأجل ذلك نجد أنَّ عصابة من الموالي خرجت من الكوفة فبعث إليهم المغيرة رجلا من بجيلة، فقاتلهم وقضى عليها، وهؤلاء أول خارجة خرج فيها الموالي"².

ومما سبق نرى أن هذا الشخص الذي بإقدامه على قتل الحسين عليه السلام بهذا الأسلوب الوحشي وسبي أهله وذرائه لم يتجاوز الخامسة والعشرين من عمره وقتل وهو

1 الموالي وهم الفرس والاقباط والروم

2 بحوث في الملل والنحل دراسة موضوعية مقارنة في المذاهب الإسلامية، جعفر السبحاني، مؤسسة النشر الإسلامي، ج 5، ص 165.

في الثامنة والعشرين. فكان ذو شخصية مدمومة وقذرة وسيئة وينتمي لأبوين سيئين وهما زياد بن أبيه وأمه مرجانة¹.

نحتاج وبإيجاز شديد من التعرف على طبيعة المجتمعات في كل من مكة واليمن والمدينة ومصر والبصرة وخراسان -وهي الأمصار الأساسية للحكم الأموي آنذاك- لنتمكن عندئذ من الإجابة عن التساؤل: لم اختار الحسين عليه السلام الكوفة دون غيرها؟

ب- ولاء المجتمع الكوفي:

استنتج بعض الباحثين الى أن نفسية غالبية المجتمع الكوفي نفسية مضطربة وليست على هوى أهل البيت عليهم السلام مستنتجا ذلك من شواهد تاريخية عديدة فقال: "هذه نفسية القوم عرفوا بها منذ العهد العلوي، فيوم كان يستصرهم علي عليه السلام في وقعة الجمل ويخذلهم عنه أبو موسى الأشعري، وما كان نفيهم إليه إلا بعد هن وهن، وقدم الأشر واستنفارهم بقوة بأسه، ولا تنس يوم رفع المصاحف بصفين، يوم جاؤوا بالفاجعة الكبرى شوهاء شنعاء، التقت بها حلقتا البطان، ثم ندموا على ما فرطوا في جنب ولي الله،

1 مرجانة بنت نوف وهي امة لعبد الرحمن بن حسان بن ثابت كان يصلها سفاحا العديد من الرجال من بينهم زياد ابن ابيه فباعها عبد الرحمن وهي حامل من الزنا، فولدت عبيد هما عباد وعبيد الله ابنا مرجانة لا يعرف لهما اب، فاستدعاها زياد واستلحقهما به. فكان عباد والي سجستان زمن معاوية وعبيد الله بن زياد واليا على البصرة. وقد قال الحسين عليه السلام فيه ألا وان الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين السلة والذلة وهيهات منا الذلة.

فأثاروا فتنة النهروان غير متأثمين، وألقوا المسؤولية فيها على عاتق علي عليه السلام بحجة داحضة، وبعد أن مسحهم السيف الإلهي وتطامنت النفوس على حرب معاوية، لم يبرح الإمام عليه السلام يستشيرهم الآونة بعد الآونة، وهو لا يجد إلا منتترسا بالأعدار أو متسترا بالفشل أو مضمرا غدرا، أو متحيزا إلى فئة، فجرعوه الغصص حتى مجهم وتمنى أن معاوية عوضه واحدا من الشام بعشرة منهم صرف الدينار بالدرهم، وقال فيهم: قاتلكم الله لقد ملأتم قلبي قيحا. وتلت تلك الفضائع ما إحتقبه أمام المجتبي سبط الرسول صلى الله عليه وآله يوم سار إلى معاوية فوافوا وحشوا إرهابهم عار وملء عيابهم عيوب ومخازي، وخامرهم حب الشهوات، فتركوا داعية الحق أمام معاوية فشلا، ولم يقنعهم ذلك حتى انتهبوا ثقله وهتكوا حرمة وطعنوه بمغول في فخذ. ومهما ننسى لأهل الكوفة كل كارثة، فلا ننسى يومهم مع الحسين عليه السلام، (كاتبوه) فلما حلّ بين أظهرهم قلبوا عليه ظهر المجن، وقابلوه بأسنة الرماح وشفار السيوف، فكانت هناك مجزرة لآل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم¹.

1 تاريخ الكوفة، حسين ابن السيد أحمد البراقي النجفي (ت 1332 هـ)، المكتبة الحيدرية، 1424 هـ، ص

ويسرد شواهد أخرى مثل مبايعتهم لمسلم بن عقيل ثم غدره والتخلي عنه وخذلانه، وغدرهم بالشهيد زيد بن علي، وهكذا. ولتدعيم تصويره هذا استشهد بخطبة أم كلثوم¹ بعد مقتل زوجها، فقالت: "أبدأ بحمد الله، والصلاة والسلام على نبيه، أما بعد يا أهل الكوفة، يا أهل الختر والخذل، ألا فلا رقأت العبرة ولا هدأت الرنة، إنما مثلكم كمثلي التي: {كَأَلَّتِي نَقَصْتُ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ}،² ألا وهل فيكم إلا الصلف والشنف وملق الإماء وغمز الأعداء؟ وهل أنتم إلا كمرعى على دمنة؟ وكفضة على ملحودة؟ ألا ساء ما قدمت أنفسكم أن سخط الله عليكم، وفي العذاب أنتم خالدون. أتبكون؟ إي والله فابكوا وإنكم والله أحرىء بالبكاء، فابكوا كثيرا وضحكوا قليلا، فلقد فزتم بعارها وشنارها، ولن ترحضوها بغسل بعدها أبدا، وأنى ترحضون قتل سليل خاتم النبوة، ومعدن

1 لقد حضرت أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب عليه السلام أرض كربلاء، وشاهدت واقعة الطف، وكل ما جرى على اخوتها وابنائهم وأنصارهم، إذا هي شريكة الحسين عليه السلام في أداء الرسالة المحمدية، وشريكة أختها العقيلة زينب بنت علي عليه السلام، وإن كانت أم كلثوم أصغر من زينب، إلا أن التاريخ يحدثنا عن مواقف بطولية وقفها أم كلثوم شأنها شأن أختها العقيلة. وقد اختلف المؤرخون كثيرا فيمن تكون أم كلثوم هذه: الكبرى أم الوسطى، أم الصغرى. "إن أم كلثوم بنت أمير المؤمنين عليه السلام التي كانت مع أخيها الحسين عليه السلام بكربلاء لا يُدرى أيهن هي، وهي زوجة مسلم بن عقيل، فتكون خرجت مع أخيها الحسين عليه السلام كما خرجت معه أخته زينب". أنظر: أعلام النساء المؤمنات، محمد حسون،

دار الأسوة للطباعة والنشر، 1338 هـ، ص 225-227

الرسالة، وسيد شباب أهل الجنة، ومنار محبتكم ومدرة حجتكم، ومفرخ نازلتكم؟ فتعسا ونكسا، لقد خاب السعي وخسرت الصفقة، وبؤتم بغضب من الله، وضربت عليكم الذلة والمسكنة: {لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدّاً (*) تَكَادُ السَّمُوتُ يَنْقَطِرُنَ مِنْهُ وَتَتَشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدّاً}1. أتدرون أي كبد لرسول الله فريتم؟ وأي كريمة له أبرزتم؟ وأي دم له سفكتم؟ لقد جئتم بها شوهاء خرقاء، شرها طلاع الأرض والسماء، أفعجبتم أن قطرت السماء دما {وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ}2 فلا يستخفنكم المهل، فإنه لا تحفه المبادرة، ولا يخاف عليه فوت الثأر، كلا إن ربك لنا ولهم لبالمرصاد. ثم ولت عنهم"3.

ولكن وعلى النقيض من ذلك فهناك نصوص كثيرة مروية عن أهل البيت عليهم السلام تمدح الكوفة كموضع جغرافي وأهلها نذكر قسما منها: عن أبي بصير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: [إن ولايتنا عرضت على السماوات والأرض والجبال والأمصار ما قبلها قبول أهل الكوفة]4. وتجاوز مدحها على باقي الأرضيين، عن رسول الله صلى الله

1 مريم 90-91

2 فصلت 16

3 تاريخ الكوفة، حسين ابن السيد أحمد البراقي النجفي (ت 1332 هـ)، المكتبة الحيدرية، 1424 هـ، ص 294-295

4 بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار، محمد باقر المجلسي (ت 1111 هـ) دار الإحياء، بيروت، 1983م، ج 60، ص 209

عليه وآله وسلم قال لعلي عليه السلام: [يا علي إن الله عزّ اسمه عرض ولايتك على السماوات فسبقت إليها السماء السابعة فزينها بالعرش، ثم سبقت إليها السماء الرابعة فزينها بالبيت المعمور، ثم سبقت إليها السماء الدنيا فزينها بالكواكب، ثم عرضها على الأرضين فسبقت إليها مكة فزينها بالكعبة، ثم سبقت إليها المدينة فزينها بي، ثم سبقت إليها الكوفة فزينها بك، ثم سبقت إليها قم فزينها بالعرب وفتح لها بابا من أبواب الجنة]¹.

وأن هناك من الروايات التي تعبّر عن رسوخ حب أهل البيت عليهم السلام في قلوب أهل الكوفة، وما جاء عن أبي عبد الله عليه السلام قال: "ما أخال أحدا يحنك بماء الفرات إلا أحبنا أهل البيت. وقال عليه السلام ما سقي أهل الكوفة ماء الفرات إلا لأمر ما وقال يصب فيه ميزابان من الجنة. قال الجوهرى: قوله عليه السلام لأمر ما؛ أي رسوخ الولاية في قلوب أهلها"²

وقد يحتج البعض بقول أمير المؤمنين عليه السلام في أنه جعل لأهل الكوفة فضلا على الإسلام مالم يغيروا ويبدلوا، فيقول بعدما حمد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله ثم

1 بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار، محمد باقر المجلسي (ت 1111 هـ) دار الإحياء، بيروت، 1983م، ج 60، ص 212

2 بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار، محمد باقر المجلسي (ت 1111 هـ) دار الإحياء، بيروت، 1983م، ج 66، ص 448

قال: [أما بعد يا أهل الكوفة فإن لكم في الاسلام فضلا ما لم تبدلوا أو تغيروا، دعوتكم إلى الحق فأجبتكم وبدأتكم بالمنكر فغيرتم ألا إن فضلكم فيما بينكم وبين الله فأما في الاحكام والقسم فأنتم أسوة غيركم ممن أجاكم ودخل فيما دخلتم فيه]¹. وأنهم قد تغيروا بعدما قدم الحسين عليه السلام.

بينما هناك كلام كثير لأمير المؤمنين عليه السلام يذم فيه أهل الكوفة على اجتماعهم على الباطل والفرقة عن الحق ومنها: [فيا عجباً! عجباً- والله- يُمِيتُ الْقَلْبَ وَيَجْلِبُ الْهَمَّ مِنْ اجْتِمَاعِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ عَلَى بَاطِلِهِمْ، وَتَفَرُّقِكُمْ عَنْ حَقِّكُمْ! فَتُبْحَأَ لَكُمْ وَتَرَحَّأَ، حِينَ صِرْتُمْ غَرَضاً يُزْمَى: يُغَارُ عَلَيْكُمْ وَلَا تُغَيِّرُونَ وَتُغْرُونَ، وَلَا تَغْرُونَ وَيُعْصَى اللَّهُ وَتَرَضُونَ فَإِذَا أَمَرْتُمْ بِالسَّيْرِ إِلَيْهِمْ فِي أَيَّامِ الْحَرِّ قُلْتُمْ هَذِهِ حَمَارَةُ الْقَيْظِ؛ أَمَهَلْنَا يُسَبِّخُ عَنَّا الْحَرُّ. وَإِذَا أَمَرْتُمْ بِالسَّيْرِ إِلَيْهِمْ فِي الشِّتَاءِ، قُلْتُمْ: «هَذِهِ صَبَارَةُ الْقَرِّ أَمَهَلْنَا يَنْسَلِخُ عَنَّا الْبَرْدُ! كُلُّ هَذَا فِرَاراً مِنَ الْحَرِّ وَالْقَرِّ فَإِذَا كُنْتُمْ مِنَ الْحَرِّ وَالْقَرِّ تَغْرُونَ؛ فَأَنْتُمْ- وَاللَّهِ- مِنَ السَّيْفِ أَقْرُ!]².

1 بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار، محمد باقر المجلسي (ت 1111 هـ) دار الإحياء، بيروت، 1983م، ج 32، ص 354
2 شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، دار الكتب العلمية، بيروت، ج 2، ص 74

فأعطتنا هذه الكلمة صورة ما عن أهل الكوفة أنهم كانوا يريدون بهذه الأعذار الواهية التهرب من مواجهة العدو وقتاله، حيث تسرب إليهم النفاق بفعل ضعف ايمانهم بمبادئ الإسلام وإمامهم علي بن أبي طالب عليه السلام.

وبنظرة إلى كلام أمير المؤمنين علي عليه السلام في هذه الخطبة يثار السؤال التالي:
لم كل هذا الذم من الإمام عليه السلام لأهل الكوفة حتى خاطبهم لاحقاً فقال: إِيَا أَشْبَاهَ الرَّجَالِ وَلَا رِجَالٍ، خُلُومُ الْأَطْفَالِ، وَعُقُوقُ رَبَاتِ الْحِجَالِ، لَوَدِدْتُ أَنِّي لَمْ أَرْكُمُ، وَلَمْ أَعْرِفْكُمْ مَعْرِفَةً وَاللَّهِ جَرَّتْ نَدْمًا، وَأَعْقَبَتْ دَمًا، قَاتَلَكُمُ اللَّهُ لَقَدْ مَلَأْتُمْ قَلْبِي قَيْحًا، وَشَحَنْتُمْ، صَدْرِي غَيْظًا، وَجَرَعْتُمُونِي نُغَبَ التَّهْمَامِ أَنْفَاسًا، وَأَفْسَدْتُمْ عَلَيَّ رَأْيِي بِالْعِصْيَانِ وَالْخِذْلَانِ، حَتَّى لَقَدْ قَالَتْ فُرَيْشٌ: إِنَّ ابْنَ أَبِي طَالِبٍ رَجُلٌ شَجَاعٌ، وَلَكِنْ لَا عِلْمَ لَهُ بِالْحَرْبِ، لِلَّهِ أَبُوهُمْ وَهَلْ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَشَدُّ لَهَا مِرَاسًا، وَأَقْدَمُ فِيهَا مَقَامًا مِنِّي؟ لَقَدْ نَهَضْتُ فِيهَا وَمَا بَلَغْتُ الْعِشْرِينَ، وَهَذَا أَنَا قَدْ دَرَفْتُ عَلَى السِّتِّينَ، وَلَكِنْ لَا رَأْيَ لِمَنْ لَا يُطَاعُ¹.

وعلى النقيض من ذلك نجد هناك روايات تمتدح الكوفة وأهلها. ومما جاء عن أبي عبد الله عليه السلام قال: [إن الله احتج بالكوفة على سائر البلاد، وبالمؤمنين من أهلها على

1 الكافي، أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني الرازي (ت 329)، دار الحديث، 1430 هـ، ج 9، ص

غيرهم من أهل البلاد¹، وبعد كل ذلك فإنه مدفوع البلاء عن الكوفة وأهلها: عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا عمت البلاء فالأمن في الكوفة ونواحيها من السواد وقم من الجبل². وجاء عن أبي عبد الله عليه السلام في نفس المضمون: [إذا فقد الأمن من البلاد وركب الناس على الخيول واعتزلوا النساء والطيب فالهرب الهرب عن جوارهم، فقلت: جعلت فداك إلى أين؟ قال: إلى الكوفة ونواحيها أو إلى قم وحواليها، فإن البلاء مدفوع عنها³. وأن الكوفة أختارها الله سبحانه وتعالى من بين سائر البلاد عن أبي عبد الله عليه السلام قال: [إن الله اختار من جميع البلاد الكوفة⁴. وأن أهلها أوتاد أهل البيت، عن أبي عبد الله عليه السلام: [وأهل الكوفة أوتادنا⁵. وأن أغلب مولاي أهل البيت هم من أهل

-
- 1 بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار، محمد باقر المجلسي (ت 1111 هـ) دار الإحياء، بيروت، 1983م، ج 60، ص 213
 - 2 بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار، محمد باقر المجلسي (ت 1111 هـ) دار الإحياء، بيروت، 1983م، ج 60، ص 214
 - 3 بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار، محمد باقر المجلسي (ت 1111 هـ) دار الإحياء، بيروت، 1983م، ج 60، ص 214
 - 4 بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار، محمد باقر المجلسي (ت 1111 هـ) دار الإحياء، بيروت، 1983م، ج 60، ص 214
 - 5 بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار، محمد باقر المجلسي (ت 1111 هـ) دار الإحياء، بيروت، 1983م، ج 60، ص 214

العراق، قال أبو عبد الله عليه السلام: [الحمد لله الذي جعل أجلة موالِيَّ بالعراق]¹. وأهل الكوفة محبين لأهل البيت في حين أبغضهم باقي الناس، عن أبي عبد الله عليه السلام: [أما إنه ليس بلد من البلدان أكثر محبا لنا من أهل الكوفة ثم هذه العصابة خاصة، إن الله هداكم لأمر جهله الناس أحببتمونا وأبغضنا الناس وصدقتمونا وكذبنا الناس واتبعتمونا وخالفنا الناس، فجعل الله محياكم محيانا ومماتكم مماتنا]². والكوفة مقر التشيع كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: [هذه مدينتنا ومحلنا ومقر شيعتنا]³.

وقد جاء في فضل أهل الكوفة عن أهل البيت عليهم السلام شيء كثير، نحو قول أمير المؤمنين عليه السلام: [إنه يحشر من ظهرها يوم القيامة سبعون ألفا وجوههم على صورة القمر]⁴، وكذلك قوله: [هذه مدينتنا ومحلنا ومقر شيعتنا]⁵.

-
- 1 بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار، محمد باقر المجلسي (ت 1111 هـ) دار الإحياء، بيروت، 1983م، ج 104، ص 259
 - 2 بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار، محمد باقر المجلسي (ت 1111 هـ) دار الإحياء، بيروت، 1983م، ج 27، ص 165
 - 3 بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار، محمد باقر المجلسي (ت 1111 هـ) دار الإحياء، بيروت، 1983م، ج 60، ص 210
 - 4 تاريخ الكوفة، حسين ابن السيد أحمد البراقي النجفي (ت 1332 هـ)، المكتبة الحيدرية، 1424 هـ، ص 72
 - 5 بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار، محمد باقر المجلسي (ت 1111 هـ) دار الإحياء، بيروت، 1983م، ج 60، ص 210

ومما يعضد هذه الأحاديث أن الموالين لأهل البيت من أهل الكوفة يكرهون زياد ابن أبيه، فالذي يحب أهل البيت يكره عدوهم لقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: [محببة أهل بيتي وشيعتهم، والبغض لأعدائهم والبراءة منهم]¹. وتجلّى ذلك حينما خطب زياد ابن أبيه بالكوفة فرموه بالحصى: "أن زيادا لما حصبه أهل الكوفة وهو يخطب على المنبر قطع أيدي ثمانين منهم، وهم أن يخرب دورهم ويجمر نخلهم، فجمعهم حتى ملأ بهم المسجد والرحبة يعرضهم على البراءة من عليّ، وعلم أنهم سيمتتون فيحتج بذلك على استئصالهم وإخراب بلدهم"².

حتى أن الكوفة كما يرى من يرفع عنها النظرة السلبية؛ بأنه قد امتدحها القرآن الكريم على ما يروى عن الباقر عليه السلام: "قال أمير المؤمنين عليه السلام: {وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ}³ قال: الربوة الكوفة، والقرار المسجد، والمعين

1 الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم، زين الدين أبي محمد علي بن يونس العاملي النباطي البياضي، (ت 877)، مطبعة الحيدري، ج2، ص 89

2 بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار، محمد باقر المجلسي (ت 1111 هـ) دار الإحياء، بيروت، 1983م، ج 39، ص 321

3 المؤمنون 50

الفرات"¹، وهي أرض مباركة²: في تفسير الآية: {وَنَجِّنَاهُ لُوْطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ}³.

لاحظنا أن هناك مدحا للكوفة وأهلها من جهة وهناك ذما شديدا لأهلها - وكلها مرويات عن أهل البيت عليهم السلام-. فهناك اختلاف كبير فيما كتب عن موقف أهل الكوفة من أهل البيت عليهم السلام. وهناك انقسام عجيب: منهم من يرى أن بنظرة تاريخية بسيطة إلى تاريخ الكوفة وأهلها ونقض المواثيق ونكث البيعة والنفاق والضعف والوهن الذي سادها يكون فكرة عامة أنهم ليسوا أهل ثقة ورجال موقف بقدر ما إنهم غدارين ضعفاء لا يعول عليهم. ويستنتجون "بأنّ ثمره علاقة أهل الكوفة والعراق بالإمام عليه السلام طيلة فترة خلافته لم تكن سوى الهمّ والغمّ الذي تمخّض عن ضعفهم ونقضهم العهود وتفرّقهم عن الحق وتلبّسهم بالنفاق والرياء، فكان من الطبيعي أن يتمنى الإمام عليه السلام عدم رؤيتهم والتعرف عليهم، حتى دعا عليهم"⁴.

1 تفسير القمي، علي بن ابراهيم القمي، دار السرور، ج2، ص 91

2 تفسير القمي، علي بن ابراهيم القمي، دار السرور، ج2، ص 73

3 الأنبياء 71

4 نفحات الولاية، ناصر مكارم الشيرازي، مدرسه الامام على بن ابى طالب(ع)، قم، 1426 هـ، ج 2، ص 110.

وقد نظر بعض المؤرخين إلى هذا الموضوع نظرة إيجابية فذهبوا إلى "أنّ العلة في عصيان أهل العراق على الأمراء وطاعة أهل الشام، أنّ أهل العراق أهل نظر وذوو فطن ثاقبة، ومع الفطنة والنظر يكون التنقيب والبحث، ومع التنقيب والبحث يكون الطعن والقذح والترجيح بين الرجال، والتميز بين الرؤساء، وإظهار عيوب الأمراء، وأهل الشام ذوو بلاهة وتقليد وجمود على رأي واحد، لا يرون النظر، ولا يسألون عن مغيب الأحوال ومازال العراق موصوفاً أهله بقلة الطاعة، وبالشقاق على اولى الرئاسة"¹

إذن أيعزى سبب هذا التناقض كما يرى بعضهم² في المجتمع الكوفي الى ضعفه وتخلّفه وفشله بسبب قلة تدبير زعمائها ورؤساء عشائرها، بينما كانت القضية بالعكس مع أمير المؤمنين عليه السلام كما يرون فيقولون؛ "أنّ الزعيم شخصية كفوءة بينما تعيش الأمة حالة من التخلف الفكري والثقافي والاجتماعي؛ الأمر الذي يعتبر مأساة حقيقية بالنسبة للزعيم والقائد الناجح الذي يبتلى بمثل هذه الجماعة المسلوّبة الإرادة، وممّا يؤسف

1 نفحات الولاية، ناصر مكارم الشيرازي، مدرسه الامام على بن ابى طالب(ع)، قم، 1426 هـ، ج 2، ص 110.

2 نفحات الولاية، ناصر مكارم الشيرازي، مدرسه الامام على بن ابى طالب(ع)، قم، 1426 هـ، ج 2، ص 110.

له أنّ مسؤولية النتائج المريرة التي تفرزها طبيعة هذه المسيرة قد يلقيها الناس على عاتق ذلك الزعيم"1.

يمكن توضيح هذا اللبس في المواقف الى أن المجتمع الكوفي وكأيّ مجتمع بشري يختلف في ولاءاته نحو القادة. فالمجتمع الكوفي إنما انقسم في ولاءه الى كثرة لا توالي أهل البيت عليهم السلام وقلة قد تكون خاصة موالية لهم. وهذا ما يعطينا صورة واضحة لتلك المرويات عن أهل بيت النبوة عليهم السلام.

ت-المجتمع الكوفي:

عرفنا مما سبق أن جزءاً من المجتمع الكوفي وهم الموالي وهم من غير العرب ويدينون بالولاء المطلق للسلطة الجائرة وهم ازامها وجزء من القوة الضاربة. وهذا واضح من الكلام التالي مع أمير المؤمنين عليه السلام لسحب المجتمع الكوفي الى جهته، فنستنتج منه طبيعة المجتمع الكوفي. وهو من أخلاط الناس من العرب والموالي والعجم من جهة ومن جهة ميلهم للدنيا وللسلطة فهم وراء المال إما من معاوية أو من

1 نفحات الولاية، ناصر مكارم الشيرازي، مدرسه الامام على بن ابى طالب(ع)، قم، 1426 هـ، ج 2،

علي عليه السلام وهذا هو دينهم: "إِنَّ طَائِفَةً مِنْ أَصْحَابِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَشَوْا إِلَيْهِ فَقَالُوا: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَعْطِ هَذِهِ الْأَمْوَالَ، وَفَضِّلْ هَؤُلَاءِ الْأَشْرَافَ مِنَ الْعَرَبِ وَقُرَيْشَ عَلَى الْمَوَالِيِّ وَالْعَجَمِ، وَمَنْ تَخَافُ خِلَافَهُ مِنَ النَّاسِ وَفِرَارَهُ. قَالَ: وَإِنَّمَا قَالُوا لَهُ ذَلِكَ لِذَلِكَ كَانَ مُعَاوِيَةُ يَصْنَعُ مَنْ أَتَاهُ. فَقَالَ لَهُمْ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَتَأْمُرُونِي أَنْ أَطْلُبَ النَّصْرَ بِالْجَوْرِ؟! وَاللَّهِ لَا أَفْعَلُ مَا طَلَعَتْ"¹

وأصبح من الضروري أن نتكلم عن الفترة التي سبقت قدوم عبيد الله بن زياد الى الكوفة حتى نتطلع الى ما كان يحيط بالعراق عموما والكوفة خصوصا من تطورات سياسية واجتماعية واقتصادية وغيرها وتأثيراتها على المجتمع بشكل عام وبالكوفة بشكل خاص. ولنا من ان نسلط الضوء على طبيعة معاملة الحكم الأموي للعراقيين قبيل تسلّم يزيد للسلطة. حيث عانى العراق في عهد الحكم الاموي اشد ألوان الضيق مما جعل العراقيين يقومون بثورات متصلة ضد حكمهم "وكان والي معاوية على العراق المغيرة بن شعبة يحبس العطاء والارزاق عن أهل الكوفة، وقد سار حكام الامويين من بعد معاوية على هذه السيرة في اضطهاد العراق وحرمان اهله، فهذا عمر بن عبد العزيز

1 بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار، محمد باقر المجلسي (ت 1111 هـ) دار الإحياء، بيروت، 1983م، ج 34، ص 208

اعدهم لم يكن يساو بين العراقيين والشاميين في العطاء، فقد زاد في عطاء الشاميين عشرة دنانير ولم يزد في عطاء اهل العراق"¹.

أقول أن سياسة التجويع والقهر والإرهاب قد دفعت بالجماهير لطلب الحسين عليه السلام، وذلك للخلاص من شرور وبطش الأمويين من جهة، ومن جهة أخرى واعتمادا على ما خبروه وجربوه في عهدي حكومة الإمام علي ابن أبي طالب وابنه الحسن عليهما السلام في بسط العدل بين الناس وما تذوقوه من رغد العيش وحلاوة الأمن، دفع المجتمع الكوفي الى أن يبعثوا برسائل للحسين عليه السلام يحثوه فيها على القدوم.

فهل كانت رسائل أهل الكوفة العامل الأساس لقدم الحسين عليه السلام الى الكوفة؟ أم كان هناك سببا آخر دفعه لتفضيل الكوفة على سواها؟ فلماذا أختار الكوفة عن باقي الأمصار ورفض التوجه لباقيها بعدما أصدر يزيد بن معاوية أمرا بهدر دم الحسين عليه السلام. فماذا بالنسبة لباقي الأمصار؟

1 حياة الإمام الحسين عليه السلام دراسة وتحليل، باقر شريف القرشي، مدرسة الإيرواني، ج 2، ص 125

2. نظرة اجتماعية للأممارية الإسلامية الأخرى

أ- المجتمع المكي:

من المعلوم أن الحسين عليه السلام لم يكمل حجه بل اكتفى بأداء العمرة المفردة

للأسباب التالية:

1- السبب الرئيسي هو اصرار يزيد على هدر دم الحسين عليه السلام اينما كان،

فغزم عليه السلام على عدم السماح لهتك حرمة الحج والشهر الحرام والبيت

الحرام لكيلا تصبح عندئذ سنة سيئة يتجرأ الخلف بانتهاجها فيما بعد. ونحن

نعلم أن الحسين عليه السلام خرج من المدينة معلنا عدم بيعته ليزيد، وهذا

اليعقوبي وغيره من المؤرخين يروون ما جرى بين والي المدينة الوليد بن عتبة

والحسين عليه السلام: قال اليعقوبي: "وملك يزيد بن معاوية. وكان غائباً،

فلما قدم دمشق كتب إلى الوليد بن عتبة ابن أبي سفيان وهو عامل المدينة:

إذا أتاك كتابي هذا، فأحضر الحسين بن عليّ وعبدالله بن الزبير، فخذهما

بالببيعة لي، فإن امتنعا فاضرب أعناقهما وابعث إليّ برؤوسهما، وخذ الناس

بالبيعة، فمن امتنع فأنفذ فيه الحكم وفي الحسين بن عليّ وعبدالله بن الزبير؛

والسلام"¹

2- لم يختر مكة منطلقا لرسالته في طلب الإصلاح لأن أهل مكة ليسوا بمستوى

حمل الرسالة فيما بعد ولم يكن في ولائها لأهل البيت عليهم السلام رأي يذكر،

وتاريخها يشهد مع الرسول صلى الله عليه وآله ومع أمير المؤمنين. وآخرها

أنهم لم يحركوا واقعا حينما رجم الأمويون الكعبة المشرفة بالمنجنيق وأحرقوها

مرتين الأولى في زمن يزيد بن معاوية سنة 64 هـ بقيادة الحصين بن النمير،

وأیضا في زمن عبد الملك بن مروان في عام 73 هـ بقيادة الحجاج بن يوسف

الثقفي، ولم يحدثنا التاريخ أن أهلها انتفضوا أو احتجوا أو غيروا أو ثاروا.

وهذا ما يؤكد أن أهلية أهل مكة في الاستمرار بحمل الرسالة غير كافية. ولم

يحدثنا التاريخ إلا بمعركة فخ قرب مكة بعد أكثر من مائة عام من مقتل

الحسين عليه السلام وذلك في 169 هـ، والتي قادها الحسين بن علي (العابد)

1 تاريخ اليعقوبي، أحمد بن إسحاق اليعقوبي (ت 292 هـ)، دار صادر، ج 2، ص 241

بن الحسن المثلث بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب

عليه السلام¹.

ما أريد قوله: هو ان طبيعة اهل مكة لا تنهض بأعباء اي مسؤولية تلقى عليهم.

والحسين عليه السلام اراد لثورته ان تشع على مدى الزمن وعلى كل البقاع.

ومع ذلك حاول عبد الله بن جعفر الطيار وواصل سعيه وجهده، لدى عمرو بن سعيد

والي يزيد على مكة كي يأخذ منه الأمان للحسين عليه السلام حتى يرجع عن عزمه

وخروجه إلى العراق، فطلب من عمرو بن سعيد أن يكتب كتاباً للحسين يمثيه فيه بالأمان

والإحسان والصلة، فاستجاب عمرو بن سعيد إلى عبد الله بن جعفر، وكتب كتاباً هذا

نصّه: "بسم الله الرحمن الرحيم. من عمرو بن سعيد إلى الحسين بن علي. أما بعد، فإني

1 وكان الحسين بن علي أحد أحفاد الحسن المجتبي عليه السلام، ثار في أيام الخليفة العباسي (موسى الهادي) سنة 169 هـ، توجه من المدينة إلى مكة للحج في ذلك العام، وحينما وصل مع أنصاره أرض «فخ» قريباً من مكة، حدثت معركة ضارية بينه وبين أنصاره من جهة، وبين عمال وجنود الخليفة العباسي من جهة اخرى، فاستشهد الحسين بن علي مع جماعة من أنصاره في هذه المعركة، وهو الذي عدّه دعبل الخزاعي في أبياته المعروفة: (مدارس آيات خلت من تلاوة ... ومنزل وحي مقفر العرصات حتى انتهيت إلى قوله: إذا وتروا مدوا إلى واتريهم ... أكفا عن الأوتار منقبضات) باعتباره شهيداً من شهداء أهل البيت عليه السلام، ولم يعترض الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام على قوله: قُبُورٌ بكوفان وأخرى بطيبةٍ واخرى بَفَخٍ نالها صلوات، أنظر: نفحات القرآن، ناصر مكارم الشيرازي، مدرسه الامام علي بن ابى طالب عليه السلام، قم، 1426هـ. ج10، ص 58

أسأل الله أن يصرفك عما يوبقك، وأن يهديك لما يرشدك، بلغني أنك قد توجهت إلى العراق، وإني أعيدك بالله من الشقاق؛ فإني أخاف عليك فيه الهلاك، وقد بعثت إليك عبد الله بن جعفر ويحيى بن سعيد، فأقبل إليّ معهما؛ فإنّ لك عندي الأمان والصلة والبرّ وحسن الجوار، لك الله عليّ بذلك شهيد وكفيل، ومرّاع ووكيل. والسلام عليك"¹.

ويبدو أن هناك أمراً لا يعرفه إلا الحسين عليه السلام على عكس ما يتوقعه المقربون منه. وهناك إشارة إلى أحد تلك الأسباب ما نستقرؤه في جوابه لعبد الله بن جعفر معللاً عزمه بالتوجه إلى العراق بما يلي: "إني رأيت رؤيا فيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأمرت فيها بأمر أنا ماضٍ له، عليّ كان أو لي". فسئل ما هي تلك الرؤيا؟ قال عليه السلام: ما حدثت أحداً بها، وما أنا محدّث بها حتّى ألقى ربّي"²

1 الوثائق الرسميّة لثورة الإمام الحسين، عبد الكريم الحسيني القزويني، مكتبة الشهيد الصدر، ط 3، 1404 هـ، ص 84

2 الوثائق الرسميّة لثورة الإمام الحسين، عبد الكريم الحسيني القزويني، مكتبة الشهيد الصدر، ط 3، 1404 هـ، ص 83، أنظر: تاريخ الطبري ج 4 ص 280

ب- المجتمع اليمني:

من المعلوم أن في اليمن من يشايح عليا عليه السلام، وهم أصل الشيعة ومنهم انتشر هذا المذهب في أنحاء العالم وأول من هداهم إلى الإسلام أمير المؤمنين عليه السلام بأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وكان غالب أهل الكوفة من قبائل اليمن المهاجرين وكان التشيع فيهم. وقد امتدحهم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في أحاديث كثيرة منها: (أَتَاكُمْ أَهْلُ الْيَمَنِ هُمْ أَرْقُ أَفْئِدَةً وَأَلْيَنُ قُلُوبًا، الْإِيْمَانُ يَمَانٍ، وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَّةٌ، وَالْفَخْرُ وَالْخِيَلَاءُ فِي أَصْحَابِ الْإِبِلِ، وَالسَّكِينَةُ وَالْوَقَارُ فِي أَهْلِ الْعَنَمِ)¹ وقال: (الايمن ها هنا وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى الْيَمَنِ)².

وجاء ابن عباس إلى الحسين عليه السلام فقال له: "يا بن عم! إنني أتصبر ولا أصبر، إنني أتخوف عليك في هذا الوجه الهلاك، إن أهل العراق قوم غدر فلا تغترن بهم، أقم في هذا البلد حتى ينفي أهل العراق عدوهم ثم أقدم عليهم، وإلا فسر إلى اليمن فإن به حصونا وشعابا، ولأبيك به شيعة، وكن عن الناس في معزل، واكتب إليهم وبث دعواتك فيهم، فإنني

1 البداية والنهاية، ابي الفداء اسماعيل بن كثير الدمشقي (ت 774 هـ)، دار احياء التراث العربي. ج 5، ص 81

2 البداية والنهاية، ابي الفداء اسماعيل بن كثير الدمشقي (ت 774 هـ)، دار احياء التراث العربي. ج 5، ص 81

أرجو إذا فعلت ذلك أن يكون ما تحب. فقال الحسين: يا بن عم! والله إنني لأعلم أنك ناصح شفيق، ولكني قد أزمعت المسير. فقال له: فإن كنت ولابد سائراً فلا تسر بأولادك ونسائك، فوالله إنني لخائف أن تقتل كما قتل عثمان ونساؤه وولده ينظرون إليه¹. وكذلك أشار محمد بن الحنفية على الحسين عليه السلام التوجه لليمن لهذا السبب فقال له: " يا أخي، أنت أحب الناس إلي، وأعزهم علي، ولست أدخر النصيحة لأحد من الخلق أحق بها منك، تنح بتبعتك عن يزيد بن معاوية وعن الأمصار ما استطعت، ثم ابعث رسلك إلى الناس فادعهم إلى نفسك فإن بايعوا لك حمدت الله على ذلك، وإن أجمع الناس على غيرك لم ينقص الله بذلك دينك ولا عقلك، ولا يذهب به مروءتك ولا فضلك، إنني أخاف أن تدخل مصر من هذه الأمصار وتأتي جماعة من الناس، فيختلفون بينهم، فمنهم طائفة معك، وأخرى عليك، فيقتتلون فتكون لأول الأسنة، فإذا خیر هذه الأمة كلها نفساً وأباً، وأما أضياعها دماً وأذلها أهلاً، قال له الحسين عليه السلام فأين أذهب يا أخي؟ قال تخرج إلى مكة فإن اطمأنت بك الدار بها فذاك وإن تكن الأخرى خرجت إلى بلاد اليمن فإنهم أنصار جدك وأبيك وهم أرف الناس وأرقهم قلوباً وأوسع الناس بلاداً فإن اطمأنت بك الدار والدار

1 البداية والنهاية، ابي الفداء اسماعيل بن كثير الدمشقي (ت 774 هـ)، دار احياء التراث العربي. ج 5،

لحقت بالرمال وشعف الجبال وجزت من بلد إلى بلد حتى تنظر ما يؤول إليه أمر الناس
ويحكم الله بيننا وبين القوم الفاسقين فإنك أصوب ما تكون رأياً حين تستقبل الأمر استقبالا¹.
ثم أن أهل اليمن وإن كانوا كما قال محمد بن الحنفية من الولاء إلا أنهم لم يكونوا
بمستوى الاستمرار بحمل الراية، وهذا مالك بن نويرة² من أشرفهم قد قتل واغتصبت ليلي
زوجته ولم يتحركوا لنصرته فيما تعارف عليه بحروب الردة. وكذا حينما أغار عليهم بسر

1 تاريخ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب
الأملي، أبو جعفر الطبري (ت 310هـ)، صلة تاريخ الطبري لعريب بن سعد القرطبي، (ت 369هـ)، دار
التراث، بيروت، الطبعة الثانية، 1387 هـ. ج 5، ص 342

2 كان مالك بن نويرة سيّدا من سادات العرب الذين أسلموا زمن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ووثقه
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقربه وأمنه على الأموال. وقد كان مالك قد جمع أموال الزكاة كعادته
في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى إذا سمع بوفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم،
فتوقف عن دفع الأموال الا لعلي بن أبي طالب عليه السلام. قتله خالد بن الوليد وتزوج بامرأته من ليلته
وكانت غاية في الجمال وجعل رأسه إحدى أثافي. وبئس الطعام يطبخ على هذه الأثفية وأراد الخليفة الثاني
أن يقيم عليه الحد فتجاوز عن ذلك الخليفة الأول فسكت وكناه الخليفة الأول بسيف الله المسلول. نّ خالد
بن وليد كان قد اقترب أعمالاً سيئة وتصرفات سلبية كثيرة ولا يقبل المقارنة مع مالك الأشتر وهو الرجل
الشجاع والصادق والمخلص، والجدير بالذكر أنّ ابن الأثير يقول: "عندما قتل خالد مالك بن نويرة (بدون
مبرر شرعي) وتزوج من زوجته، غضب عمر عليه وقال لخالد، قتلت مسلماً ثمّ نزوت على امرأته، اقسام
والله لأرجمنك بأحجارك، وأصرّ على أبي بكر أن يقتص من خالد بسبب قتله مالك بن نويرة، ولكن أبا بكر
قال في جوابه: لقد فعل خالد وأخطأ ولكنني لا أشيم سيفاً سلّه الله على المشركين". انظر: الكامل، ابن
الأثير، ج 2، ص 358.

بن أُرطاة¹ القرشي المكنى أبا عبد الرحمن وعداده في أهل الشام فقد قتل جماعة من أصحاب علي عليه السلام في اليمن والمدينة وسبى نساءهم، وهدم بيوتهم. وكان آنذاك عبيد الله بن العباس الأمير على اليمن عاملاً لعلي بن أبي طالب عليه السلام، فهرب عبيد الله، وأغار بسر على همدان باليمن، وسبى نساءهم، فكن أول مسلمات سبيين في الإسلام.

وبعد مقتل الحسين عليه السلام أقتل أهل اليمن فيما بينهم. فكيف يعول عليهم الحسين عليه السلام في الاستمرار بحمل ثورته؟

1 بسر بن أُرطاة: بَعَثَ معاوية له لِيُغَيِّرَ على أعمال أمير المؤمنين عليه السلام، وما عَمِلَه من سَفْكَ الدماء وأخذ الأموال، كان قاسي القلب فَظًّا سَفَّاكًا للدماء، لا رَأْفَةً عنده ولا رَحْمَةً، فَأَمْرُه أن يأخذَ طريقَ الحجاز والمدينة ومكة حتى ينتهي إلى اليمن، وقال له: لا تنزل على بلد أهله على طاعة علي إلا بسطت عليهم لسانك؛ حتى يروا أنهم لا نجاء لهم، وأنتك محيط بهم. ثم اكففت عنهم، وادعهم إلى البيعة لي، فمن أبي فاقتله، واقتل شيعة علي حيث كانوا. انظر: نفحات الولاية، ناصر مكارم الشيرازي، مدرسه الامام على بن ابي طالب عليه السلام، قم، 1426هـ. ج 2، ص 60

ت - المجتمع المدني:

في زمن معاوية نزلها سيء الصيت بسر بن أرطأة ففعل فيها من قتل وتشريد وهدم البيوت وسبي النساء، تماماً كما فعل في اليمن، فهرب منه كثير من أهلها منهم: جابر بن عبد الله، وأبو أيوب الأنصاري، وغيرهما وقتل فيها كثيراً. ولم يكن لأهل المدينة رد فعل. وللأنصاف وما أثبتته التاريخ أن وقعة الحرة التي كانت بين أهل المدينة من طرف يزيد بن معاوية والأمويين من طرف آخر، وفيها أن أهل المدينة نقضوا بيعة يزيد بن معاوية لما كان عليه من سوء ولما حدث في معركة كربلاء ومن مقتل الحسين بن علي عليهما السلام، فطردوا والي يزيد على المدينة عثمان بن محمد بن أبي سفيان ومن معه من بني أمية من المدينة، فأرسل على اثرهم يزيد جيشاً من الشام وأمر عليهم مسلم بن عقبة المري فوقعت بينهم وقعة الحرة وانتهت بمقتل عدد كبير من الصحابة وأبناء الصحابة والتابعين وكانت عام 63 هـ.

وينقل أنه قد استبيحت الفروج ووقعوا على النساء، حتى قيل: "إنه حبلت ألف امرأة في تلك الأيام من غير زوج الأولاد أولاد الحرة، وكان القتلى سبعمائة من وجوه المهاجرين والأنصار، ووجوه الموالي، وغيرهم عشرة آلاف"¹

ث - المجتمع المصري:

من المعروف أن هوى مصر هو أموي منذ أن ولي معاوية عمرو بن العاص وقد امتد حكمه من 38-43 هـ. ثم جاء بعده عتبة بن أبي سفيان من 43-44 هـ، وهو أخو معاوية بن أبي سفيان، وقد ولاه معاوية بعد وفاة عمرو بن العاص، ثم عقبه بن عام وذلك من 44 - 47 هـ. والذي عزله معاوية ونصب بدله مسلمة بن مخلد خلال الفترة 47 - 62 هـ. ثم سعيد بن يزيد 62 - 64 هـ. فلم يكن للحسين عليه السلام في مصر مواليين ينصرونه.

ج - المجتمع الخراساني والسجستاني

منذ أن انتدب عثمان بن عفان، عبد الله بن عامر، أمير البصرة لقمع ثورة أهل خراسان على واليهم، واسترداد بلادهم، فتوجه إليها واستعادها من أدناها إلى أقصاها في سنتين،

1 معالم المدرستين، مرتضى العسكري، مؤسسة البعثة، ط 4، 1412 هـ. ج 3، ص 237

ومنذ ذلك الحين الى زمن سقوطها بيد العباسيين سنة 131هـ وآخرهم نصر بن سيار الكناني هي عثمانية أو أموية الهوى. كان قد تولى عدد من الولاة الامويين لولاية خراسان وساجستان وهي شرق ايران اليوم وجنوب أفغانستان وتسمى سيستان. ومن أبرزهم زياد بن أبيه 41-42 هـ، وبعده عدة ولاة ثم أولاده عبيد الله بن زياد عام 54-55 هـ، ثم عبد الرحمن بن زياد 58-60 هـ، ثم سلم بن زياد 65 هـ. وتسلم ولاة آخرون بين الأبناء الذين ذكروا أعلاه. لا مجال لذكر اسمائهم. لم تذكر كتب التاريخ شيء يذكر للخراسانيين بل ليس بين أيدينا صورة واضحة عن عدد العرب بخراسان، ولا عن منازلهم ووسائل معاشهم، وتنظيمهم الاجتماعي والعسكري، وتكتلهم السياسي، ولا عما شجر بين قبائلهم المتنافسة في السلطان من منازعات، ولا عن علاقاتهم بسكان خراسان الأصليين. والمظنون أن العرب تضعفوا بخراسان عندما احتدم الصراع على الخلافة بين علي ومعاوية، وأنهم أدخلوا بعض المناطق التي احتلوها، وتجمعوا في الأقاليم التي كان سلطانهم لا يزال قويا فيها، غير أنهم لم ينسحبوا من خراسان كلها¹.

1 الشعر في خراسان من الفتح إلى نهاية العصر الأموي، حسين عطوان، دار الجيل، ط 2، 1989، ص

وبمراجعة التاريخ نجد أن ثورات الخراسانيين والساجستانيين كانت كلها لامتناعهم بدفع الجزية مرة ولاسترجاع مدنهم مرة اخرى ولتمردهم على الولاة نتيجة بطشهم مرة ثالثة. ويصمت التاريخ عن ذكر ما يتعلق بارتباطهم أو علاقتهم بالمتغيرات أو بأحداث باقي الأمصار.

ح- المجتمع البصري:

بعد تمصير(تأسيس) البصرة سنة 14هـ على عهد الخليفة الثاني عسكرياً بالدرجة الاولى ولخدمة الاحتياجات العسكرية للمقاتلين العرب. وأول ولاة البصرة هو عتبة بن غزوان المازني الذي أستمرت ولايته ستة أشهر فقط. أما أهم ولايتها قبل واقعة الطف فهم أبو موسى الاشعري سنة 16هـ. وزيايد بن ابيه وابنه عبيد الله بن زيايد وعثمان بن حنيف. وقد قسمت البصرة إداريا الى خمس خطط ادارية سميت بالأخماس وهي: خمس قبيلة تميم، وخمس قبيلة بكر ابن وائل، وخمس اهل العالية وخمس قبيلة عبد القيس، وخمس قبيلة الأزدي. ولكل خمس منها رئيس من الأشراف، وكان بعض هؤلاء ممّن يميل إلى السلطة، والبعض ممّن لا يؤتمن والبعض الآخر ممّن لا تتسق مواقفه باتجاه واحد. وهذه القبائل العربية ليست بعيدة عما يجري من أحداث وتطورات سياسية التي واجهها المجتمع العربي خلال الحقبة الاسلامية المختلفة لتأثر قبائلها العربية مع قبائل الجزيرة

الآخرى سلباً وإيجاباً. ولكن البصرة تميزت بحالة صراع سياسي قد اشتد أواره بعد تولي عثمان ابن عفان خلافة المسلمين إذ اشترك اهالي البصرة في الثورة على عثمان سنة 35 هـ. وكان يقودهم حكيم ابن جبلة العبدي مشتركين مع اهالي الكوفة ومصر.

وفي البصرة ولاءات مختلفة وكان شيعة علي عليه السلام جزءاً منهم ولعثمان بن عفان أنصاراً، كما لطلحة والزبير وهناك من الخوارج أيضاً. وكانت البصرة آنذاك تحت سيطرة عبید الله بن زياد وهو والٍ قوي ومستبد، وقد هيمن على إدارة أمورها وأحكم الرقابة الشديدة على أهلها.

"وإنما صير أكثر أهل البصرة عثمانية لأنهم كانوا صنائع ثلاثة أمراء عليهم: أولهم عبدالله بن عامر، والثاني زياد، والثالث الحجاج بن يوسف. وهؤلاء الثلاثة الغايات في حب عثمان وبني أمية، فلم يقصروا في تقديمه واستمالة الناس إليه بالترغيب والترهيب والسياسة والتدبير، ولصنائع ابن عامر فيهم فزع إليهم طلحة والزبير وعائشة حين قدموا عليهم يطلبون بدم عثمان، ولأن علياً حاربهم وقتل أعلامهم وفلّ حدهم، ولذلك قال رجل من كبراء البصريين في علي: كيف أحبّ رجلاً قتل من قومي من لدن كانت الشمس ههنا إلى أن صارت ههنا إحدى عشرة مائة"¹

1 علي امام البررة، أبو القاسم الموسوي الخوئي، دار الهدى، ج 3، ص 229، أنظر الهامش

إن البصرة كما الكوفة ولايتان لم تتغلقا لصالح السلطة كالأشام تماماً -فأتباع أهل البيت عليهم السلام في هاتين الولايتين، وبرغم الإرهاب والقمع كانتا لهما اجتماعاتهم ومنندياتهم السرية- ولكن الفرق بين الكوفة والبصرة ليس من حيث عدد الموالين فحسب بل أيضاً من حيث درجة تحفزهم للتحرك ضد السلطة.

والبصرة قد حاربت أمير المؤمنين عليه السلام في معركة الجمل فقال فيها أمير المؤمنين عليه السلام: "يا جند المرأة ويا أصحاب البهيمة رغا فأجبتهم وعقر فانهمتم الله أمركم بجهادي؟ أم على الله تفنرون؟ ثم قال: يا بصرة أي يوم لك لو تعلمين وأي قوم لك لو تعلمين إن لك من الماء يوماً عظيماً بلاؤه. وذكر كلاماً كثيراً"¹.

أراد الإمام الحسين عليه السلام إلقاء الحجة على المجتمع البصري، فرسالته إليهم تُرينا كيف كان عليه السلام يعرف مسؤوليته ويمضي معها، فأهل البصرة لم يكتبوا إليه، ولم يدعوه إلى بلادهم كما فعل أهل الكوفة، ولكنه أراد أن يعدّهم للمجابهة المحتومة لأهمية المجتمع البصري ودخوله المعترك السياسي ليس كباقي الأمصار عدا الكوفة. ولعلم الحسين عليه السلام بأهمية المجتمع البصري فقد وجه اليهم رسالة يذكرهم فيها بهدفه

1 بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار، محمد باقر المجلسي (ت 1111 هـ) دار الإحياء، بيروت، 1983م، ج 32، ص 236

وقصده من الخروج من المدينة فيقول: "أما بعد فإن الله اصطفى محمدا على خلقه وأكرمه بنبوته، واختاره لرسالته، ثم قبضه إليه وقد نصح لعباده وبلغ ما أرسل به، وكنا أهله وأولياءه وورثته وأحق الناس به وبمقامه في الناس، فاستأثر علينا قومنا بذلك، فرضينا وكرهنا الفرقة، وأحببنا العافية، ونحن نعلم أنا أحق بذلك الحق المستحق علينا ممن تولاه، وقد أحسنوا وأصلحوا، وتحروا الحق فرحم الله وغفر لنا ولهم، وقد بعثت إليكم بهذا الكتاب وأنا أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه، فإن السنة قد أميتت، وإن البدعة قد أحييت، فتسمعوا قلبي وتطيعوا أمري، فإن فعلتم أهدكم سبيل الرشاد، والسلام عليكم ورحمة الله"¹. يضاف الى ذلك فقد بث بن زياد في المجتمع البصري الخوف وجبّتهم وهددهم بالاستئصال والاجتثاث اذا لم يكونوا على ما يريد، حتى أن واحدا من أشرفها وهو المنذر بن الجارود فإنه ظن أن كتاب الحسين عليه السلام دسيسة من ابن زياد فجاء به الى ابن زياد، فما كان منه الا "أن بعث خلف الرسول الذي جاء به من حسين فضربه عنقه، وصعد عبيد الله بن زياد المنبر فقال: أهل البصرة إن أمير المؤمنين ولّاني الكوفة وأنا غاد إليها الغداة، وقد استخلفت عليكم عثمان بن زياد بن أبي سفيان، وإياكم والخلاف والارجاف، فوالذي لا

1 البداية والنهاية، ابي الفداء اسماعيل بن كثير الدمشقي (ت 774 هـ)، دار احياء التراث العربي، ج 8،

إله غيره لإن بلغني عن رجل منكم خلاف لأقتلته وعريفه ووليه، ولأخذن الأدنى بالأقصى، حتى يستقيم لي الأمر، ولا يكن فيكم مخالف ولا مشاقق، أنا ابن زياد أشبهته من بين من وطئ الحصى، ولم يتنزعني شبه خال ولا عم. ثم خرج من البصرة ومعه مسلم بن عمرو الباهلي فكان من أمره ما تقدم"1.

الخلاصة:

أن الحسين عليه السلام قد قرر التوجه الى الكوفة مفضلا إياها على باقي الأمصار المعروفة وهي مصر والمدينة المنورة ومكة واليمن والبصرة وخراسان. ويبقى السؤال هو: لماذا الكوفة وليس غيرها؟

لقد تمت دراسة السؤال جيدا ووضعت الإجابة بشيء من التفصيل خلاصتها هي: أن بمجرد مقارنة بسيطة بين الظروف المحيطة بكل مصر من تلك الأمصار نستطيع أن نستنتج سبب توجه الحسين عليه السلام الى الكوفة -ويبقى ذلك توقعا لا نستطيع الجزم به مطلقا والعلم عند الله- حيث " إننا لا ينبغي أن نتوقع أن يذهب الحسين عليه السلام إلى أي نقطة

1 البداية والنهاية، ابي الفداء اسماعيل بن كثير الدمشقي (ت 774 هـ)، دار احياء التراث العربي، ج 8، ص 171

من العالم كيف كانت؛ ولذا لم يذكر له الذين ناقشوه على الخروج إلا منطقة واحدة هي اليمن، وقالو له: إنَّ فيها شيعة لأبيك¹؛ لأنَّ أباه أمير المؤمنين عليه السلام ذهب إلى اليمن بأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ردحاً من الزمن وراه اليمنيون وأحبُّوه.

أمَّا ذهابه إلى مناطق أُخرى، فغير معقول إطلاقاً، إمَّا لكونهم ضدَّ الحسين عليه السلام كما حصل في الكوفة وكربلاء، وإمَّا لأنَّهم غير مُسلمين أساساً، وإمَّا لأنَّهم غير عرب أساساً، يتعذَّر العيش معهم لاختلاف لغتهم، وإمَّا لأنَّهم مُتخلفون حضاريّاً، بحيث يضيع وجوده بينهم وينقطع خبره عن الآخرين، وكلُّ ذلك غير معقول ولا يُريده الحسين لنفسه. وأكْرر الآن: أنَّ المكان الوحيد البعيد الذي كان مُناسباً نسبياً، لم يكن إلاَّ اليمن، وهو الوحيد الذي ذكره له، إلاَّ أنَّه رفضه، وكان رفضه بحسب فهمنا مُعتمداً على الوجهين الأوَّلين: الأوَّل: أينما ذهب فسوف يُرسل الحاكم الأموي خلفه جيشاً عرمرماً للقضاء عليه وقتله، أو أن يدسَّ إليه من يقتله غيلة أينما وجده، وليس كلُّ ذلك على المُفسدين ببعيد، والثاني: إنَّ الأمام الحسين عليه السلام

1 في معرض تساؤل الحسين عليه السلام لاقتراح محمد بن الحنفية بالخروج من المدينة...: "فأين أذهب يا أخي؟ قال تخرج إلى مكة فان اطمأنت بك الدار بها فذاك، وإن تكن الأخرى خرجت إلى بلاد اليمن فإنهم أنصار جدك وأبيك وهم أرف الناس وأرقهم قلوبا وأوسع الناس بلادا. أنظر: تاريخ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (ت 310هـ)، صلة تاريخ الطبري لعريب بن سعد القرطبي، (ت 369هـ)، دار التراث، بيروت، الطبعة الثانية، 1387 هـ. ج5، ص 342.

لو ذهب بعيداً، لأرجف عنه أعداؤه أنّه ذهب مُنهزماً عن المواجهة وفاراً من المُلَاقاة، ولوصفوه بكلِّ عزيمة، والإعلام يومئذ وفي كلِّ يوم على استعداد لذلك على أيِّ حال، وهذا ما لا يُريده لنفسه بعد أن كان يعيش من نقطة قوّة وبروز في المُجتمع بصفته سبط الرسول صلى الله عليه وآله وابنه، وسيّد شباب أهل الجنّة، والإمام المُفترض الطاعة لطائفة من المسلمين.¹

كما أن الكوفة تعتبر المركز السياسي والثقافي والحضري والعسكري. فأنها كانت مقر الحكم لأُمير المؤمنين علي والسبط الحسن المجتبي عليهما السلام. ولا ننسى أن في الكوفة تجتمع الفرق الثقافية والعقدية؛ كل ذلك وبالإضافة الى البعد الغيبي الذي حتم على الحسين عليه السلام من أن يتوجه الى الكوفة لتكون نقطة الانطلاق بنهضته المباركة (القيام الأصغر).

1 أضواء على ثورة الحسين عليه السلام، محمد باقر الصدر، ص 81-82

الفصل الثامن

لماذا هذا التناقض في المواقف والانقلاب والغدر للمجتمع الكوفي كما تصوره
الروايات؟

الفصل الثامن

لماذا هذا التناقض في المواقف والانقلاب والغدر للمجتمع الكوفي كما تصوره الروايات؟

الكوفة مرة أخرى:

نستنتج مما سبق أعلاه ولتلك الأسباب وغيرها فقد أختار الحسين عليه السلام الكوفة منطلقاً لثورته وبداية لإعلان الإصلاح في أمة جده، ذلك لما تحتاج حركته الى مبشرين بالإصلاح فاعلين وناشطين ومضحيين وأن يكونوا من أهل الكوفة.

فالكوفة بمثابة العاصمة الحقيقية للعالم الإسلامي، لما كانت تمثله من مركز الثقل العسكري الأبرز، والتي هي المنطلق إلى حروب الفتح والمستقر، وكانت الأحداث التي تقع فيها تلقي بظلالها على العالم الإسلامي كله.

ولا بد أن نعرف أن المستويين الثقافي والديني للمجتمع الكوفي لم يكونا جيدين وظلت الطبيعة البدوية هي الحاكمة في القرار والمزاج الساسي. وكان للقيادة دوراً مهماً في تجهيل الناس وظهور طبقة من الآخرين الذين استغلوا هذا التخلف. إذ لم يحظ الكوفيون بالمعرفة

الدينيّة اللازمة، وظلّ حظّهم ضئيلاً من تعاليم الشريعة والعلوم الدينيّة. لقد تحدّث عمر صراحةً إلى من رغب من الصحابة قصد الكوفة، ونهاهم عن تعليم الحديث؛ لئلاّ يضرّوا أنس هؤلاء بالقرآن. هذا وقد برزت في الكوفة طبقة عُرفت بـ "القرء"، ألّفت فيما بعد البذور التأسيسية لتيّار الخوارج. ثم نقطة أساسية أخرى تتمثّل بالنسيج القبائلي الموجود في الكوفة وهيمنة الطباع القبليّة، وثقافة القبيلة وموازينها على مجتمع الكوفة، ففي إطار نسيج ثقافيّ كهذا تكون الكلمة الفصل لرئيس القبيلة، أما البقيّة فهم تبع له، من دون أن تكون لهم حرّية الاختيار. وإنّ الناس قد انفصّوا عن الإمام علي عليه السلام وتركوه وحيداً، فهو تخلّي الخواصّ والنخب ورؤساء قبائل الأُمّة الإسلاميّة عنه، بالخصوص أهل العراق، وبخاصّة أهل الكوفة¹.

فالكوفة كانت تحت الإمامين علي ابن أبي طالب وابنه الحسن عليهما السلام. وكانت -أغلب أهلها- تدين بالولاء لهما. لذلك امتدحها أهل البيت. فقال أمير المؤمنين علي عليه السلام لأهل الكوفة: "أنتم الأنصار على الحق والاخوان في الدين والجنن يوم البأس والبطانة دون الناس بكم أضرب المدبر وأرجو طاعة المقبل فأعينوني بمناصحة خلية من الغش سليمة

1 منتخب موسوعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، محمد الري شهري، دار الحديث للطباعة والنشر، ط1، 1430 هـ، ص 641.

من الريب فوالله إني لأولى الناس بالناس"¹، وقال متوقعا لما سينال الكوفة من العنف والخبث وشدّة الظلم: "كأنّي بك يا كوفة تمدّين مدّ الأديم العكاظي تعركين بالنوازل وتركبين الزلازل وإني لأعلم أنه ما أراد بك جبار سوءا إلا ابتلاه الله بشاغل، ورماه بقاتل"². إن ما يؤكده أئمة أهل البيت عليهم السلام على أن ليس كل أهل الكوفة موالون لهم بل نسبة معينة، وهذا ما نراه في كلام أبي عبد الله عليه السلام إذ قال: "كم شيعتنا بالكوفة؟ قال: قلت خمسون ألفا فما زال يقول إلى أن قال: والله لوددت أن يكون بالكوفة خمسة وعشرون رجلا يعرفون أمرنا الذي نحن عليه، ولا يقولون علينا إلا الحق"³.

ولا نستغرب إذن أن يخطب أمير المؤمنين عليه السلام بالكوفة فينعتهم سلبا لأنهم ليسوا جميعا من الموالين له. وإن كان بعضا من مواليه قد تصرفوا كما الآخرين فقال للجميع: "أنا سيد الشيب وفي سنة من أيوب وسيجمع الله لي أهلي كما جمع ليعقوب شمله و ذلك إذا استدار الفلك وقلتم ضل أو هلك ألا فاستشعروا قبلها بالصبر ، وبوؤا إلى الله بالذنب فقد نبذتم

1 بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار، محمد باقر المجلسي (ت 1111 هـ) دار الإحياء، بيروت، 1983م، ج 32، ص 236

2 بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار، محمد باقر المجلسي (ت 1111 هـ) دار الإحياء، بيروت، 1983م، ج 97، ص 385

3 بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار، محمد باقر المجلسي (ت 1111 هـ) دار الإحياء، بيروت، 1983م، ج 64، ص 159

قدسكم وأطفأتم مصابيحكم وقلدتم هدايتكم من لا يملك لنفسه ولا لكم سمعا ولا بصرا ضعف
والله الطالب والمطلوب هذا ولو لم تتواكلوا أمركم ولم تتخاذلوا عن نصره الحق بينكم، ولم تهنوا
عن توهين الباطل، لم يتشجع عليكم من ليس مثلكم، ولم يقو من قوي عليكم، وعلى هضم
الطاعة وإزوائها عن أهلها فيكم، تهتم كما تاهت بنو إسرائيل على عهد موسى وبحق أقول
ليضعفن عليكم التيه من بعدي باضطهادكم ولدي ضعف ما تاهت بنو إسرائيل فلو قد استكملتم
نهلا وامتأتم علا عن سلطان الشجرة الملعونة في القرآن لقد اجتمعتم على ناعق ضلال
ولأجبتكم الباطل ركضا ثم لغادرتم داعي الحق وقطعتم الأدنى من أهل بدر ووصلتم الأبعد من
أبنا الحرب ألا ولو ذاب ما في أيديهم لقد دنى التمحيص للجزاء وكشف الغطاء وانقضت المدة
وأزف الوعد وبدا لكم النجم من قبل المشرق وأشرق لكم قمركم كملء شهره وكليله تم فاذا
استبان ذلك فراجعوا التوبة وخالعوا الحوبة واعلموا أنكم إن أطعتم طالع المشرق سلك بكم
منهاج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فتداريتم من الصمم واستشفيتم من البكم، وكفيتم
مؤنة التعسف والطلب، ونبذتم الثقل الفادح عن الاعناق، فلا يبعد الله إلا من أبي الرحمة
وفارق العصمة وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون"¹.

1 بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار، محمد باقر المجلسي (ت 1111 هـ) دار الإحياء،
بيروت، 1983م، ج 34، ص 156

ثم أن الحسين عليه السلام كان قد امتدح أهل الكوفة وهو يهيئهم للحرب تحت راية أبيه علي بن أبي طالب عليه السلام فقال: "يا أهل الكوفة أنتم الأحبة الكرماء والشعار دون الدثار جدّوا في إطفاء ما دثر بينكم وتسهيل ما توعر عليكم"¹

ويمدحهم الصادق عليه السلام أيضا بحبهم لأهل البيت: "إنه ليس بلد من البلدان ولا مصر من الامصار أكثر محبا لنا من أهل الكوفة، إن الله هداكم لأمر جهله الناس، فأجبتونا وأبغضنا الناس، وصدقتمونا وكذبنا الناس، واتبعتمونا وخالفنا الناس، فجعل الله محياكم محيانا ومماتكم مماتنا"²

الى هنا يمكننا أن نصنّف المجتمع الكوفي الى صنفين: الأغلبية التي يمثلها المجتمع من ألوان سياسية متنوعة ليست تجتمع على هوى أهل البيت عليهم السلام، وجزء آخر ممن يوالون أهل البيت عليهم السلام. وهذا يعطينا فكرة عن أحاديث أهل البيت في مدحهم مرة وهم للموالين لهم، وذمهم مرة أخرى وهو للمخالفين أو للذين ليسوا موالين لأهل البيت عليهم السلام.

1 شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، دار الكتب العلمية، بيروت، ج 3، ص 186
2 بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار، محمد باقر المجلسي (ت 1111 هـ) دار الإحياء، بيروت، 1983م، ج 25، ص 215

إذن لماذا تخلُّوا عنه يوم الطف حينما واجه عبيد الله بن زياد؟ الا يبدو أن هناك تناقضا؟
وقبل الإجابة عليه، لماذا دعوهُ اهل الكوفة أصلا؟

1. لماذا دعا أهل الكوفة الإمام الحسين عليه السلام؟

يمكننا أن نحصر جميع العوامل بسببين أحدهما ديني والآخر اقتصادي ويندرج ضمنهما

الأمن والأمان وهما:

1. لأن بعضهم من الموالين لعلي بن أبي طالب عليه السلام واخرين ممن التقت
مصالحهم معهم.

2. ولإحساسهم بالضيق من العيش والرغبة الجامحة للتخلص من الأمويين
واضطهادهم.

بالنسبة للنقطة الأولى ذكرنا مدح أمير المؤمنين وأهل بيته لأهل الكوفة ومدى
ولائهم له من شيعتهم؛ أما بالنسبة للنقطة الثانية وباختصار: أن معاوية ومن بعده قد
ضيقوا على أهل الكوفة اقتصاديا وماليا حتى ضجوا وتذمروا، وشرّدهم وقتل بعضهم.
وهذا بالضبط السرّ الذي دفع بعضا من المجتمع الكوفي لأن يكتب الحسين عليه
السلام. ويمكننا أن نستشف ذلك من المحادثة التي تمت بين مسلم ابن عقيل وابن زياد
قبل قتله فكان جوابه لسؤال بن زياد عن سبب قدومه للكوفة فيقول: "ولكن أهل المصر

زعموا أن أباك قتل خيارهم، وسفك دماءهم، وعمل فيهم أعمال كسرى وقيصر فأتيناهم
لنأمر بالعدل، وندعو إلى الكتاب"¹. وسنمر على بعض ممارسات العنف والاضطهاد
فيما بعد.

2. لماذا تخلى أهل الكوفة عن الحسين عليه السلام؟

إن لماذا تخلوا عنه يوم الطف حينما واجه عبيد الله بن زياد ألا يبدو أن هناك
تناقضا بين الموقفين؟

لا بد من سبر كتب السير والتواريخ وتحليل ما جاء فيها من خطب وأحداث. فقد
أجمعت الأخبار على أن ابن زياد قد أعمل السيف في رؤساء بعض العشائر وهدد
الآخرين بالقتل، وأن أكثر من عشرة آلاف قد سجنوا على الظن والتهمة قبل مجيء
الحسين عليه السلام إلى العراق وقتله. كما أنه أُرهب الناس ولوح لهم بأن جيش الشام
على الأبواب. ولا نستبعد أن عبيد الله بن زياد رشا بعض الأشراف بالمال والمواقع كما
فعل مع بعض وجوه البصرة، وسلوك عبيد الله بن زياد وعمر بن سعد معروف في هذا
المجال.

1 بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار، محمد باقر المجلسي (ت 1111 هـ) دار الإحياء،
بيروت، 1983م، ج 44، ص 356

ورسالة سليمان بن سرد الى الحسين عليه السلام واضحة جلية في عرض جانبنا من هذا الاضطهاد فيقول سليمان بن سرد، والمسيب بن نجبة، ورفاعة بن شداد، وحبيب بن مظاهر، وشيعته من المؤمنين والمسلمين من أهل الكوفة: "سلام عليك فانا نحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو! أما بعد فالحمد لله الذي قصم عدوك الجبار العنيد الذي انتزى على هذه الأمة فابتزها وغصبها فيأها وتأمّر عليها بغير رضى منها ثم قتل خيارها واستبقى شرارها وجعل مال الله دولة بين جبابرتها وأغنيائها فبعدا له كما بعدت ثمود انه ليس علينا إمام فأقبل لعل الله يجمعنا بك على الحق، والنعمان بن بشير في قصر الامارة لسنا نجتمع معه في جمعة ولا نخرج معه إلى عيد ولو قد بلغنا انك قد أقبلت الينا أخرجناه حتى نلحقه بالشام إن شاء الله والسلام ورحمة الله وبركاته عليك"¹.

وكذلك قول مسلم بن عقيل لابن زياد في هذا المجال: "ولكنكم أظهرتم المنكر ودفنتم المعروف وتأمّرتم على الناس بغير رضى منهم وحملتموهم على غير ما أمركم به الله، وعملتكم فيهم بأعمال كسرى وقيصر، فأتيناهم لنأمر فيهم بالمعروف وننهى عن

1 أعيان الشيعة، محسن الأمين (ت 1371 هـ)، دار المطبوعات، بيروت، ج 4، ص 554

المنكر وندعوهم إلى حكم الكتاب والسنة، وكنا أهل ذلك كما أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم¹.

هذا من جانب، ولا ننس أن المجتمع الكوفي مجتمعا تحكمه الروح القبلية وهو قليل ثقافة واهتمامه ضعيف بالشريعة الإسلامية وكون الخوارج طبقة تسمى بالقراء كما بينا سابقا، ويضاف الى ذلك أن المجتمع الكوفي عموما لم يروا من الانضمام الى صف الحسين عليه السلام يدر عليهم بمنفعة ولا يلبي لهم أي مصلحة شخصية، فمزاجهم وهواهم ليسا مع الحسين عليه السلام، فأرادوا الحسين ينتصر على ابن زياد لتحقيق دولة يرفلون بها لتحقيق مآربهم وما أن خبروا الحسين عليه السلام وعرفوا هدفه انحسروا عنه وتركوه وحده ولسان حال الحسين عليه السلام ما قاله أبوه في أهل الكوفة: [وليس أمري وأمركم واحداً ؛ إنني أريدكم لله، وأنتم تريدونني لأنفسكم]²،

فلما وجد الناس أن الإمام لا يتلاءم وإياهم في الهدف، راحوا يتخلون عن مسانדתه. ثم بمرور الزمان، وكلما اتضحت دوافع الإمام في العمل أكثر تضاعف تأييد الناس،

1 اللهوف على قتلى الطفوف، رضي الدين أبو القاسم علي بن موسى بن جعفر بن طاووس الحلي (664 هـ)، دار الأسوة للطباعة والنشر، ص 122
2 بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار، محمد باقر المجلسي (ت 1111 هـ) دار الإحياء، بيروت، 1983م، ج 32، ص 49

واتسعت الفجوة بينهم وبين الإمام عليه السلام. هؤلاء الذين راعوا مصالحهم الشخصية ولم يبالوا بدعوة الإمام الحسين عليه السلام وهم الغالبية في المجتمع الكوفي قد حدد اتجاههم الإمام علي عليه السلام بوصف دقيق، فهم جماعة عشوائية. فلا يعرفون طريق الحياة الصحيح، ولا يسمحون لأنفسهم بالتفكير به، بل غاية حظهم اتباع الآخرين اتباعاً أعمى فهم [هَمْجٌ رَعَاغٌ؛ أَتْبَاعٌ كُلٌّ نَاعِقٍ، يَمِيلُونَ مَعَ كُلِّ رِيحٍ، لَمْ يَسْتَضِيئُوا بِنُورِ الْعِلْمِ، وَلَمْ يَلْجَأُوا إِلَى رُكْنٍ وَثِيقٍ]¹. مجتمع قبلي بسلوكه وتفكيره فيتبعون رئيس قبيلتهم لمحض كونه رئيس قبيلة، أو قائد حزب، أو شخصيّة تحظى بالاحترام بالنسبة إليهم، ولا يهتموا لما سمعوا عن الحسين عليه السلام ومحاصرته أو مناصرته. ببساطة لأن رؤساءهم لم يأذنوا لهم.

هؤلاء فقدوا بوصلة انتمائهم وضاعت عندهم الأولويات. فما كان من الحسين عليه السلام إلا أن صاح بهم مستهجناً موقفهم المخزي لإلقاء الحجة بعد الحجة عليهم محذراً إياهم ولكن فانت عليهم الفرصة وغلبهم الجهل وعمى الاتباع. صاح بهم ليحددوا موقفهم بوضوح وألا يتيهوا ويضيعوا بتيه الخيارات البائسة. فلم يجادلهم بالدين لأنهم

1 بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار، محمد باقر المجلسي (ت 1111 هـ) دار الإحياء، بيروت، 1983م، ج 75، ص 76

أضاعوه وبقي رسماً على شفاههم دون عقولهم ولكنه أعادهم الى التفكير بقيمهم القبلية، فصاح فيهم مستنكراً: [ويحكم يا شيعة آل أبي سفيان، إن لم يكن لكم دين وكنتم لا تخافون المعاد فكونوا أحراراً في دنياكم هذه وارجعوا إلى أحسابكم إن كنتم عرباً كما تزعمون]¹. ألم تكن صرخة الحسين عليه السلام كما كانت لأبيه عليه السلام حين صرخ بوجه أهل الكوفة من قبل قائلاً: [ألا وإنكم قد نفضتم أيديكم من حبل الطاعة.. وتلثمتم حصن الله المضروب عليكم، بأحكام الجاهلية. وأعلموا أنكم صرتم بعد الهجرة أعراباً، وبعد الموالاة أحزاباً؛ ما تتعلقون من الإسلام إلا باسمه، ولا تعرفون من الإيمان إلا رسمه. ألا وإنكم قد قطعتم قيد الإسلام، وعطلتم حدوده، وأمتمت أحكامه]².

كيف نتوقع من غير الموالين لأهل البيت عليهم السلام من أهل الكوفة وبالذات من خواصهم أن يميلوا للحسين عليه السلام. وقد ذاقوا عدالة أمير المؤمنين فلم يجدوا منه غير نصيبهم وما يستحقون وما هو مالك الأشرار يحلل الواقع الاجتماعي لأمير المؤمنين عليه السلام. الذي هو ليس بعيداً عما هو مع الحسين عليه السلام فيما لو تحقق له النصر العسكري واستلم الحكم في الكوفة. فأهل الكوفة قد استنتجوا أن الابن

1 اللهوف على قتلى الطفوف، رضي الدين أبو القاسم علي بن موسى بن جعفر بن طاووس الحنفي (664 هـ)، دار الأسوة للطباعة والنشر، ص 171.

2 شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، دار الكتب العلمية، بيروت، ج 13، ص 179

على سر أبيه وسيفعل ما فعله فيهم أمير المؤمنين عليه السلام. فقد سبق وأن سأل عليّ ابن أبي طالب لماذا يرغب الناس عنه؟ وجاءت الأسباب يسطرها مالك الأشر وهو محفورة في عقول أهل الكوفة واستحضروها حينما قدم الحسين عليه السلام الى الكوفة فغلت أيديهم وانغلقت عقولهم وعمت عيونهم فهم للباطل أقرب وللظالم أكثر ولأهل الكوفة على مصالحهم ولا يحبون من ينصفهم. فالشريف والوضيع عندهم لا يستويان والفقير والغني لا يتراحمان. لنرى ماذا قال الأشر بعدما شكّا عليّ عليه السلام إلى الأشر فرار الناس إلى معاوية ، فقال الأشر: يا أمير المؤمنين، إنا قاتلنا أهل البصرة بأهل البصرة وأهل الكوفة، والرأي واحد، وقد اختلفوا بعد، وتعادوا، وضعفت النية، وقلّ العدل، وأنت تأخذهم بالعدل، وتعمل فيهم بالحق، وتُنصف الوضيع من الشريف، وليس للشريف عندك فضل منزلة على الوضيع، فضجت طائفة ممن معك على الحق إذ عموا به، واغتموا من العدل إذ صاروا فيه، وصارت صنائع معاوية عند أهل الغنى والشرف ، فتأقت أنفس الناس إلى الدنيا ، وقلّ من الناس من ليس للدنيا بصاحب، وأكثرهم من يجتوي الحق، ويستمرى الباطل، ويؤثر الدنيا. فإن تبدل المال يا أمير المؤمنين تمل

إِلَيْكَ أَعْنَاقُ النَّاسِ، وَتَصِفُ نَصِيحَتُهُمْ، وَتَسْتَخْلِصُ وُدَّهُمْ. صَنَعَ اللَّهُ لَكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ،
وَكَبَّتْ عُدُوكَ، وَفَضَّ جَمْعَهُمْ، وَأَوْهَنَ كَيْدَهُمْ، وَشَتَّتْ أُمُورَهُمْ، إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ"¹.

لقد فعل ابن زياد كما فعل معاوية في شراء الذمم وهذا ما لا يقوم به الحسين عليه السلام. فقد رشا ابن زياد رؤساء القبائل وترك اتباعهم لا رأي لهم كما أسلفنا بل هم وراء غرائزهم. فكان الحسين عليه السلام قد سأل من خرج من الكوفة " قال لهم الحسين أخبروني خبر الناس وراءكم فقال له مجمع بن عبد الله العائذي وهو أحد نفر الأربعة الذين جاءوه أما أشرف الناس فقد أعظمت رشوتهم وملئت غرائزهم يستمال ودهم ويستخلص به نصيحتهم فهم ألب واحد عليك وأما سائر الناس بعد فان أفندتهم تهوى إليك وسيوفهم غدا مشهورة عليك"².

وهناك أمر مهم على مستوى التشريع، إذ انتهج معاوية مقتديا بمن سبقه بإعمال الرأي في الاجتهاد، ومن خلاله جَوَز معاوية باستخلاف ابنه يزيد. إن خلافة يزيد وشرعيتها قد أحدثتا صراعا شديدا في المدينة المنورة، وكانت من أهم الحوادث التاريخية

1 بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار، محمد باقر المجلسي (ت 1111 هـ) دار الإحياء، بيروت، 1983م، ج 34، ص 163
2 تاريخ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت 310 هـ)، دار التراث، ج 4، ص 306

في مسيرة التشريع الإسلامي في هذا العهد - ما بعد أمير المؤمنين - عليه السلام، وذلك "أن بلغ الصراع بين المدرستين، مدرسة أهل البيت ومدرسة الصحابة، قمة العنف، وذلك في أيام الحسين عليه السلام. وكان هذا حول شرعية خلافة يزيد ابن معاوية حيث صارت من أهم المسائل التي دار حولها النقاش في المدينة المنورة. فمدرسة أهل البيت كانت ترى أن شروط الإمامة لم تتوفر في يزيد، ومن أهم وأجلى هذه الشروط شرط العدالة الذي اشترط توافره فيمن يتولى إمرة المؤمنين بنص القرآن الكريم في قصة إمامة النبي إبراهيم عليه السلام: {قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ}¹.

وصرح رأس مدرسة أهل البيت - يومذاك - الإمام الحسين عليه السلام بأكثر من تصريح يوضح فيه مدى الانحدار الذي انتهى اليه التشريع الإسلامي في مجال تطبيقه، حيث يصل الأمر لأن يكون يزيد بن معاوية أمير المؤمنين وإمام المسلمين² ومن هذه التصريحات: عندما قال مروان للإمام الحسين عليه السلام بعد هلاك معاوية وتولي ابنه يزيد في خلافة المسلمين من بعده وبتعيين منه: "اني أمرك ببيعة

1 البقرة 124

2 تاريخ التشريع الإسلامي، عبد الهادي الفضلي، الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية، لندن، 1992، ص

يزيد بن معاوية فإنه خير لك في دينك ودنياك، فقال الحسين عليه السلام: انا لله وإنا إليه راجعون، وعلى الاسلام السلام إذ قد بليت الأمة براع مثل يزيد". وكذلك ما جاء في حديث الحسين عليه السلام لأخيه محمد بن الحنفية: "قال الحسين عليه السلام يا أخي والله لو لم يكن في الدنيا ملجأ ولا مأوى لما بايعت يزيد بن معاوية"¹.

لقد تصدى الحسين عليه السلام لهذا الانحراف الشديد ولأزال الناس حديثي عهد بالخلافة الإسلامية وعلى عونها إذ احرف أسلوب الحكم للتوريث ولأفسق الناس وأقلهم حرصا على الدين والمسلمين. "ولما لم تقد هذه التصريحات في إرجاع مدرسة الصحابة في المدينة عن قبول خلافة يزيد، قرر الإمام الحسين عليه السلام التضحية، ليفجر بدمه الشريف الموقف فيضع المسلمين أمام مسؤوليتهم -وجها لوجه- في مقاومة هذا الانحراف في النظرية، والانحدار في التطبيق. فقال: إنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي صلى الله عليه وآله وسلم، أريد أن أمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأسير بسيرة جدي وأبي علي ابن أبي طالب، فمن قبلني بقبول الحق، فالله أولى بالحق، ومن ردّ علي هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق، وهو خير الحاكمين"². فجاء

1 أعيان الشيعة، محسن الأمين (ت 1371 هـ)، دار المطبوعات، بيروت، ج 1، ص 583
2 تاريخ التشريع الإسلامي، عبد الهادي الفضلي، الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية، لندن، 1992، ص

إعلانه عليه السلام بالسير على نهج النص وهو نهج الرسول وعلي ابن أبي طالب

تأكيدا لما فعله أمير المؤمنين والحسن عليهما السلام من قبل.

3. فممن بدر هذا الانقلاب إذن؟

بإمكاننا القول أنّ هذا الانقلاب الذي بدر من المتبقيين من أهل الكوفة ليس غريباً،

بل هو المتوقع أساساً من الشخصيات النفعية والهامشية وغيرهم من الضعفاء، فيما إذا

تغيّرت المقاييس انقلبت موازين القوى عندهم. فهؤلاء الذين صوّروهم المؤرخون بأنهم قد

انقلبوا على الحسين عليه السلام انما هم رعا ع الناس وعامتهم وهم الذين وصفهم الفرزدق

بالقول للحسين عليه السلام، إذ قال الفرزدق: لَقِينِي الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي مُنْصَرَفِي

مِنَ الْكُوفَةِ، فَقَالَ: "مَا وَرَاكَ يَا أَبَا فِرَاسٍ؟ قُلْتُ: أَصَدُّكَ؟ قَالَ: الصِّدْقُ أُرِيدُ قُلْتُ: أَمَّا

الْقُلُوبُ فَمَعَكَ، وَأَمَّا السُّيُوفُ فَمَعَ بَنِي أُمَيَّةَ، وَالنَّصْرُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ. قَالَ: مَا أَرَاكَ إِلَّا

صَدَقْتَ، النَّاسُ عَبِيدُ الْمَالِ، وَالذِّينُ لَعْوُ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ يَحُوطُونَهُ مَا دَرَّتْ بِهِ مَعَايِشُهُمْ،

فَإِذَا مُحْصُوا لَلِابْتِلَاءِ قَلَّ الدِّيَانُونَ"1.

1 بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار، محمد باقر المجلسي (ت 1111 هـ) دار الإحياء،

بيروت، 1983م، ج 44، ص 195

ولا يستبعد أن ما لمسَه الفرزدق هو من الذين كانوا خارج السجون والذين لا همَّ لهم غير

مصالحهم وخوفهم من جبروت ابن زياد.

وذات الموقف سمعه الحسين عليه السلام حينما مرَّ بذات عرق "فلقي بشر بن غالب

واردا من العراق فسأله عن أهلها، فقال: خلفت القلوب معك، والسيوف مع بني امية.

فقال: صدق أخو بني أسد إن الله يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد"¹

4. هل من تناقض في الموقف؟

وهنا لا يبدو اي تناقض بموقف الكوفيين إذ أن أكثر من استنصر الحسين عليه

السلام بالأمس قد زجَّهم بن زياد في السجون قبل قدومه عليه السلام للكوفة وبقي

الآخرون خارجه يعبث بمقدراتهم ابن زياد وجلاوزته. حتى من الموالين لأهل البيت عليهم

السلام ممن كثر السواد ضد الحسين عليه السلام وصحبه يوم العاشر من المحرم الحرام

لكنهم غير مكترثين لما ألمَّ بهم إذ هم يبررون بأنهم لم يشاركوا بن زياد وجيشه لكنهم

تجمعوا متفرجين مما ساهموا بالدعم المعنوي لابن زياد وجيشه بسكوتهم فهم لم يضربوا

1 بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار، محمد باقر المجلسي (ت 1111 هـ) دار الإحياء،

بيروت، 1983م، ج 44، ص 367

سيفا ولا يطعنوا رمحا ولا يرموا سهما! ولكنهم كثروا السواد، فكثروا عدد الناس ضد

الحسين عليه السلام¹.

لقد كان المجتمع الكوفي بأغلبه لا يعرف معنى الحرية باتخاذ ما يريحه وينجو

بحياة هائلة بقدر ما كان يتزلف للسلطان الطاغي فقد فشل بالعيش مع أمير المؤمنين

وينعم بمعنى الحرية والعدل لأن أمير المؤمنين لا يعمل فيهم السيف كما هو معاوية.

فتعلم الخنوع والوضاعة أمام الطاغي المتجبر لخوفه من سطوته وسيفه ليجبرهم على

طاعته. بينما لم يعمل أمير المؤمنين عليه السلام ذلك فقال: [وَلَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ الَّذِي

يُصْلِحُكُمْ هُوَ السَّيْفُ، وَمَا كُنْتُ مُتَحَرِّياً صَلاَحَكُم بِفَسَادِ نَفْسِي، وَلَكِنْ سَيُسلِّطُ عَلَيْكُمْ بَعْدِي

1 روى ابن رباح قال: رأيت رجلا مكفوبا قد شهد قتل الحسين عليه السلام فسئل عن ذهاب بصره، فقال: كنت شهدت قتله عاشر عشرة غير إني لم أضرب ولم أرم فلما قتل رجعت إلى منزلي وصليت العشاء الاخيرة ونمت فأتاني آت في منافي فقال أجب رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فإنه يدعوك. فقلت مالي وله فأخذ بتلابيبي وجرني إليه فإذا النبي صلى الله عليه واله وسلم جالس في صحراء حاسر عن ذراعيه أخذ بحرية وملك قائم بين يديه وفي يده سيف من نار فقتل أصحابي التسعة، فكلما ضرب ضربة التهبت أنفسهم نارا فد نوت منه، وجثوت بين يديه وقلت السلام عليك يا رسول الله فلم يرد على ومكث طويلا ثم رفع رأسه وقال يا عدو اله انتهكت حرمتي وقتلت عترتي ولم ترع حقي، وفعلت ما فعلت؟ فقلت: والله يا رسول الله ما ضربت بسيف ولا طعنت برمح ولا رميت بسهم قال صدقت، ولكنك كثرت السواد أذن مني فدنوت منه فإذا طست مملوء دما! فقال لي: هذا دم ولدى الحسين عليه السلام فكحلني من ذلك الدم فانتهيت حتى الساعة لا أبصر شيئا. أنظر: اللهوف على قتلى الطفوف، رضي الدين أبو القاسم علي بن موسى بن جعفر بن طاووس الحلي (ت 664 هـ)، دار الأسوة للطباعة والنشر، ص 80-81

سُلْطَانٌ صَعْبٌ¹ لكنه تنبأ من خلال سلوكهم الفاسد أن سيتسلط عليهم من يقومهم بالسيف والقهر: [لا يَصْلُحُ لَكُمْ يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ إِلَّا مَنْ أَخْرَأَكُمْ وَأَخْرَأَ اللَّهُ!]². وفعلا فقد كان ذلك، وهذا عبد الملك بن مروان يسأل الحجاج عن أدواته في الحكم ومنهجه وسبيله فيجيبه بصراحة كاملة وهذا ما لمسناه بأسلوب بن زياد من قبل في أهل الكوفة. فقد التقت عبد الملك إلى الحجاج مستوضحاً عن الوسيلة التي يلجأ إليها في دفع الناس لطاعته، فسأله: "إِنَّ لِكُلِّ أَمِيرٍ آلَةً وَقَلَائِدَ، فَمَا آتَاكَ وَقَلَائِدُكَ؟ فَمَنْ نَازَعَنِي قِصْمَتَهُ، وَمَنْ دَنَا مِنِّي أَكْرَمْتَهُ، وَمَنْ نَأَى عَنِّي طَلَبْتَهُ، وَمَنْ ثَبَتَ لِي طَاعَتَهُ، وَمَنْ وَلَّى عَنِّي لِحَقَّتْهُ، وَمَنْ أَدْرَكَتْهُ قَتَلْتَهُ. إِنَّ آتِي: ازْرِعْ بِدِرْهَمِكَ مَن يُوَالِيكَ، وَاحْصِدْ بِسَيْفِكَ مَن يَعَادِيكَ"³. وهذا الأسلوب ذاته كان قد عمل به عبيد الله بن زياد.

وهناك مسألة أخرى لا تقل أهمية، ولطالما أشير الى أن أهل الكوفة مجتمع قبلي فهو يرى في خوضه غمار أي حرب فإنه ينتظر ما سيغنمه من تلك الحرب، ولكنه لا يجد في دخوله مع الحسين عليه السلام من حصاد الغنائم شيئاً، لذلك عزف عن نصرته

1 ميزان الحكمة، محمد الري شهري، دار الحديث، قم، ج 3، ص 2423
2 ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، ابو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت 538 هـ)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ج 5، ص 200، ح 229
3 منتخب موسوعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، محمد الري شهري، دار الحديث للطباعة والنشر، ط1، 1430 هـ، ص 654.

الحسين عليه السلام. هذه المعركة التي استضعف الكوفيون فيها الحسين عليه السلام. إذ كان هو ومن معه لا يتجاوزون المائة بينما جيش بن زياد آلاف من الجنود. فاستصغروا قوة الحسين عليه السلام وتوقعوا هزيمته لأنهم ينظرون الى الواقعة من زاوية مادية صرفة ولم ينظروا اليها من زاوية أخرى غير ذلك.

وهنا يقفز الى الأذهان سؤال: وهو كيف نشأت الفكرة القائلة بتناقض الموقف

لدى الكوفيين ويقصد بهم شيعة الحسين عليه السلام؟، ومن روج لها!؟

5. كيف أشيعت فكرة تناقض موقف أهل الكوفة؟

لا ننفي -قطعا- ان هناك مجموعة اشخاص قد ركّز عليهم اصحاب السير والمؤرخين في مسألة تناقض مواقفهم. وجعله الأمويون الطابع العام لأهل الكوفة ووصموهم بهذا الفعل. عملا في خدمة المشروع الأموي وطمس حقيقة القاتل الحقيقي ومن ثم أضاعه حجم الجريمة التي ارتكبها معاوية ومن ثم يزيد. على أن تضيع فيما بعد بين الكوفيين أنفسهم ومن ثم ترسم صورة ملائكية للقاتل وهو يزيد بن معاوية بن

ابي سفيان بأنه بكى¹، وأن القاتل يزيد لم يقبل أو يرض على فعل عمر بن سعد بمعنى أنه نفض يده من قتل الحسين عليه السلام، وان إعلامه قد نشر خبر أنه أي يزيد قد أكل مع علي بن الحسين عليه السلام وكذلك أوصل الركب الحسيني الى المدينة. وعوضهم أضعافا على ما جرى.

1 إن بكاء قساة القلوب أمثال يزيد ومن مثله يمكن أن يكون له هدف سياسي، إذ أنه وبعد ظهور حقيقة المأساة المروعة في قتل الحسين عليه السلام وسبي أهله وترويع أطفاله، أراد أن يخدع الرأي العام ويلقي اللوم على الآخرين فتظاهر بالبكاء. وعلى هذا الأساس فإن أمثال هذا البكاء لا يندرج تحت تأثيرا على قساوة وبشاعة الفعل المرتكب. وقد جاء في الإمامة والسياسة: في ذكر ما جرى على أهل البيت في مجلس يزيد: فقالت فاطمة بنت الحسين عليه السلام: يا يزيد! بنات رسول الله صلى الله عليه وآله [سبايا!] قال: فبكى يزيد حتى كادت نفسه تفيض، وبكى أهل الشام حتى علت أصواتهم. أنظر: الامامة والسياسة، أبي محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة الدينوري (ت 276 هـ)، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع، القاهرة، 1967، ج 2، ص 7. وكذلك: أقبل عمر بن سعد فقال: ما رجع رجل إلى أهله بشر مما رجعت به، أطعت ابن زياد وعصيت الله، وقطعت الرحم، وورد البشير على يزيد، فلما أخبره دمعت عيناه. أنظر: سير أعلام النبلاء، شمس الدين أحمد بن محمد بن عثمان الذهبي (ت 1374 هـ)، مؤسسة الرسالة، ج 4، ص 362

وينكر تاريخ الطبري عن عبد الله بن عمارة بن عبد يغوث عن بكاء اللعين عمر بن سعد: إذ خرجت زينب ابنة فاطمة عليها السلام أخته [أي أخت الحسين عليه السلام]، وكأني أنظر إلى فرطها يبول بين أذنيها وعاتقها، وهي تقول: ليت السماء تطابقت على الأرض، وقد دنا عمر بن سعد من حسين عليه السلام. فقالت: يا عمر بن سعد، أقتل أبو عبد الله وأنت تنظر إليه؟ قال: فكأني أنظر إلى دموع عمر وهي تسيل على خديه ولحيته، قال: وصرف بوجهه عنها. أنظر: تاريخ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت 310 هـ)، دار التراث، ج 4، ص 345.

بينما بالمقابل وعلى النقيض فإنهم أي الأمويين ومن بعدهم قد رسموا صورة أخرى على ان الشيعة هم الذين غدروا بالحسين عليه السلام كما فعلوا سابقا بأبيه امير المؤمنين واخيه السبط عليهما السلام. ولنأخذ نموذجا لذلك فكان كلام أمير المؤمنين لكل المجتمع الكوفي وليس لشيئته فقط فأخذة الإعلام الأموي وما بعدهم فبثه على أنه عليه السلام يتذمر من شيعته، وكأنه كان أميرا للشيعة فقط من المجتمع الكوفي! ومما جاء في كلام لأمير المؤمنين في اهل الكوفة وهو طويل. يصوره اهل السير والمؤرخين على إن علياً عليه السلام يذم الذين ادعوا التشيع له وخالفوا أوامره من شيعة الكوفة حتى قال فيهم: "أصبحت لا أطمع في نصركم، ولا أصدق قولكم. فرق الله بيني وبينكم، وأعقبني بكم من هو خير لي منكم، وأعقبكم بي من هو شر لكم مني. إمامكم يطيع الله وأنتم تعصونه، وإمام أهل الشام يعصي الله وهم يطيعونه. والله لو ددت أن معاوية صارفني بكم صرف الدينار بالدرهم، فأخذ مني عشرة منكم وأعطاني واحدا منهم والله لو ددت أنني لم أعرفكم، ولم تعرفوني، فإنها معرفة جرت ندما! لقد وريتم صدري غيظا، وأفسدتم علي أمري بالخذلان والعصيان، حتى لقد قالت قريش: إن عليا رجل شجاع لكن لا علم له

بالحروب. لله درهم!¹. "يا أهل الكوفة منيُّ منكم بثلاث واثنيتين: صم ذوو أسماع، وُبكم ذوو كلام، وعمي ذوو أبصار"². فكلامه عليه السلام لا يوحي من أي اتجاه بأنه موجه لشيعة ومواليه دون الآخرين من أهل الكوفة.

ورأيت من المناسب هنا أن انقل رأي ابن ابي الحديد في الرد على مزاعم الامويين في رسمهم مشوّهة في أن علياً عليه السلام يذم شيعة وهي ذات الفكرة التي استخدموها مع شيعة الحسين عليه السلام. فيقول ابن أبي الحديد: " فإن أصحابه كانوا فرقتين إحداهما تذهب إلى أن عثمان قتل مظلوما وتتولاه وتبرأ من أعدائه، والأخرى وهم جمهور أصحاب الحرب وأهل الغناء والبأس يعتقدون أن عثمان قتل لأحداث أوجبت عليه القتل، وقد كان منهم من يصرح بتكفيره وكل من هاتين الفرقتين يزعم أن عليا عليه السلام موافق لها على رأيها وتطالبه في كل وقت بأن يبدي مذهبه في عثمان وتساءله أن يجيب بجواب واضح في أمره. وكان عليه السلام يعلم أنه متى وافق إحدى الطائفتين باينته الأخرى وأسلمته وتولت عنه وخذلتة. فأخذ عليه السلام يعتمد في جوابه ويستعمل في

1 بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار، محمد باقر المجلسي (ت 1111 هـ) دار الإحياء، بيروت، 1983م، ج 34، ص 137

2 بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار، محمد باقر المجلسي (ت 1111 هـ) دار الإحياء، بيروت، 1983م، ج 34، ص 81

كلامه ما تظن به كل واحدة من الفرقتين أنه يوافق رأيها ويمائل اعتقادها فتارة يقول الله قتله وأنا معه.

وتذهب الطائفة الموالية لعثمان إلى أن الله أماته وسيميتي كما أماته وتذهب الطائفة الأخرى إلى أنه أراد أنه قتل عثمان مع قتل الله له أيضا وكذلك قوله تارة أخرى ما أمرت به ولا نهيت عنه. وقوله لو أمرت به لكنت قاتلا ولو نهيت عنه لكنت ناصرا. وأشياء من هذا الجنس مذكورة مروية عنه فلم يزل على هذه الوتيرة حتى قبض عليه السلام وكل من الطائفتين موالية له معتقدة أن رأيها في عثمان كرأيها فلو لم يكن له من السياسة إلا هذا القدر مع كثرة خوض الناس حينئذ في أمر عثمان والحاجة إلى ذكره في كل مقام لكفاه في الدلالة على أنه أعرف الناس بها وأحذقهم فيها وأعلمهم بوجوه مخارج الكلام وتدبير أحوال الرجال¹. فهو لم يذم مواليه وأصحابه، لكن الأمويون صوروا ذلك لشعوب باقي الأمصار.

1 شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، دار الكتب العلمية، بيروت، ج 7، ص 47

وما كرهه معاوية في مجلسه ومنها الكتاب الذي بعثه للإمام الحسين عليه السلام حينما وصلت الى معاوية تقاريراً تلمح الى عزم الحسين عليه السلام للذهاب الى العراق، فكتب معاوية: " وَأَهْلُ الْعِرَاقِ مَنْ قَدْ جَرَّبْتَ قَدْ أَفْسَدُوا عَلَى أَبِيكَ وَأَخِيكَ"¹

وهناك واحد ممن شوه صورة أهل الكوفة وجرت بعده سنة سلبية الى يومنا هذا، هو المنصور العباسي، ولما له من تأثير بالساحة الإعلامية والسياسية، وذلك في خطبته في أهل خراسان. ومن ثم استلمها المؤرخون وجعلوها حقيقة: "أن المنصور لما أخذ عبد الله بن حسن وإخوته والنفر الذين كانوا معه من أهل بيته، صعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم صلى على النبي ص، ثم قال: يا أهل خراسان، أنتم شيعتنا وأنصارنا وأهل دولتنا، ولو بايعتم غيرنا لم تبايعوا من هو خير منا، وإن أهل بيتي هؤلاء من ولد علي بن أبي طالب، تركناهم والله الذي لا إله إلا هو والخلافة، فلم نعرض لهم فيها بقليل ولا كثير، فقام فيها علي بن أبي طالب فتلطح وحكم عليه الحكمين، فافتقرت عنه الأمة، واختلفت عليه الكلمة، ثم وثبت عليه شيعته وأنصاره وأصحابه وبطانته وثقاته فقتلوه، ثم قام من بعده الحسن بن علي، فو الله ما كان فيها برجل، قد عرضت عليه الأموال،

1 البداية والنهاية، ابي الفداء اسماعيل بن كثير الدمشقي (ت 774 هـ)، دار احياء التراث العربي، ج 8، ص 162.

فقبلها، ففسد إليه معاوية، إني أجعلك ولي عهدي من بعدي، فخدعه فانسلخ له مما كان فيه، وسلمه إليه، فأقبل على النساء يتزوج في كل يوم واحدة فيطلقها غدا، فلم يزل على ذلك حتى مات على فراشه، ثم قام من بعده الحسين بن علي، فخدعه أهل العراق وأهل الكوفة، أهل الشقاق والنفاق والإغراق في الفتن، أهل هذه المدرة السوداء - وأشار الى الكوفة - فوالله ما هي بحرب فأحاربها، ولا سلم فأسالها، فرق الله بيني وبينها، فخذلوه وأسلموه حتى قتل، ثم قام من بعده زيد بن علي، فخدعه أهل الكوفة وغروه، فلما أخرجوه وأظهروه أسلموه، وقد كان أتى محمد بن علي، فناشده في الخروج وسأله ألا يقبل أقاويل أهل الكوفة، وقال له: إنا نجد في بعض علمنا، أن بعض أهل بيتنا يصلب بالكوفة، وأنا أخاف أن تكون ذلك المصلوب، وناشده عمي داود بن علي وحذره غدر أهل الكوفة فلم يقبل، وأتم على خروجه، فقتل وصلب بالكناسة¹

6. الخارطة السياسية للمجتمع الكوفي

إذن فإن أصحاب علي كانوا فرقتين، وكذلك ما كان مع الحسين عليه السلام وليس

المجتمع الكوفي كله مع الحسين عليه السلام.

1 تاريخ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت 310 هـ)، دار التراث، ج8،

والإمام وإن كان يخاطب أهل الكوفة ويذمهم، إلا أنّ المجتمع الكوفي لم يكن آنذاك معقل الشيعة فحسب، بل كانت تتقاسمه اتجاهات مختلفة. فهل ان المجتمع الكوفي كله من الموالين للحسين عليه السلام؟

لنرجع قليلا الى فترة حكم أمير المؤمنين لنستطلع الطبيعة السياسية للمجتمع الكوفي. فإن المجتمع الكوفي لم يكن آنذاك معقل للشيعة فحسب، بل كانت "تتقاسمه اتجاهات مختلفة وهي":¹

أ- طائفة علوية الهوى:

طائفة كانت علوية الهوى تقاوم مع علي عليه السلام عن عقيدة وثبات بما أنّه خليفة الرسول الذي نصّ على خلافته في يوم الغدير وغيره، والمشكلة الكبيرة أن هؤلاء يمثلون الجزء الأصغر في جيش علي عليه السلام فتمثل الطائفة الأكبر عدم الولاء والاعتراف بولايته مما تسبب في الفساد و "ليست مُقتَصِرَةً عَلَى فسادِ أهلِ الشّامِ عَلَيْهِ، بَلْ وَأهلِ العِراقِ الَّذِينَ هُمْ جُنْدُهُ وَبِطائِنَتُهُ وَأَنْصارُهُ؛ لِأَنَّهُمْ كانوا يَعتَقِدُونَ

1 رسائل ومقالات، جعفر السبحاني، مؤسسة الإمام الصادق، قم، 1433 هـ، ج 3، ص 670-672

إِمَامَةَ الشَّيْخِينَ إِلَّا الْقَلِيلَ الشَّاذَّ مِنْ خَوَاصِّ الشَّيْعَةِ"¹، وهم الشيعة الخالص كعمار بن ياسر، وحجر بن عدي، وعمرو بن الحمق، وصعصعة بن صوحان، وزيد بن صوحان، وكميل بن زياد، وميثم التمار، وغيرهم من أعيان الشيعة وروّادهم. وللإمام رسالة يمتدحهم بعد معركة الجمل يقول فيها "وَجَزَاكُمُ اللَّهُ مِنْ أَهْلِ مِصْرٍ عَنْ أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ أَحْسَنَ مَا يَجْزِي الْعَامِلِينَ بِطَاعَتِهِ، وَالشَّاكِرِينَ لِنِعْمَتِهِ، فَقَدْ سَمِعْتُمْ وَأَطَعْتُمْ، وَدُعَيْتُمْ فَأَجَبْتُمْ"². "ويصف الإمام عليه السلام أهل الكوفة في هذه الرسالة بخمس صفات استحقوا على أثرها دعاء الإمام لهم:

الأولى: العمل بطاعة الله عزّ وجلّ.

الثانية: أداء شكر نعمائه.

والثالثة: الاستماع لأوامره.

والرابعة: إطاعة أمره.

1 منتخب موسوعة الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام، محمد الري شهري، دار الحديث للطباعة والنشر، ط1، 1430 هـ، ص 475
2 بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار، محمد باقر المجلسي (ت 1111 هـ) دار الإحياء، بيروت، 1983م، ج 35، ص 252، ح 198

والخامسة: إجابة دعوته، وهذه كلها في الحقيقة تعبيرات مختلفة عن حقيقة واحدة¹. وهؤلاء المواليون للحسين ولأبيه وأخيه عليهم السلام يستقبلون ابن زياد ظانين أنه الحسين عليه السلام. فلما أقبل ابن زياد إلى الكوفة قادما من البصرة بعدما ولّاه يزيد بمشورة من سرجون الكوفة بالإضافة إلى البصرة "حتى دخل الكوفة وعليه عمامة سوداء وهو متلثم والناس قد بلغهم إقبال الحسين عليه السلام فأخذ لا يمر على جماعة من الناس إلا سلموا عليه، وقالوا: مرحبا بك يا ابن رسول الله قدمت خير مقدم فلما أشرف على الكوفة نزل حتى أمسى ليلا فظن أهلها أنه الحسين عليه السلام ودخلها مما يلي النجف فقالت امرأة: الله اكبر ابن رسول الله ورب الكعبة، فتصايح الناس قالوا: إنا معك أكثر من أربعين ألفا، وازدحموا عليه حتى أخذوا بذنب دابته وظنهم أنه الحسين عليه السلام"².

1 نفحات الولاية، ناصر مكارم الشيرازي، مدرسه الامام على بن ابى طالب(ع)، قم، 1426هـ، ج 9، ص

2 بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار، محمد باقر المجلسي (ت 1111 هـ) دار الإحياء، بيروت، 1983م، ج 44، ص 340

وكذلك موقف طوعة ام ولد زوجة الأشعث بن قيس من مسلم بن عقيل
فآوته في بيتها بعدما تنكر له أهل الكوفة وكذبوه. فآوته في بيتها في الوقت الذي
كان الوضع متأزم جداً.

ب- طائفة على عقيدة التبريع:

طائفة أخرى كانت على عقيدة التبريع، وأنّ الإمام رابع الخلفاء وتجب إطاعته
كإطاعة السابقين، فلذلك أجابوا دعوته وحاربوا الناكثين في البصرة والقاسطين في
صفين والمارقين في النهروان.

ت- طائفة عثمانية الهوى:

طائفة ثالثة كانت عثمانية الهوى، وهم أهل البصرة الذين ساندوا طلحة والزبير
في محاربتهم علياً، ولما قُتلا انضموا إلى جيش علي عليه السلام كرهاً لا طوعاً،
وكانوا يضمرون لعلي عليه السلام الحقد والكراهية، ويطيعونه في الظاهر.

ث- الطابور الخامس لمعاوية:

طائفة رابعة هي الطابور الخامس لمعاوية، كالأشعث بن قيس¹ (ومن كان معه) الذي أفسد الأمر على الإمام في قضية رفع المصاحف، وحتى خُدع به جمع غفير ممن كان في عسكر الإمام عليه السلام وإن ندموا على فعلهم فيما بعد، وهم الخوارج.

1 زوجه أبو بكر (رضي الله) عنه أخته أم فروة بنت أبي قحافة، وأحسن إليه غاية الإحسان، فكان الأشعث بن قيس عند أبي بكر رضي الله عنه بأفضل المنازل وأرفعها، ويقال: إن أم فروة بنت أبي قحافة ولدت من الأشعث بن قيس محمد بن الأشعث وإسحاق بن الأشعث وجعدة بنت الأشعث، وشهد مقتل الحسين بن عليّ عليهما السلام، وقتل في أيام المختار بن أبي عبيد. كان الأشعث من المنافقين في خلافة علي عليه السلام. وهو في أصحابه كما كان عبد الله بن أبي بن سلول في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كل واحد منهما رأس النفاق في زمانه والأشعث بن قيس كان عدواً للمؤمنين عليه السلام. روى ابن أبي الحديد في شرح النهج ان علياً عليه السلام كان يخطب على منبر الكوفة ويذكر أمر الحكيم فقام إليه رجل من أصحابه فقال له نهيتنا عن الحكومة ثم أمرتنا بها فما ندري أي الأمرين أرشد فصفق عليه السلام بإحدى يديه على الأخرى وقال: هذا جزء من ترك العقدة، فاعترضه الأشعث فقال: فقال يا أمير المؤمنين هذه عليك لا لك فخفض إليه بصره عليه السلام ثم قال وَ مَا يُدْرِيكَ مَا عَلَيَّ مِمَّا لِي عَلَيْكَ لَعْنَةُ اللَّهِ وَ لَعْنَةُ الْأَعْيُنِ حَائِكُ ابْنِ حَائِكِ مُنَافِقُ ابْنُ كَافِرٍ وَ لَلَّهِ لَقَدْ أَسْرَكَ الْكُفْرُ مَرَّةً وَ الْإِسْلَامُ أُخْرَى [مَرَّةً] فَمَا فَدَاكَ مِنْ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا مَالِكَ وَ لَا حَسْبُكَ وَ إِنَّ إِمْرَأً دَلَّ عَلَى قَوْمِهِ أَلْسَيْفَ وَ سَاقَ إِلَيْهِمُ الْخَنْفَ لَحْرِيٌّ أَنْ يَمُوتَهُ الْأَقْرَبُ وَ لَا يَأْمَنُهُ الْأَبْعَدُ. أنظر: شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، دار الكتب العلمية، بيروت،

ج 1، ص 291

والذي يوقفك على أنّ الإمام لا يخاطب فئة خاصة، بل يخاطب المجتمع الكوفي بكافة عناصره، ما رواه المؤرخون في أنّ الإمام عليه السلام بعدما خاطب القوم بقوله: "يا أشباه الرجال ولا رجال حُلوم الأطفال، وعقول ربّات الحجال"¹، قام إليه رجل آدم طوال، فقال: ما أنت بمحمد، ولا نحن بأولئك الذين ذكرت، فقال عليه السلام: "أحسن سمعاً تُحسن إجابة، ثكلتكم الثواكل! ما تزيدونني إلاّ غمّاً! هل أخبرتكم أنّي محمد، وأنكم الأنصار! إنّما ضربت لكم مثلاً، وإنما أرجو أن تتأسؤوا بهم"².

وصار واضحاً أنّ المجتمع الكوفي ليس على هوى سياسي واحد وإنما متعدد ومن يوالي أهل البيت ويناصرهم فهم شريحة من باقي الشرائح المتعددة.

1 بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار، محمد باقر المجلسي (ت 1111 هـ) دار الإحياء، بيروت، 1983م، ج 34، ص 137
2 شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، دار الكتب العلمية، بيروت، ج 2، ص 90

7. هل كان الحسين عليه السلام على علم بما سيحدث له وكيف ذلك؟

علينا أن نؤكد حقيقة مهمة في أن ما قدمناه فيما سبق كان على الصعيد التاريخي
المجرد عرضاً وتحليلاً؛ ولم نتطرق لما أخبر به الامام الحسين عليه السلام وما تملي عليه
مسؤوليته من كونه إماماً سواء حكم أم لم يحكم: [الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا]¹.
والحقيقة المهمة هي أن الإمام الحسين عليه السلام كان على علم كامل ويقين قاطع
بعلم ما سيكون كما أخبر بما سيجري له ويعرف الأرض التي سيتشهد عليها وذلك عن
أخيه عن أبيه عن جده وغيرهم، وكان الحسين بأبي وأمي على يقين من ترتب هذه الاثار
الشريفة على قتله، وانتهاج رحله، وذبح أطفاله، وسبي عياله. وما قصد كربلاء إلا لتحمل
ذلك البلاء عهد معهود وأمر من الله عليه أن يؤديه وهذا ما سنتناوله فيما بعد. وهنا
سأورد نماذج مما أخبر بما سيحدث له ولعياله:

أ- بأمر من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم:

ما قاله لعبد الله بن جعفر: "إني رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في

1 بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار، محمد باقر المجلسي (ت 1111 هـ) دار الإحياء،
بيروت، 1983م، ج 44، ص 2

المنام وأمرني بما أنا ماض له فقالا له فما تلك الرؤيا قال ما حدثت بها أحدا وما

أنا محدث بها أحدا حتى القى ربي عز وجل"¹

ب- مقتول في الطف:

عن عائشة قالت: " كانت له مشربة (غرفة) فكان النبي صلى الله عليه

وآله وسلم إذا أراد لقي جبريل لقيه فيها فلقيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

مرة من ذلك فيها وأمر عائشة أن لا يصعد إليه أحد، فدخل حسين بن علي ولم

تعلم حتى غشيها فقال جبريل من هذا فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

ابني فأخذه النبي صلى الله عليه وآله وسلم فجعله على فخذه فقال أما أنه سيقتل

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومن يقتله قال أمتك فقال رسول الله

صلى الله عليه وآله وسلم أمتي تقتله قال نعم فإن شئت أخبرتك الأرض التي

يقتل بها فأشار له جبريل إلى الطف بالعراق وأخذ تربة حمراء فأراه إياها فقال

هذه من تربة مصرعه"².

1 أعيان الشيعة، محسن الأمين (ت 1371 هـ)، دار المطبوعات، بيروت، ج 1، ص 589

2 تاريخ مدينة دمشق، أبي القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر، (ت 571 هـ)، دار الفكر، بيروت، ج 14، ص 195.

ت - مقتول على يد مسلم:

عن عائشة قالت: "بينما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم راقد إذ جاء الحسين
يحبو إليه فنحيته عنه ثم قمت لبعض أمري فدنا منه فاستيقظ وهو يبكي فقلت ما
يبكيك قال إن جبريل أراني التربة التي يقتل عليها الحسين فاشتد غضب الله على
من يسفك دمه وبسط يده فإذا فيها قبضة من بطحاء فقال يا عائشة والذي نفسي
بيده إنه ليحزنني فمن هذا من أمتي يقتل حسينا بعدي"¹

ث - مقتول في كربلاء:

عن حماد بن زيد عن جمهان "أن جبريل أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم
بتراب من تربة القرية التي قتل فيها الحسين وقيل اسمها كربلاء فقال رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم كرب وبلاء"²

1 تاريخ مدينة دمشق، أبي القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر،
(ت 571 هـ)، دار الفكر، بيروت، ج 14، ص 195
2 تاريخ مدينة دمشق، أبي القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر،
(ت 571 هـ)، دار الفكر، بيروت، ج 14، ص 197

ج- أمر لا رجعة فيه:

عن محمد بن صالح "أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين أخبره جبريل أن أمته ستقتل حسين بن علي فقال يا جبريل أفلا أراجع فيه قال لا لأنه أمر قد كتبه الله"¹

ح- شاء الله عز وجل أن يراني مقتولاً، ويرى حرمي مشردين، وأطفالي مذبحين:

في جوابه لأم سلمة، إذ قالت له: "يا بني، لا تحزن بخروجك إلى العراق، فاني سمعت جدك صلى الله عليه وآله وسلم، يقول: يقتل ولدي الحسين بأرض العراق في أرض يقال لها كربلاء، فقال لها: يا أماه، وأنا والله أعلم ذلك، وإنني مقتول لا محالة، وليس لي منه بدّ. وقد شاء الله عز وجل أن يراني مقتولاً. ويرى حرمي مشردين، وأطفالي مذبحين"²، وجوابه لأخيه محمد بن الحنفية، إذ قال له: "يا أخي، إن أهل الكوفة من قد عرفت غدرهم بأبيك وأخيك، وقد خفت أن يكون

1 تاريخ مدينة دمشق، أبي القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر، (ت 571 هـ)، دار الفكر، بيروت، ج 14، ص 197
2 المجالس الفاخرة في مآتم العترة الطاهرة، عبد الحسين شرف الدين الموسوي، مؤسسة المعارف الإسلامية، 1421 هـ، ص 103.

حالك كحال من مضى، فإن رأيت أن تقيم فإنك أعز من بالحرم وأمنعه، فقال: يا أخي قد خفت أن يغتالني يزيد بن معاوية بالحرم، فأكون الذي يستباح به حرمة هذا البيت، فقال له ابن الحنفية، فان خفت ذلك فصر إلى اليمن أو بعض نواحي البر، فإنك أمنع الناس به، ولا يقدر عليك أحد، فقال: أنظر فيما قلت. فلما كان السحر ارتحل الحسين عليه السلام، فبلغ ذلك ابن الحنفية، فأتاه، فأخذ زمام ناقته وقد ركبها فقال: يا أخي ألم تعدني النظر فيما سألتك؟ فقال: بلى، قال: فما حداك على الخروج عاجلاً؟ فقال: أتاني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعدما فارقتك، فقال: يا حسين، أخرج، فإن الله قد شاء أن يراك قتيلاً. فقال محمد بن الحنفية: إنا لله وإنا إليه راجعون، فما معنى حملك هؤلاء النساء معك وأنت تخرج على مثل هذا الحال؟ قال: فقال له: قد قال لي: إن الله قد شاء أن يراهن سبايا وسلم عليه ومضى"1.

1 اللهوف على قتلى الطفوف، رضي الدين أبو القاسم علي بن موسى بن جعفر بن طاووس الحلي (ت 664 هـ)، دار الأسوة للطباعة والنشر، ص 128

خ- علمه بأن ستقطع أوصاله:

في خطبته ليلة خروجه من مكة، وقوله فيها: " الحمد لله ما شاء الله ولا قوة إلا بالله صلى الله على رسوله وسلم ، خط الموت على ولد آدم مخط القلادة على جيد الفتاة، وما أولهني إلى اشتياق أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف، وخير لي مصرعاً أنا لأقيه، كأني بأوصالي تقطعها ذئاب الفلوات بين النواويس¹ وكربلاء، فيملأن مني أكراشاً جوفاً وأجربةً سغباً، لا محيص عن يوم خط بالقلم، رضى الله رضانا أهل البيت، نصبر على بلائه ويوفينا اجور الصابرين، لن تشذ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لحمته، بل هي مجموعة له في حضيرة القدس، تقر بهم عينه وينجز بهم وعده، من كان باذلاً فينا مهجته وموطناً على لقاء الله نفسه فليرحل معنا، فإني راحل مصباحاً إن شاء"².

1 النواويس: جمع ناووس وهو صندوق على شكل تابوت يضع فيه النصارى جثة الميت، ويطلق الناووس على مقبرة النصارى عموماً. والنواويس كانت مقبرة عامة للنصارى قبل الفتح الإسلامي، وهي كما يقال أرض تقع شمال غربي كربلاء ويقال تقع في أراضي ناحية الحسينية قرب نينوى. واليوم يقال لها أراضي الجمالية. وقيل: إنها في المكان الذي فيه مزار الحر بن يزيد الرياحي.

2 اللهوف على قتلى الطّفوف، رضي الدين أبو القاسم علي بن موسى بن جعفر بن طاووس الحليّ (ت 664 هـ)، دار الأسوة للطباعة والنشر، ص 126

د- علمه بمن سيبقى بعده:

وقوله: "لولا تقارب الأشياء وحضور الأجل لقاتلتهم بهؤلاء، ولكني أعلم يقيناً أن هناك مصرعي وهناك مصارع أصحابي، لا ينجو منهم إلا ولدي علي"¹ وللمزيد فقد كتب السيد شرف الدين رسالة في سبب توجه الحسين عليه السلام الى الكوفة مع علمه بأنه سيقتل وتسبى النسوة وعلمه بما سيجري في كربلاء، فقال: "كان الحسين -بأبي وأمّي- على يقين من ترتّب هذه الآثار الشريفة على قتله، وانتهاج رحله، وذبح أطفاله، وسبي عياله، بل لم يجد طريقاً لإرشاد الخلق إلى الأئمة بالحقّ، واستنقاذ الدين من أئمة المنافقين -الذين خفي مكرهم، وعلا في نفوس العامة أمرهم- الا الاستسلام لتلك الرزايا، والصبر على هاتيك البلايا، وما قصد كربلاء الا لتحمل ذلك البلاء عهد معهود عن أخيه، عن أبيه، عن جدّه، عن الله عز وجل."²

1 اللهوف على قتلى الطّفوف، رضي الدين أبو القاسم علي بن موسى بن جعفر بن طاووس الحسني الحلّي (ت 664 هـ)، دار الأسوة للطباعة والنشر، ص 126
2 المجالس الفاخرة في مآتم العترة الطاهرة، عبد الحسين شرف الدين الموسوي، مؤسسة المعارف الإسلاميّة، 1421 هـ، ص 103.

"وأنه عليه السلام لما عزم على الخروج من المدينة أئته ام سلمة رضي الله عنها فقالت: يا بني لا تحزني بخروجك إلى العراق، فاني سمعت جدك يقول: يقتل ولدي الحسين بأرض العراق في أرض يقال لها كربلاء، فقال لها: يا اماه وأنا والله أعلم ذلك، واني مقتول لا محالة، وليس لي من هذا بد واني والله لأعرف اليوم الذي اقتل فيه، واعرف من يقتلني، وأعرف البقعة التي ادفن فيها، واني أعرف من يقتل من أهل بيتي وقرابتي وشيعتي، وإن أردت يا اماه اريك حفرتي ومضجعي."¹

أقول مع أن الحسين عليه السلام على علم بمصرعه بما صرحت به الأحاديث والروايات إلا أنه غير مجبور أو مسير بل هو مختار وقام بنهضته المباركة. فأطاع الله سبحانه وتعالى مع علمه المسبق بمصيره المحتوم. فهو ذو إرادة وأن إرادته عليه السلام تأتي بالطول مع إرادة الله ومشيتته. وهذا الموقف يتماثل مع علم ابراهيم الخليل عليه السلام بذبح ابنه اسماعيل. فأقبل عليه السلام مطيعاً لأمر الله سبحانه وإرادته الكاملة مع ما رافق إقدامه من عقبات الشيطان

1 بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار، محمد باقر المجلسي (ت 1111 هـ) دار الإحياء، بيروت، 1983م، ج 44، ص 331

الرجيم وذلك بثنيه عن تنفيذ أمر الله. فجاءت إرادة النبي إبراهيم عليه السلام
طوليا مع إرادة الله سبحانه وتعالى وفيما أراد الله من إبراهيم الخليل. فشرع عليه
السلام بالتنفيذ وأخلص النية والعمل، لكن الله سبحانه وتعالى عوضه بذبح عظيم:
{وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ¹. ولذلك امتدحه سبحانه وتعالى لأنه وفى بما أمره به:
{وَأَبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى²}

8. قلة الناصر

ومن المعلوم، أن جلَّ أهل الكوفة وقرائها كانوا من المخالفين لعلي عليه السلام، ومن
كان يعتقد بإمامة أمير المؤمنين عليه السلام من العراقيين لا يبلغون خَمْسَةَ وَعِشْرُونَ رجلاً
ممن يعتمد عليهم. ومما جاء عن الْمُفَضَّلِ بْنِ قَيْسٍ: قَالَ لِي الصَّادِقُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: كَمْ شِيعَتُنَا
بِالْكُوفَةِ؟ قَالَ: قَلْتُ خَمْسُونَ أَلْفًا، فَمَا زَالَ يَقُولُ إِلَى أَنْ قَالَ: وَاللَّهِ لَوُدِدْتُ أَنْ يَكُونَ بِالْكُوفَةِ
خَمْسَةَ وَعِشْرُونَ رَجُلًا يَعْرِفُونَ أَمْرَنَا الَّذِي نَحْنُ عَلَيْهِ، وَلَا يَقُولُونَ عَلَيْنَا إِلَّا الْحَقَّ³. طبعا هذا

1 الصافات 107

2 النجم 37

3 بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار، محمد باقر المجلسي (ت 1111 هـ) دار الإحياء،
بيروت، 1983م، ج 64، ص 159

الكلام شاع بعد خلافة أمير المؤمنين عليه السلام للكوفة، والحقيقة أن الكوفة كانت عثمانية وذات تأثير سلبي على المواليين لأهل البيت عليهم السلام وخاصة في زمن الإمام الحسن عليه السلام. وعندما ولي الإمام الحسن بن علي عليهما السلام: "فبايعت الشيعة كلها، وتوقف ناس ممن كان يرى رأي العثمانية، ولم يظهروا أنفسهم بذلك، وهربوا إلى معاوية"¹.

9. الاستنتاج

يمكننا ان نستنتج مما سبق أعلاه ما يلي:

1. علينا أن نميز بين مصطلحين مهمين في الروايات المروية حول معركة الطف أو غيرها حول المجتمع الكوفي. مرة تستعمل (أهل الكوفة) ويقصد من ذلك وكما هو واضح المجتمع الكوفي بكل ألوانه السياسية وبكل موالاتهم المختلفة التي مررنا عليها وبضمنهم طبعاً المواليين للحسين عليه السلام. ومرة تذكر الروايات أصحاب أو شيعة أو المواليين للحسين عليه السلام وهم الخاصة، وقد امتدحهم أمير المؤمنين والحسين عليهما السلام مرارا وهناك الكثير من تلك الروايات السالفة الذكر.

1 علي والخوارج تاريخ ودراسة، جعفر مرتضى العاملي، المركز الإسلامي للدراسات، 2002، ج 1، ص

2. إن الجو العام كان مع الحسين عليه السلام، حتى أنهم كانوا ينتظرون مقدمه وليس

بالضرورة كلهم من المواليين لكن بعضهم ممن سخط على النظام الأموي والتقت

مصالحه مع المواليين وكنموذج لذلك شبت بن ربيّ المذحجي¹: كان مؤدناً لسجاح¹

التي ادّعت النبوة في السنة الحادية عشرة للهجرة. وأسلم شبت بعد ذلك. ولا ننسى أن الكثرة

منهم من الرعاع وقد ذكرنا فيما سبق أن قلوبهم مع الحسين وأهل بيته لكن تقتضي

مصالحهم أن يقتاتوا على فتات موائد بني أمية. وهذه الازدواجية بالحب العاطفي لأهل

1 وكان شبت أحد الساعين في قتل عثمان. وفي أيام خلافة أمير المؤمنين عليه السلام شارك إلى جانب أبي موسى الأشعري في تحذير أهل الكوفة من نصرته الإمام عليّ عليه السلام. وفي صفين شارك شبت إلى جانب أصحاب الإمام عليه السلام وعند انتهاء المعركة مال إلى الخوارج وأصبح أحد زعمائهم. وكان له مسجد في الكوفة إلا أن أمير المؤمنين عليه السلام منع الناس من الذهاب إليه. وشهد شبت بن ربيّ بطلب من زياد ابن أبيه في جملة من شهد ضدّ حجر بن عديّ ولهذه الشهادة قام معاوية بقتل حجر وأصحابه. وكان شبت أيضاً أحد الذين كتبوا للإمام عليه السلام يدعونه إليهم، وقد قالوا فيما قالوه في رسالتهم له: "قد اخضرّ الجنب وأينعت الثمار وأعشبت الأرض وأورقت الأشجار فأقدم علينا إذا شئت فإنما تقدم على جنّد مجنّد لك...". ومع ورود ابن زياد إلى الكوفة قام شبت بأمر من ابن زياد بالعمل على فصل الناس عن مسلم بن عقيل. وهناك أدلة كثيرة وأحدها أنه لما "دخل عبيد الله بن زياد الكوفة، وعليه عمامة سوداء وهو متلثمّ والناس قد بلغهم إقبال حسين عليه السلام إليهم، فظنّوا. حين قدم عبيد الله بن زياد أنه الحسين عليه السلام فأخذ لا يمرّ على جماعة من الناس إلا سلّموا عليه، وقالوا: مرحباً بك يا ابن رسول الله، قدمت خير مقدم، فرأى من تباشيرهم بالحسين عليه السلام مساءه وغازه ما سمع منهم، وقال: ألا أرى هؤلاء كما أرى. فلما أكثروا، قال مسلم بن عمرو الباهلي: فأخروا، هذا الأمير عبيد الله بن زياد!" أنظر: تاريخ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت 310 هـ)، دار التراث، ج 4، ص 267.

البيت ومعاداتهم بالسيف تجسدت في شاهدين صارخين غير من كتب للحسين عليه السلام يطلب مجيئه: أولاها موقف ذاك الرجل الكوفي الذي سلّب حليّ فاطمة بنت الحسين عليه السلام وهو بيكي²، والثانية: بكاء الشيوخ على الحسين عليه السلام ولا ينصرونه.

3. قام عبید الله بن زياد في البصرة وحتى قدومه الكوفة وقبل مجيء الحسين عليه السلام الى الكوفة تنكيلا واضطهادا وتعسفا وقتلا للموالين للإمام الحسين عليه السلام. وكنموذج لذلك، فقد قتل رسول الحسين عليه السلام للبصرة سليمان، ومسلم بن عقيل رسول الحسين عليه السلام للكوفة. وفي الكوفة ومباشرة وبعدهما وصل اليها هدهم في

1 سجاح التميمية: هي سجاح بنت الحارث بن سويد بن عقفان التميمية، من بني يربوع، أم صادر. متنبئة مشهورة. كانت شاعرة أدبية عارفة بالأخبار. نبغت في عهد الردّة (أيام أبي بكر) وادّعت النبوة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكانت في بني تغلب بالجزيرة، وكان لها علم بالكتاب أخذته عن نصارى تغلب فتبعها جمع من عشيرتها بينهم بعض كبار تميم كالزبرقان بن بدر، وعطار بن حاجب، وعمرو بن الأهم فاقبلت بهم في الجزيرة تريد غزو أبي بكر فنزلت باليمامة فبلغ خبرها مسيلمة (المتنبئ أيضا) وقيل له: إن معها أربعين ألفا فخافها، وتزوج بها، ولما بلغها مقتل مسيلمة أسلمت وهاجرت إلى البصرة وتوفيت فيها نحو سنة 55 هـ. وصلى عليها سمرة بن جندب والي البصرة لمعاوية. أنظر: ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، ابو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت 538 هـ)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ج2، ص 253.

2 أخذت نَقْلُ الحُسَيْنِ عليه السلام، وأخذَ رَجُلٌ حُلِيَّ فاطمة بنتِ الحُسَيْنِ عليه السلام، وبكى، فقالت: لِمَ تبكي؟ فقال: أَسَلَّبُ بنتَ رسولِ الله صلى الله عليه وآله، ولا أبكي؟ قالت: فدعه، قال: أخافُ أن يأخذَهُ غيَري! أنظر: سير أعلام النبلاء، شمس الدين أحمد بن محمد بن عثمان الذهبي (ت 1374 هـ)، مؤسسة الرسالة، ج 4، ص 361

ارزاقهم وأخذ يطاردهم ويأخذهم صلبا ونفيا. فقال من جملة ما قال: "ولا يبغي علينا منهم باغ، فمن لم يفعل برئت منه الذمة وحلال لنا ماله وسفك دمه. وأيما عريف¹ (كان في الكوفة 100 عريف) وجد في عرافته من بغية أمير المؤمنين أحد لم يرفعه إلينا صلب على باب داره، وألقيت تلك العرافة من العطاء وسيّر إلى موضع بعمان² الزارة"³.

4. عمل الإعلام الأموي فيما بعد مقتل الحسين عليه السلام، والأموي الهوى وهو امتداد ذلك الطابور الذي عبث بكتابة التاريخ وإلى يومنا هذا على خلط الأوراق وإضاعة الصورة الحقيقية لمقتل الحسين عليه السلام في أذهان الناس في البلاد الإسلامية. فنتقل الروايات ويغمز فيها على أتباع الحسين عليه السلام. فكل ذم جاء من أمير المؤمنين أو الحسين عليهما السلام لأهل الكوفة لتخاذلهم أو تناقلهم كانوا ينسبوه الى مواليهما. حيث انه لا يوجد تناقض في مواقف شيعة الحسين عليه السلام ومواليه.

1 العريف: هو القيم بأمر القبيلة أو الجماعة من الناس يلي أمورهم، ويتعرف الأمير منه أحوالهم. أنظر: تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي (ت 1205هـ)، دار الهداية. مادة عرف.

2 عمان المعروفة اليوم

3 مقتل أبي مخنف، لوط بن يحيى بن سعيد بن مخنف بن مسلم الازدي الغامدي، المطبعة العلمية، قم،

1398هـ. ص 27

فالموالون المخلصون له من أهل الكوفة قد أودعوا السجون، أو نفوا من الكوفة كما كان للمختار بن يوسف بعد سجنه لفترة من الزمن. أو قتلوا كما تم لمسلم بن عقيل في الكوفة، بل على العكس من ذلك أن من وقفوا ضده وحاربوه هم ليسوا من مواليه، وهم ليسوا من مواليه بالهوى ولم ينصروه فهم من عامة الناس المغلوب على امرهم أو الذين لا رأي لهم. وهم ذاتهم من لم ينتصر لهانئ بن عروة المرادي ولا لمسلم بن عقيل وغيرهما. فكانوا حينما يستقروا يجتمعوا آفا مؤلفة لكنهم سرعان ما يختفون خوفا من بطش بن زياد، وهم الذين كما وصف موقفهم الفرزدق بأن قلوبهم مع الحسين عليه السلام وسيوفهم مع بني امية. فاذا شارك أحدهم فقد شارك بسيفه طمعا برضا بن زياد، أو خوفا من سطوته، أو كانت مشاركة بعضهم وهم الكثرة ممن يوالون الحسين عليه السلام في قلوبهم قد شاركوا بسكوتهم ووقفوا موقف المتفرج يدعون بالنصر للحسين عليه السلام في احسن الاحوال ويعملون بذلك ظنا منهم أن ذلك أضعف الايمان.

5. لقد هضم الأمويون شيعة علي عليه السلام بعدما توفي أمير المؤمنين وقتلهم إياهم تحت كل حجر ومدبر بعدما آمنوهم وعاهدوهم بالأيمان المؤكدة، ثم سقيهم السم ريحانة رسول الله الامام الحسن وتسليطه زياد بن عبيد على العراقيين وإعطائه إياه الحرية المطلقة لقمع الموحددين العابدين من شيعة أمير المؤمنين. وإن الإمام الحسين عليه السلام كان قد وصف الجيش الذي جاء لقتاله في كربلاء، بأنهم شيعة آل أبي سفيان،

فلم يكن أهل الكوفة كلهم من الشيعة آنئذٍ، وإن كانوا قد بدأوا يعرفون أمر أهل البيت منذ استوطن علي عليه السلام الكوفة، ولكن الأمور قد تغيرت بعد استشهاد علي عليه السلام، واستيلاء معاوية على البلاد والعباد. "فإن ولاته على العراق قد تتبعوا شيعة علي عليه السلام تحت كل حجر ومدر، وصبوا على رؤوسهم أنواع البلايا والمصائب، والكوارث والرزايا، وقد استمر هذا العسف الظالم طيلة عقدين من الزمن حيث كانت كربلاء.. ثم استمر بعدها إلى عقود عديدة أيضاً، فما فعله عمال معاوية بأهل العراق، لم يُبقِ أي ذكر لنشاط الشيعة في تلك البلاد"¹

6. ومما يدخل في هذا السياق أننا نلاحظ: أن خوارج الكوفة كانوا أقل عدداً بالنسبة لخوارج البصرة، من جهة ومن جهة أخرى أن حياة أمير المؤمنين عليه السلام بينهم وسيرته فيهم، قد تركت أثراً إيجابياً في الكوفيين، فمنعتهم من الانسياق الشديد نحو التأثير بالإعلام المعادي، ويتميز المجتمع الكوفي بتنوع الأهواء كما أشرنا فيما سبق على العكس من المجتمع البصرة الذي كان عثمانى الهوى. فالبصرة عثمانية الهوى من يوم الجمل.

1 مختصر مفيد، أسئلة وأجوبة في الدين والعقيدة، المجموعة الثالثة، السيد جعفر مرتضى العاملي، المركز الإسلامي للدراسات، ط1، 2002، السؤال 184.

7. لقد عملت الدنانير الذهبية الأموية والرثا دورها في إضعاف موقف رؤساء القبائل ومن ثم أتباعهم، وكذلك دور الإشاعة السلبية بتضعيف دور الحسين عليه السلام من جهة وإظهار شراسة واستبسال جيش بن زياد من جهة أخرى قد أحدثت شرخا عميقا في موقف المجتمع الكوفي وحتى من الموالين العوام للإمام الحسين عليه السلام تجاه الوقوف معه ومناصرته. وأقل ما فعلته الآلة الأموية إن لم يلتحقوا في محاربة الحسين عليه السلام فتحبيدهم ووقوفهم متفرجين. وهذا ما كان، يا لهفي عليك يا أبا عبد الله.

الفصل التاسع

شخصية الإمام الحسين عليه السلام وسماتها الروحية والقيادية
والإصلاحية

الفصل التاسع

شخصية الإمام الحسين عليه السلام وسماتها الروحية والقيادية

والإصلاحية

سنتناول في هذا المقطع نشأة الحسين عليه السلام وتربيته في البيتين النبوي والعلوي، وإعداده روحياً وأخلاقياً وذلك من خلال معاشته للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وعلي وفاطمة والحسن عليهم السلام، وعلمه، وسخاؤه وجوده وعطاؤه. ثم الإعداد السياسي والعسكري للحسين عليه السلام، وقدرته كمحارب. وشجاعته. ونهضته، مقدماتها وأسلوبها وأمور أخرى. "الإمام أبو عبد الله الحسين عليه السلام ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وريحانته وابن أمير المؤمنين علي عليه السلام ونشأة بيت النبوة له أشرف نسب وأكمل نفس، جمع الفضائل ومكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال من علو الهمة ومنتهى الشجاعة وأقصى غاية الجود وأسرار العلم وفصاحة اللسان ونصرة الحق والنهي عن المنكر وجهاد الظلم والتواضع عن عز والعدل والصبر والحلم والعفاف والمروءة والورع وغيرها، واختص بسلامة الفطرة وجمال الخلقة ورجاحة العقل وقوة الجسم"

1. الحسين عليه السلام: معين النبوة: نشأته وتربيته في البيت النبوي

ولد عليه السلام في ثالث يوم من شعبان سنة أربع للهجرة، بعد نحو عام من ولادة أخيه الإمام الحسن عليه السلام، فكان رسول الله صلى الله عليه وآله أبوه وعصيته، [كل ابن أنثى كان عصبتهم لأبيهم ما خلا ولد فاطمة فأنا عصبتهم وأنا أبوهم]¹. فعاش مع جده المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم هي ست سنين وثمانية أشهر، بينما كانت المدّة التي عاشها مع أبيه عليه السلام، ما يقارب الثلاثين عاماً. وقد سمّاه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بنفسه حسيناً، كما سمّى أخاه من قبل حسناً. "قَالَ النَّبِيُّ ص سُمِّيَ الْحَسَنُ حَسَنًا لِأَنَّ بِإِحْسَانِ اللَّهِ قَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُونَ. وَاشْتَقَّ الْحُسَيْنُ مِنَ الْإِحْسَانِ وَعَلِيٌّ وَالْحَسَنُ اسْمَانِ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى وَالْحُسَيْنُ تَصْغِيرُ الْحَسَنِ"²

لقد نهل الحسين عليه السلام خلق النبوة والشجاعة العلوية وتربية الزهراء سيدة نساء العالمين ويرافقه الحسن سبط الرسول. فعاش طفولته مع أمه فاطمة الزهراء عليها السلام،

1 روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألويسي (ت 1270هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415 هـ، ج 3، ص 315، في رواية عن عمر بن الخطاب عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

2 المناقب لآل أبي طالب، محمد بن علي ابن شهر آشوب (ت 588 هـ)، مؤسسة انتشارات علامه، قم، ج 3، ص 398

السيدة الطاهرة المعصومة، التي قال عنها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إنَّها: [أمّ أبيها]¹، والتي عاشت معه صلى الله عليه وآله وسلم بكلّ كيانها، وعاشت مع علي عليه السلام بكلّ إخلاصها ومحبتّها له.

وتحرّك شبابه مع أخيه الحسن عليه السلام في خطّ أبيه علي عليه السلام، فكانا رفيقين له، يتحرّكان حيث تحرّك، وينطلقان حيث انطلق، وكانا يتعلّمان منه كيف يصبر صبر الأحرار على التحديات التي تُوجّه إليه حفاظاً على الإسلام والمسلمين، وكانا يعيشان كلّ فكره، وكلّ حكمته، وكلّ إبداعاته وعلمه، كما كانا يتطلّعان إلى أفقه، وكان علي عليه السلام يرى فيهما الإمامين اللذين يرجع الناس إليهما: [الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا]². ولأنهما [الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة]³ فهما المعصومان وهما

1 المناقب لآل أبي طالب، محمد بن علي ابن شهر آشوب (ت 588 هـ)، مؤسسة انتشارات علامه، قم، ج 3، ص 357

2 بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار، محمد باقر المجلسي (ت 1111 هـ) دار الإحياء، بيروت، 1983م، ج 43، ص 291

3 بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار، محمد باقر المجلسي (ت 1111 هـ) دار الإحياء، بيروت، 1983م، ج 43، ص 291

أهل بيت النبوة: "إنّا أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة، ومهبط الرحمة.

بنا فتح الله وبنا ختم"¹.

2. الإعداد الروحي والأخلاقي للحسين عليه السلام

أ- مع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم

ترعرع مولانا الإمام الحسين عليه السلام في حب جده المصطفى

وأفيضت عليه الأنوار النبوية والهبات المحمدية، وكان الفيض المحمدي قد

تجلى في قوله صلى الله عليه وآله وسلم: "أنا من حسين وحسين مني أحب الله

من أحب حسيناً حسين سبط من الاسباط"²، ومن المستبعد أن النبي صلى الله

عليه وآله وسلم يريد بهذا الحديث الرابطة النسبية بينه وبين الحسين عليه السلام

- وإن كان ذلك صحيحاً وعظيماً³ - خصوصاً عند النظر إلى الشطر الثاني،

1 اللهوف على قتلى الطفوف، رضي الدين أبو القاسم علي بن موسى بن جعفر بن طاووس الحسني الحلبي (664 هـ)، دار الأسوة للطباعة والنشر، ص 23.

2 بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار، محمد باقر المجلسي (ت 1111 هـ) دار الإحياء، بيروت، 1983م، ج 43، ص 291

3 فكانت أمه الزهراء بضعة رسول الله وهو ابنها فهو بضعته أيضاً، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّمَا فَاطِمَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بَضْعَةٌ مِنِّي، يَغِيظُنِي مَا يَغِيظُهَا، وَقَالَ مَرَّةً أُخْرَى: وَيُؤْذِنِي مَا آذَاهَا"، والحسين عليه السلام بضعة أمه فبالنتيجة هو بضعة الرسول وبقتله قتلوا الرسول مرة أخرى.

(وأنا من حسين) فلا بد أن يكون الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، ناظراً إلى أمرٍ أدق وأعمق من ذلك، ولعله يشير إلى وحدة المنهج، والهدف، والروح الرسالية، التي يحملها الحسين عليه السلام في سبيل إرساء رسالة الله، والحفاظ على أصولها، والتي تهدف إلى إصلاح الإنسان، وتخليصه من مستنقعات الجهل والظلام، والرقى به نحو سلم الكمال.

وعاش طفولته بين مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبيت أمير المؤمنين عليه السلام. ومعلوم أنّ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يسمو في كل تصرفاته بعيداً عن العواطف الشخصية والمؤثرات الدنيوية، بل هو رسول الهدى لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحيّ يوحى. ولما كان رسول الله يخطب فجاء الحسن والحسين عليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران، قال الراوي: "فنزل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من المنبر فحملهما فوضعهما بين يديه ثم قال: صدق الله ورسوله إنّما أموالكم وأولادكم فتنة، نظرتُ إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم أصبر حتى قطعْتُ حديثي ورفعتهما"¹. فأستشعر

1 بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار، محمد باقر المجلسي (ت 1111 هـ) دار الإحياء، بيروت، 1983م، ج 43، ص 300

الحسين عليه السلام كم غمرهما الرسول صلى الله عليه وآله وسلم حبا وعطفا.
فلما سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "أي أهل بيتك أحب إليك؟ قال:
الحسن والحسين، وكان يقول لفاطمة: ادعي لي ابني فيشمهما ويضمهما
إليه".¹ وهو يعلم منزلته عند رسول الله صلى الله عليه وآله ويعلم حجم
المسؤولية التي عاتقه منذ طفولته، "قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:
"من أحب أن ينظر إلى أحب أهل الأرض إلى أهل السماء، فلينظر إلى
الحسين"²

ويكفي أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم باهل بهما وبعلي وفاطمة
عليهما السلام، {فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ
أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ
عَلَى الْكَافِرِينَ}³، التي تدل على فضل هؤلاء ومكانتهم الرفيعة عند الله ورسوله.

1 بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار، محمد باقر المجلسي (ت 1111 هـ) دار الإحياء،
بيروت، 1983م، ج 43، ص 299

2 بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار، محمد باقر المجلسي (ت 1111 هـ) دار الإحياء،
بيروت، 1983م، ج 43، ص 297

3 آل عمران 61

إضافةً إلى أنه واحد من أهل الكساء الذين نزل فيهم القرآن: {إِنَّمَا يُرِيدُ
اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا}¹، في إعلانٍ واضحٍ عن
عصمتهم وطهارتهم من كلّ دنس وخطأ. وأوجب الله سبحانه وتعالى محبة أهل
البيت عليهم السلام {قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى}².

ونشأ عليه السلام ذا مروءة نادرة وشجاعة فائقة وحلم عظيم وعفة كاملة،
وكان إلى جانب ذلك فقيها ورعاً ذكياً ظهر ذلك في كثير مما أثر عنه. فقد
ورث عن جده المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم الجود والجرأة، مما روي
عن فاطمة عليها السلام أنه قالت: "هذان ابناك فورثهما شيئاً فقال: أما الحسن
فله هيبتي وسؤددي وأما الحسين فان له جرأتي وجودي"³.

إنّ شخصية الإمام الحسين عليه السلام هي شخصية فريدة متميزة في
نوعها تجسّد القيم الإسلامية في كل أبعادها وتفصيلها، إذ ترعرع في بيت النبوة
المحمديّ على الذكر والتقوى والفقهِ والصلاح والشجاعة والفصاحة، وهي

1 الأحزاب 33

2 الشورى 23

3 بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار، محمد باقر المجلسي (ت 1111 هـ) دار الإحياء،
بيروت، 1983م، ج 43، ص 296

شخصيةً تمثلُ القيمةَ الإنسانيةَ الروحيةَ التي انفتحت على شريعةِ الله أوسعَ انفتاح، وعاشت عمقَ المفاهيمِ الإسلاميةِ كأعمقِ ما يكون العمق، وانطلقت مجسدةً تعاليمَ الإسلامِ بكلِ القضايا المتصلة بالإسلام.

لقد كان الحسين عليه السلام بحكم نشأته وتربيته ومزايه الفطرية، وبحكم الوراثة الخلقية من أكرم بيت وأشرف خلق، مؤمناً أصدق الإيمان بالله تعالى، حريصاً أشد الحرص على شريعة الإسلام أن يمسها أحدٌ مهما علت منزلته بسوء، صلباً أشد الصلابة في إحقاق الحق ومراعاة أحكام الدين القويم، لا تأخذه في الله لومة لائم. كان هذا شأنه، ومن كان هذا شأنه وهذه مبادئه ومعتقداته كان من العسير عليه أشد العسر، لا بل من المستحيل أعظم ما تكون الاستحالة، أن يغض الطرف أو أن يرضى بالزيف الصارخ والانحراف عن نهج الدين القويم.

فأعظم بإنسان؛ جدّه محمدٌ سيد المرسلين، وأبوه عليٌّ بطلُ الإسلام الخالد البطل الذي لا صنوله في دوره البارز المتفرد، عليٌّ الذي يصف مكانته عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: [أَنَا صِنْوُهُ، وَوَصِيُّهُ، وَوَلِيِّهُ، وَصَاحِبُ

نَجَوَاهُ وَسِرِّهِ¹، كان قد سمع من أبيه عليه السلام ماذا فعل حينما قُبِضَ رَسُولُ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: [وَإِنَّ رَأْسَهُ لَعَلَى صَدْرِي، وَلَقَدْ سَأَلَتْ نَفْسُهُ فِي
كَفِّي، فَأَمَرْتُهَا عَلَى وَجْهِي. وَلَقَدْ وَلِيْتُ غُسْلَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَالْمَلَائِكَةُ
أَعْوَانِي، فَضَجَّتِ الدَّارُ وَالْأَفْنِيَةُ؛ مَلَأُ يَهْبِطُ، وَمَلَأُ يَعْرُجُ، وَمَا فَارَقْتَ سَمْعِي هَيْمَةً
مِنْهُمْ، يُصَلُّونَ عَلَيْهِ حَتَّى وَارِنَاهُ فِي ضَرْحِهِ. فَمَنْ ذَا أَحَقُّ بِهِ مِنِّي حَيًّا وَمَيِّتًا؟!
فَانْفُذُوا عَلَى بَصَائِرِكُمْ، وَلْتَصَدُقْ نِيَّاتُكُمْ فِي جِهَادِ عَدُوِّكُمْ، فَوَالَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
إِنِّي لَعَلَى جَادَةِ الْحَقِّ، وَإِنَّهُمْ لَعَلَى مَرَّلَةِ الْبَاطِلِ. أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ
لِي وَلَكُمْ². فما أعظم الموقف وما أصدق الكلمة وما أشجعها وأصلبها من قولة
حق، فكلها دروس وعبر أخذها الحسين عليه السلام. وزقته أمه الزهراء فاطمة
سيده نساء العالمين الحنان والترية، وأخوه السبب الحسن ربحانة الرسول، نسب
مشرق وضاء ببيت زكيّ ظهور. كل ذلك كان يراه ويسمع به.

1 منتخب موسوعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، محمد الري شهري، دار الحديث للطباعة والنشر، ط1، 1430 هـ، ص 737

2 شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، دار الكتب العلمية، بيروت، خ 190، ج 9، ص 179

ب- مع أمه الزهراء عليها السلام

لقد عايش الحسين عليه السلام أمه ورآها كيف كانت تباشر أمور البيت بنفسها لمدارة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وسمع من الرسول كيف كان يصفها النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ومقدار حنانها لأبيها حين مرضه فناجها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فبكت ثم ضحكت بعد ذلك، وكان قد قال لها أبوها عليه السلام: [أنت أول أهل بيتي لحوقا بي بعد أربعين]¹. فأحس بعمق العلاقة التي تربط أمه الزهراء عليها السلام بأبيها خاتم الأنبياء ودورها في مسيرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

لقد عاش الحسين وكذا الحسن عليهما السلام كل الانفعالات للزهراء مع أبيها عليه السلام وخلجات نظراته وكيف أنها تفهم منها كل ما يريد وما لا يريده دون أن يقول شيئاً أو أن ينهاها عن شيء فتبادر لامتنال أوامره ونواهيها دون ابطاء أو تردد مدفوعة بذلك بعامل المحبة له كأب والتقدير لشخصه كنبى. و"كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يبدأ في سفره بفاطمة ويختتم بها،

1 بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار، محمد باقر المجلسي (ت 1111 هـ) دار الإحياء، بيروت، 1983م، ج 36، ص 265

فجعلت وقتا سترا من كساء خيبرية لقدم أبيها وزوجها فلما رآه النبي صلى الله عليه وآله وسلم تجاوز عنها وقد عرف الغضب في وجهه حتى جلس عند المنبر فنزعت قلايتها وقرطيتها ومسكتها ونزعت الستر فبعثت به إلى أبيها وقالت: اجعل هذا في سبيل الله فلما أتاه قال: عليه السلام قد فعلت فداها أبوها ثلاث مرات ما لآل محمد وللدنيا فانهم خلقوا للأخرة وخلقت الدنيا لهم¹. وهكذا كانت الزهراء عليها السلام روحا وأخلاقا وتقوى وعبادة وصلة بالله وانسجاما مع تعاليمه. وبهذا نعرف الدور الصامت الذي قامت به الزهراء عليها السلام في الجهاد برعايتها لأبيها وهو في أشد الأوقات حرجة وأعظمها قسوة.

لقد عرف الحسين عليه السلام التصاق الزهراء بالحق ودفاعها عنه وكلامها الصدق وهي الصديقة. وعاش تلك الأيام التي عانت الزهراء بعد رحيل أمير المؤمنين عليه السلام فجاء خطابها في المسجد النبوي، وبجوار قبر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ليسجل اعتراضها اعتراض الرسالة حيث نص الرسول صلى الله عليه وآله وسلم على تنصيب أمير المؤمنين عليه السلام

1 بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار، محمد باقر المجلسي (ت 1111 هـ) دار الإحياء، بيروت، 1983م، ج 43، ص 86

وصيا بعده وتمت مبايعته في غدير خم، فجاء اعتراض الزهراء على سقيفة بني ساعدة¹ الذي جرى تحت سقفه أول مؤامرة على منهج رسول الله محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

لم تكن فاطمة عليها السلام من النوع الذي يقيم لحطام الدنيا وزناً فهي التي شهد القرآن لها ولآلها في الانسان بالإيثار في سبيل الله ولو كان بهم خصاصة: {يُؤْفُونَ بِالَّذِينَ لَنَا فِيهَا آلِهَةً وَإِيَّاهُم بِاللَّهِ كَانُوا خَافُونَ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَتْ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا * وَيُطْعَمُونَ أَلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا * إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا * وَفَهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ

1 "عن يزيد بن رومان مولى آل الزبير عن ابن شهاب قال: بينا المهاجرون في حجرة رسول الله وقد قبضه الله اليه، وعلى بن أبي طالب والعباس متشاغلان به، إذ جاء معن بن عدى وعويم بن ساعدة، فقالا لأبي بكر: "باب فتنة! ان لم يغلقه الله بك فلن يغلق أبدا، هذا سعد بن عبادة الأنصاري في سقيفة بني ساعدة يريدون أن يبايعوه"، فمضى أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح حتى جاؤا السقيفة. إلى == أن قال: فقال أبو بكر: ان تطيعوا أمرى تبايعوا أحد هذين الرجلين: أبا عبيدة. وكان عن يمينه، أو عمر بن الخطاب، وكان عن يساره. فقال عمر: وأنت حي؟ ما كان لأحد أن يؤخرك عن مقامك الذي أقامك فيه رسول الله فابسط يدك فبسط يده فبايعه عمر وبايعه أسيد بن حضير وبايع الناس وازدحموا على أبي بكر، فقالت الانصار قتلتم سعدا وقد كادوا يطأونه فقال عمر: اقتلوه فانه صاحب فتنة. وان أول من بايع من الانصار، بشير بن سعد، وأتى بأبي بكر المسجد فبايعوه وسمع العباس وعليّ التكبير في المسجد، ولم يفرغوا من غسل رسول الله صلى الله عليه وآله فقال عليّ: ما هذا؟ فقال العباس ما رد مثل هذا قط، لهذا ما قلت لك الذي قلت". أنظر: بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار، محمد باقر المجلسي (ت 1111 هـ) دار الإحياء، بيروت، 1983م، ج 28، ص 333.

وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا * وَجَزَّاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا¹ ، وهي التي شهدت لها آية التطهير: {إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا² بالصدق والعفة.

فعاين الحسين عليه السلام وهم الصائمون كيف آثروا خدمة الآخرين ولو كان ذلك متعبا لهم جسديا لثلاث ليال. فتعلّم من أبويه الإخلاص للدين والصدق في العبادة وحب الآخرين فطالما سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه كيف يعامل الناس وينصحهم لأن الدين هو النصيحة لله ولرسوله والناس أجمعين، ولأن المعاملة والنصيحة جزء عظيم من أمور الدين.

ت- مع أبيه علي بن أبي طالب عليه السلام

لقد عايش الحسين عليه السلام منذ نعومة أظفاره ما دار من حوادث اجتماعية وسياسية في المدينة المنورة والعالم الإسلامي، أتمت بالإسلام كدين في أعوامه الأولى وما واكبها وما شابها من مشاكل فقهية وسياسية وعسكرية وتوزيع ثروات وما يتعلق بالدولة وشؤونها. الى أن شبّ وشارك والده أمير

1 الانسان 7-12

2 الأحزاب 33

المؤمنين عليه السلام في بعض الحروب، بالإضافة الى معاشته خلال فترة حكومته في الكوفة وكان له نصيب مماثل من معاشة أخيه الحسن عليه السلام خلال فترة حكومته في الكوفة وما واكبها من مشاكل مع معاوية ومراحل الصلح. لقد علمه أمير المؤمنين العز والإباء وأخذ منه الشجاعة ومكارم الأخلاق والآداب. وكان يسدده في كل خطوة حتى نشأ شاباً فأوصاه بوصيته التي تلخص حياة الحسين مع علي عليهما السلام: " يا بني أوصيك بتقوى الله في الغنى والفقر وكلمة الحق في الرضى والغضب والقصد في الغنى والفقر. وبالعدل على الصديق والعدو. وبالعمل في النشاط والكسل. والرضى عن الله في الشدة والرخاء. أي بني ما شر بعده الجنة بشر، ولا خير بعده النار بخير. وكل نعيم دون الجنة محقور. وكل بلاء دون النار عافية. واعلم أي بني أنه من أبصر عيب نفسه شغل عن عيب غيره. ومن تعرى من لباس التقوى لم يستتر بشيء من اللباس. ومن رضي بقسم الله لم يحزن على ما فاتته. ومن سل سيف البغي قتل به. ومن حفر بئراً لأخيه وقع فيها. ومن هتك حجاب غيره انكشف عورات بيته، ومن نسي خطيئته استعظم خطيئة غيره. ومن كابد الامور عطب. ومن اقتحم الغمرات غرق. ومن أعجب برأيه ضل. ومن استغنى بعقله زل. ومن تكبر على الناس ذل. ومن خالط العلماء وقر. ومن خالط الانذال حقر. ومن

سفه على الناس شتم. ومن دخل مداخل السوء اتهم. ومن مزح استخف به.
ومن أكثر من شيء عرف به. ومن أكثر كلامه أكثر خطأؤه، ومن أكثر خطأؤه
قل حياؤه، ومن قل حياؤه قل ورعه، ومن قل ورعه مات قلبه، ومن مات قلبه
دخل النار. أي بني من نظر في عيوب الناس ورضي لنفسه بها فذاك الاحمق
بعينه. ومن تفكر اعتبر، ومن اعتبر اعتزل، ومن اعتزل سلم. ومن ترك الشهوات
كان حرا. ومن ترك الحسد كانت له المحبة عند الناس. أي بني عز المؤمن
غناه عن الناس. والقناعة مال لا ينفد. ومن أكثر ذكر الموت رضي من الدنيا
باليسير. ومن المصائب. والعفاف زينة الفقر. والشكر زينة الغنى. كثرة الزيارة
تورث الملامة والطمأنينة قبل الخبرة ضد الحزم. وإعجاب المرء بنفسه يدل على
ضعف عقله. أي بني كم نظرة جلبت حسرة. وكم من كلمة سلبت نعمة. أي
بني لا شرف أعلى من الاسلام. ولا كرم أعز من التقوى. ولا معقل أحرز من
الورع. ولا شفيح أنجح من التوبة. ولا لباس أجمل من العافية. ولا مال أذهب
بالفاقة من الرضى بالقوت. ومن اقتصر على بلغة الكفاف تعجل الراحة وتبوء
خفض الدعة. أي بني الحرص مفتاح التعب ومطية النصب وداع إلى التعمم
في الذنوب والشهه جامع لمساوي العيوب وكفاك تأديبا لنفسك ما كرهته من
غيرك. لأخيك عليك مثل الذي لك عليه. ومن تورط في الامور بغير نظر في

العواقب فقد تعرض للنوائب. التدبير قبل العمل يؤمنك الندم. من استقبل وجوه
الآراء عرف مواقع الخطاء. الصبر جنة من الفاقة. البخل جلاباب المسكنة.
الحرص علامة الفقر. وصول معدم خير من جاف مكثر. لكل شيء قوت،
وابن آدم قوت الموت. أي بني لا تؤيس مذنبا، فكم من عاكف على ذنبه ختم
له بخير، وكم من مقبل على عمله مفسد في آخر عمره، صائر إلى النار،
نعوذ بالله منها. أي بني كم من عاص نجا. وكم من عامل هوى. من تحرى
الصدق خفت عليه المؤمن. في خلاف النفس رشدها. الساعات تنتقص الاعمار.
ويل للباغين من أحكم الحاكمين وعالم ضمير المضميرين. يا بني ببس الزاد
إلى المعاد العدوان على العباد. في كل جرعة شرق، وفي كل اكلة غصص.
لن تنال نعمة إلا بفراق اخرى. ما أقرب الراحة من النصب والبؤس من النعيم
والموت من الحياة والسقم من الصحة. فطوبى لمن أخلص لله عمله وعلمه
وحبه وبغضه وأخذه وتركه وكلامه وصمته وفعله وقوله. وبخ بخ لعالم عمل
فجد وخاف البيات فأعد واستعد، إن سئل نصح وإن ترك صمت، كلامه صواب
وسكوته من غير عي جواب. والويل لمن بلي بحرمان وخذلان وعصيان
فاستحسن لنفسه ما يكرهه من غير وأزرى على الناس بمثل ما يأتي. واعلم أي

بني أنه من لانت كلمته وجبت محبته. وفقك الله لرشدك وجعلك من أهل طاعته

بقدرته إنه جواد كريم.¹

ث- مع أخيه الحسن المجتبي عليه السلام

تحرك الحسين عليه السلام في شبابه مع أخيه الحسن عليه السلام في

خطّ علي عليه السلام، فكانا رفيقين، يتحركان مع بعض، وينطلقان حيث

انطلق، وكانا يتعلّمان من أمير المؤمنين عليه السلام كيف يصبر صبر الأحرار

على التحديات التي تُوجّه إليه حفاظاً على الإسلام والمسلمين، وكانا يعيشان

كلّ فكره، وكلّ حكمته، وكلّ إبداعاته وعلمه، كما كانا يتطلّعان إلى أفقه، وكان

علي عليه السلام يرى فيهما الإمامين اللذين يرجع الناس إليهما.

" لقد أوصى أمير المؤمنين لولده الحسن وعهد إليه في الإمامة وسلمه

موراث النبوة، كما أوصى الحسين عليه السلام وبقيّة أولاده بإطاعته، وقد وقف

1 تحف العقول عن آل الرسول صلى الله عليهم، أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة، (من

اعلام ق 4 هـ) ط 2، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، 1404 هـ، ص 91

الحسين الى جانب أخيه الحسن وشاهد جميع الأحداث التي مر بها أخوه وكاننا

على اتفاق تام في الرأي وجميع التدابير التي اتخذها الحسن عليه السلام¹

3. علمه

ولقد تميز الحسين بغزارة علمه، وكيف وهو ابن علي وفاطمة عليهما السلام وهو سبط رسول الله وابنه. حتى أن أبي هريرة قد امتدح الحسين فقال: "فوالله لو يعلم الناس منك ما أعلم لحملوك على رقابهم"². إن الحسين عليه السلام كان يجتمع حوله الناس في مسجد جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعظهم ويعلمهم شؤون دينهم ويقضي فيهم وكانت حلقة درسه يجتمع فيها أهل المدينة ويصغون للحسين بن علي عليهما السلام. وكان إذا أقام بالمدينة أو غيرها مفيدا بعلمه مرشدا بعمله، فكان الإمام الحسين عليه السلام يفسح في مجلسه أو في المجلس الذي يحضره، لتتوع الحديث. لقد حدث أن معاوية قد وصف لرجل من قريش مجلس أبي عبد الله عليه السلام فقال له: "إذا دخلت مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله) وسلم فرأيت حلقة فيها قوم كأن على رؤوسهم الطير فتلك حلقة

1 سيرة الأئمة الاثني عشر، هاشم معروف الحسني، المكتبة الحيدرية، ج 2، ص 21
2 تاريخ مدينة دمشق، أبي القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر، (ت 571 هـ)، دار الفكر، بيروت، ج 14، ص 180

أبي عبد الله مؤتذرا على أنصاف ساقية ليس فيها من الهزيلة شيء. والهزيلي: المزاح والهذيان وعمل اللعابين"¹. والهزيلي فعل المشعوذ الذي يسحر أعين الناس، وهذا بعيد عن مدرسة أهل البيت عليهم السلام فهم معدن العلم، والحسين وريث مدينة العلم وبابها سلام الله عليهما.

لقد كان الحسين عليه السلام لا تفوته فرصة إلا وعلم الناس فهو خازن علم النبيين وخازن علم المرسلين ووارث الأوصياء السابقين وصاحب العلم اليقين وعينة علم المرسلين. وصادف أن سأل رجل خارجي وهو ابن الأزرق ابن عباس سؤال عجز عن إجابته. فبادر الحسين عليه السلام بإجابته مفصلا وموضحا ونوردها هنا بطولها: "بينما ابن عباس هو يحدث الناس إذ قام إليه نافع بن الأزرق فقال له يا ابن عباس تفتي الناس في النملة والقملة صف لي إلهك الذي تعبد فأطرق ابن عباس إعظاما لقوله وكان الحسين بن علي جالسا ناحية فقال إلي يا ابن الأزرق قال لست إياك أسأل قال ابن عباس يا ابن الأزرق إنه من أهل بيت النبوة وهم ورثة العلم فأقبل نافع نحو الحسين فقال له الحسين يا نافع إن من وضع دينه على القياس لم يزل الدهر في الالتباس سائلا إذا كبا عن المنهاج ظاعنا

1 تاريخ مدينة دمشق، أبي القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر، (ت 571 هـ)، دار الفكر، بيروت، ج 14، ص 179

بالاعوجاج ضالا عن السبيل قائلا غير الجميل، يا ابن الأزرق أصف إلهي بما وصف به نفسه وأعرفه بما عرف به نفسه لا يدرك بالحواس ولا يقاس بالناس. قريب غير ملتصق، وبعيد غير منتقص، يُوَحَّدُ وَلَا يَبْعَثُ، معروف بالآيات، موصوف بالعلامات، لا إله إلا هو الكبير المتعال. فبكى ابن الأزرق وقال يا حسين ما أحسن كلامك قال له الحسين: بلغني أنك تشهد على أبي وعلى أخي بالكفر وعلي قال ابن الأزرق: أما والله يا حسين لئن كان ذلك لقد كنتم منار الإسلام ونجوم الأحكام. فقال له الحسين إني سائلك عن مسألة قال سل فسأله عن هذه الآية: {وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ¹، يا ابن الأزرق من حفظ في الغلامين قال ابن الأزرق أبوهما قال الحسين: فأبوهما خير أم رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم. قال ابن الأزرق: قد أنبأ الله تعالى أنكم قوم خصمون²3. كيف لا والحسين عليه السلام قد عمل على استنقاذ عباد الله من الجهالة والغي والضلالة حتى بذل نفسه في الله: "بَدَلٌ مُّهِجَتُهُ فِيكَ حَتَّى اسْتَنْقَذَ عِبَادَكَ مِنَ الْجَهَالَةِ وَحَيْرَةِ الضَّلَالَةِ"⁴

1 الكهف 82

- 2 يشير بقوله هذا الى قوله سبحانه وتعالى: {مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِجْدَالًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ} الزخرف 58.
- 3 تاريخ مدينة دمشق، أبي القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر، (ت 571 هـ)، دار الفكر، بيروت، ج 14، ص 184
- 4 مفتاح الجنان، محمد باقر بن محمد تقى المجلسي (ت 1110 هـ)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 1423هـ، ص 531

فهو الذي يخرج الناس من ظلمات الجهالة الى نور العلم ومعرفة الدين وشؤون الحياة. فهو مصداق للآية الشريفة: {اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ}¹. ويقف بوجه الآلة الإعلامية الأموية ومن مثلهم ضد آل البيت عليه السلام ويفند مزاعمهم ويبدد نتائج المهاترات السياسية طيلة الأعوام السوداء مما تكدس في عقول علماء الأمة . مثل نافع بن الأزرق الأنف الذكر الذي تمادى في غيه وكفر أهل البيت عليهم السلام بدلاً من تقديسهم! ولما يبهت الحسين عليه السلام ابن الأزرق، ويواجهه بهذا الكلام الممتلى علماء. لا يملك ابن الأزرق إلا أن اعترف بخطأه وسوءه التراجع عن أشد المواقف للخارج التزاماً وتصلباً واعتقاداً، وبذلك فند وأبطل عقيدتهم التي روجوا لها بين أتباعهم المضللين.

4. سخاؤه وجوده وعطاؤه

كواحد من أهل بيت النبوة الذين شرفهم الله سبحانه وتعالى بالإمامة وطهرهم تطهيرا وهو واحد ممن شملتهم الآية الشريفة: {وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا}². فنهل من بيت النبوة وبيت الإمامة حب الإيثار ولو كان على أنفسهم ولو كان بهم

1 البقرة 257

2 الانسان 8

خاصة: {وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ}¹.

لقد استوعب الحسين عليه السلام أخلاق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي وصفه سبحانه وتعالى بأنه صاحب الخلق العظيم: {وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ}²، وكان من السماحة والكرم والسخاء والعطاء، ويروى أن مرّ الحسين بن عليّ عليهما السلام بمساكين مساكين قد بسطوا كساء لهم وألقوا عليه كسرا فقالوا: هلمّ يا ابن رسول الله! فتنى وركه فأكل معهم ثم تلا: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ}³ ثم قال: قد أجبتكم فأجيبوني، قالوا: نعم يا ابن رسول الله، فقاموا معه حتى أتوا منزله، فقال للجارية: أخرجي ما كنت تدّخرين⁴.
لقد كان الحسين مثلا في العطاء، فكان عليه السلام ينهى عن البخل في العطاء. ففي يوم من الأيام عاد أسامة في مرضه فوجده يشتكي من ألمين: المرض والدين. فقضى الحسين عليه السلام عنه الدين قبل موته. "دَخَلَ الْحُسَيْنُ عَلَىٰ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ وَهُوَ مَرِيضٌ وَهُوَ يَقُولُ وَاعْمَاهُ فَقَالَ لَهُ الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَمَا غَمُّكَ يَا أَخِي قَالَ دَيْنِي وَهُوَ سِتُّونَ أَلْفَ

1 الحشر 9

2 القلم 4

3 {إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ} النحل 23

4 بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار، محمد باقر المجلسي (ت 1111 هـ) دار الإحياء، بيروت، 1983م، ج 44، ص 189

دِرْهَمٍ فَقَالَ الْحُسَيْنُ هُوَ عَلَيَّ قَالَ إِنِّي أَخَشَى أَنْ أَمُوتَ فَقَالَ الْحُسَيْنُ لَنْ تَمُوتَ حَتَّى أَقْضِيَهَا
عَنْكَ قَالَ فَقَضَاهَا قَبْلَ مَوْتِهِ وَكَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ شَرُّ خِصَالِ الْمُلُوكِ الْجُبْنُ مِنَ الْأَعْدَاءِ
وَالْقِسْوَةُ عَلَى الضُّعْفَاءِ وَالْبُخْلُ عِنْدَ الْإِعْطَاءِ"¹. ومثال آخر لسخاء الحسين عليه السلام
يروى أن: "جاءه رجل من الأنصار يريد أن يسأله حاجة، فقال له: يا أبا الأنصار: صن
وجهك عن ذل المسألة وارفع إلي حاجتك في رقعة فإني آت فيها ما يسرك إن شاء الله.
فكتب إليه أن لفلان علي خمسمائة دينار قد ألح بي فكلمه أن ينتظرنى الى ميسرة، فلما
قرأ الرقعة أبو عبد الله دخل الى منزله، وأخرج صرة فيها ألف دينار وقال له: هذه الف
دينار منها خمسمائة لقضاء دينك والباقي تستعين بها على دهرك، ولا ترفع حاجتك إلا
إلى ثلاثة: إلى ذي دين او مروءة أو حسب، فأما ذو الدين فيصون دينه، وأما ذو المروءة
فإنه يستحي لمروءته، وأما ذو الحسب فيعلم أنك لم تكرم وجهك أن تبذله في حاجتك فهو
يصون وجهك أن يردك بغير قضاء حاجتك"².

1 المناقب لآل أبي طالب، محمد بن علي ابن شهر آشوب (ت 588 هـ)، مؤسسة انتشارات علامه، قم،
ج 4، ص 65.

2 بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار، محمد باقر المجلسي (ت 1111 هـ) دار الإحياء،
بيروت، 1983م، ج 75، ص 118.

تناول الحسين عليه السلام مفردة الإعطاء وهي سر ديمومة نهضته وثورته فأراد للأجيال أن تدفعه بما ادخرته من ثورة الحسين للأجيال التي تليها فهي ليست هبة وتنتهي بموت المحتفظ بها، بل هي عطاء¹ يتناول من شخص أو جيل لآخر. أن الفرق بين الإِعْطَاء وَالْهَبَةِ: "الإعطاء هو إيصال الشيء إلى الآخذ له. فإن تعطي زيدا المال ليرده إلى عمرو وتعطيه ليتجر لك به، والهبة تقتضي التمليك فإذا وهبته له فقد ملكته إياه"². وأن ما قام به الحسين في نهضته أو ثورته أو قيامه ضد الظلم والجور إنما هو ليصل الى الأجيال اللاحقة جيلا بعد جيل وليس هبة أختص بها فريق عاش معه دون الآخر ليمتلكه وانتهى بمن معه من بيته والأصحاب فما قام به الحسين عليه السلام ليس هبه.

1 "العطاء من العطو وهو تناول، والمعاطاة هي المناولة، والإعطاء إذن هو الإنالة: قال تعالى: {حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ}، التوبة 29. واختص العطية والعطاء بالصلة يعني الإيصال، قال تعالى: {هَذَا عَطَاؤُنَا فَأَمْنٌ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ}، ص 39. يعطي من يشاء، {فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ}، التوبة 58. أنظر: مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، دار القلم، الدار الشامية، 2009، ص 573.

2 الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت 395هـ)، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ص 167

ولنأخذ الحسين عليه السلام نموذجاً، وتريد العطاء، كما فعل الحسين عليه السلام،
فهل تدرس استحقاق من تريد أن تعطيه، لتمييز المستحق من غير المستحق، أو أنّ عليك
أن تتطلق من إيمانك بالمعروف ومن رويّة العطاء في نفسك؟ ففي العطاء، معنيان؛

المعنى الأول: يتصل بالمعطي ذاته، باعتبار أنّ العطاء عنصر إنساني يوحى
بأنّ هذا الإنسان لا يعيش في داخل ذاته، بل يعيش في وعيه لطاقاته، بأنها ليست
ملكه، بل هي ملك الآخرين مما يحتاجونه منها.

والمعنى الثاني: في العطاء نفسه هي الحاجة الى من تعطي، أي استحقاق من
تعطي. فالحسين عليه السلام علم الأجيال التطبيق الحقيقي للعطاء. فشبه عليه السلام
العطاء كوابل المطر يصيب كل الأرض لا تميز بين الخصبة وغيرها فخيرها عميم.
وهكذا رسم أمير المؤمنين عليه السلام صورة العطاء وحثّ على بذل المعروف إلى
البر والفاجر كلاهما لأنه محبوب عند الله تعالى فيقول: [ابذل معروفك للناس كافة،
فإن فضيلة فعل المعروف لا يعدلها عند الله سبحانه شيء]¹، وهو تأكيد الى ما قاله
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي اعتبر اسداء المعروف والتودد للناس يأتي

1 ميزان الحكمة، محمد الري شهري، دار الحديث، قم، ج 3، ص 1932

بعد الدين: [رأس العقل بعد الدين التودد إلى الناس، واصطناع الخير إلى كل بر

وفاجر]¹.

والحسين عليه السلام هو ابن مدينة العلم، رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وابن باب المدينة علي عليه السلام، ففعل كما فعلا تماما. فحينما سمع الحسين رجلا يقول: "إن المعروف إذا اسدي إلى غير أهله ضاع"²، أي إذا أعطيت من لا يستحقّ من معروفك، فإنّه يضيع، لأنه لا يجد أرضه التي يستقرّ عليها، ولا يجد نتائجها الإيجابية التي يفترض أن يحققها. فهذا الرجل ينظر إلى المسألة من خلال طبيعة المعطي، فقال الإمام الحسين عليه السلام وهو ينظر إلى المسألة من خلال إنسانية المعطي. قال عليه السلام: "ليس كذلك، ولكن تكون الصنعة مثل وابل المطر، تصيب البرّ والفاجر"³ وإن استحقاق من تعطي تجعل عملك وعطاءك كالمطر الذي عندما يهطل، فإنه لا يدرس الأرض التي يقع فيها، هل هي أرض جديبة أو هي أرض خصيبة؟! إنه يختزن فيما أودع الله فيه معنى أن يعطي، لأنّ العطاء سرّ وجوده. فيريد الحسين عليه السلام من هذا الرجل ومن السامعين أن يكون العطاء

1 ميزان الحكمة، محمد الري شهري، دار الحديث، قم، ج 3، ص 1932

2 ميزان الحكمة، محمد الري شهري، دار الحديث، قم، ج 3، ص 1933

3 ميزان الحكمة، محمد الري شهري، دار الحديث، قم، ج 3، ص 1932

سرّ وجودنا، فتعطي لأنك تؤمن بالعطاء، وهذا ما عبّر عنه الإمام عليّ بن الحسين زين العابدين عليه السلام: "اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَدِّدْنِي لِأَنْ أُعَارِضَ مَنْ غَشَّيَنِي بِالنُّصْحِ وَأُجْزِيَ مَنْ هَجَرَنِي بِالْبِرِّ وَأُثِيبَ مَنْ حَرَمَنِي بِالْبَدْلِ وَأُكَافِيَ مَنْ قَطَعَنِي بِالصِّلَةِ وَأُخَالِفَ مَنْ اغْتَابَنِي إِلَى حُسْنِ الذِّكْرِ، وَأَنْ أَشْكُرَ الْحَسَنَةَ وَأُعْضِيَ عَنِ السَّيِّئَةِ"¹. وكان في وصيته لأحد أبنائه: "يا بنيّ، افعَل الخير إلى كلِّ من طلبه منك، فإن كان أهله فقد أصبت موضعه، وإن لم يكن بأهل كنت أنت أهله"². وتلك هي صفة الله تعالى الذي يريدنا أن نتخلّق بأخلاقه، فكمال حال العبد إلا بالتخلّق بأخلاق الله سبحانه وتعالى، حسبما ورد في الحديث الشريف: "تخلّقوا بأخلاق الله"³، فرحمة الله تشمل كل شيء، فنحن نقرأ في دعاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "اللَّهُمَّ إِنَّ مَغْفِرَتَكَ أَرْجَى مِنْ عَمَلِي، وَإِنَّ رَحْمَتَكَ أَوْسَعُ مِنْ ذَنْبِي. اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ ذَنْبِي عِنْدَكَ عَظِيمًا فَعَفُوكَ أَعْظَمُ مِنْ ذَنْبِي. اللَّهُمَّ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَهْلًا أَنْ أَبْلُغَ رَحْمَتَكَ فَارْحَمْتِكَ أَهْلٌ أَنْ تَبْلُغَنِي وَتَسَعَّنِي؛ لَأَنْهَا وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ"⁴. فالله سبحانه

1 مفاتيح الجنان، عباس القمي (ت 1359هـ)، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، دعاء مكارم الأخلاق، ص

2 ميزان الحكمة، محمد الري شهري، دار الحديث، قم، ج 3، ص 1933

3 مفاتيح الغيب، التفسير الكبير، فخر الدين الرازي، (ت 604هـ)، دار الحديث، القاهرة، ج 9، ص 408

4 مفاتيح الجنان، عباس القمي (ت 1359هـ)، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، ص 57

وتعالى لا يميز في العطاء فِعْطَاؤُهُ يشمل المؤمن والكافر معاً، وفي الدعاء أيضاً: "يا مَنْ يُعْطِي مَنْ سَأَلَهُ يا مَنْ يُعْطِي مَنْ لَمْ يَسْأَلْهُ وَمَنْ لَمْ يَعْرِفْهُ تَحَنُّنًا مِنْهُ وَرَحْمَةً"¹

من هنا، فإنّ موضوع الأخلاق في الإسلام هو شأن كل فرد، ويدعوه لأن يتصرف بما يختزنه من تلك الأخلاق الإسلامية بقطع النظر عن ردّ الفعل الآخر، لأنّه بمجرد أن تفكّر في ردّ الفعل، تبدأ الأنا بالتحرك السلبي وتتحرك معها المصالح الشخصية وتكبر الفجوة بين الشخص وما يريده منه الدين، فيفكر بأن يعطي بقدر ما يأخذ. فالمطر ينزل على كل الأرض دون تمييز بين جيدها وسيئها، والشمس أيضاً تشرق على كل الأرض، وتلك هي روحية الإمام الحسين عليه السلام، الذي انطلق ليعطي الناس محبته كلّها، حتى لو كان الناس يقدمون البغضاء كلّها، لأنّ الإمام الحسين عليه السلام لا يملك إلا أن يحبّ. وبهذا السخاء والخلق الرفيع ملك قلوب المسلمين وهاموا بحبه وولائه.

لا عجب فإنّ الحسين عليه السلام من أهل المعروف الذين جعلهم الله سبحانه وتعالى في الأرض، فيقول الإمام محمد الباقر عليه السلام: "إن الله عز وجل جعل للمعروف أهلاً من خلقه حبيب إليهم فعالة، ووجه لطلاب المعروف الطلب إليهم، ويسر لهم قضاءه كما يسر

1 مفاتيح الجنان، عباس القمي (ت 1359هـ)، مجمع إحياء الثقافة الإسلاميّة، ص 200

الغيث للأرض المجدبة¹. فالمعروف كنز و "المعروف ذخيرة الأبد"²

إن الذين صنعوا المعروف في الناس من أهل الكرم والعطاء، ممن لا يفكرون في المقابل، لأنهم تجاوزوا ذواتهم، وانطلقوا إلى ما يرجونه من الله سبحانه وتعالى. ولعلّ من أفضل أعمال الإنسان، أن يربّي نفسه على أن يتجاوز ذاته في سبيل الناس كافة، وفي سبيل الحياة كلّها، لأنّ ذلك كلّهُ هو سبيل الله. وهؤلاء هم أهل المعروف في الدنيا والآخرة فيدفعون حسناتهم إلى الناس فيدخلون بها الجنة، كما يقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "أهل المعروف في الدنيا أهل المعروف في الآخرة، قيل: يا رسول الله وكيف ذلك؟ قال: يغفر لهم بالتطول منه عليهم، ويدفعون حسناتهم إلى الناس فيدخلون بها الجنة، فيكونون أهل المعروف في الدنيا والآخرة"³

وكان الحسين عليه السلام جوادا سخيا بالسر كما في العلق وفي ذلك شواهد تاريخية كثيرة. ومما ينقله الرواة أنه "وَجِدَ عَلَى ظَهَرِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ يَوْمَ الطُّفِّ أَثَرٌ فَسَأَلُوا زَيْنُ

1 ميزان الحكمة، محمد الري شهري، دار الحديث، قم، ج 3، ص 1931

2 ميزان الحكمة، محمد الري شهري، دار الحديث، قم، ج 3، ص 1931، حديث للإمام علي عليه السلام.

3 ميزان الحكمة، محمد الري شهري، دار الحديث، قم، ج 3، ص 1932

الْعَابِدِينَ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ هَذَا مِمَّا كَانَ يَنْقُلُ الْجِرَابَ عَلَى ظَهْرِهِ إِلَى مَنَازِلِ الْأَرَامِلِ وَالْيَتَامَى
وَالْمَسَاكِينِ"¹.

فالحسين هو معين مَلآن، تَغرف منه الإنسانية جمعاء، ليكون قدوة ومثالاً لها في
العطاء الإنساني الكريم، الذي هو نخر السماء في إنسان الأرض.

5. الحسين عليه السلام عزيز النفس

حينما نقابل بين العز والذل نجد أن الأول منهما يسمه طابع السوية؛ بينما يسم الثاني
طابع المرض. بيد أن الملاحظ أن كلاهما عبر التصور الإسلامي لا صلة له بظاهرة التقدير
الاجتماعي وعدمها، بقدر صلته بالانتماء والتقدير الإلهيين. وتشدّد النصوص الإسلامية² على
ظاهرة العز مؤكدة في أن العز هو قوة النفس والمنعة والقدرة: " لا ينبغي للمؤمن أن يذل
نفسه"³، ونرى أن الإمام الحسين عليه السلام يقول: "موت في عزٍ خير من حياةٍ في ذل،
وأنشأ عليه السلام يوم قتل:

1 المناقب لآل أبي طالب، محمد بن علي ابن شهر آشوب (ت 588 هـ)، مؤسسة انتشارات علامه، قم،
ج 4، ص 66

2 منها حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: [من أقر بالذل طائعا فليس منا أهل البيت]، أنظر:
ميزان الحكمة، محمد الري شهري، دار الحديث، قم، ج 2، ص 983

3 ميزان الحكمة، محمد الري شهري، دار الحديث، قم، ج 2، ص 982

الموت خير من ركوب العار * والعار أولى من دخول النار * والله ما هذا وهذا

جاري¹

إن فلسفة العز ونقيضه الذل إنما تنطلق من المحدد لهما. فإذا كان الاعتبار هو النظر الى البعد الاجتماعي وما يترتب عنه من تقديرات من ترقب الثناء والشكر والمديح وما الى ذلك حينئذ فتصبح الشخصية رهينة ذلك التقدير وبجاجة ماسة لإشباع الذات المريضة لترتاح وتستقر. فإن حصل عليها تحسس العز والفخر وإن فقدها فيحس بالإذلال والمهانة والانكسار غير آبه للبعد الإسلامي إطلاقاً وهذه الحالة تورث ضعف الانفس وخوائها. فينصب كل عمله لإرضاء الآخرين وهو أمر مستحيل أو يدخل في الأمراض النفسية من الرياء والكذب والنميمة لأجل تحقيق ما تروم له نفسه من ثناء الآخرين له. أما إذا استقل عن الآخرين ونقصد به الاستقلال الذاتي ويسد حاجته باللجوء الى الشريعة والاحساس بالانتماء الى الله لا الى الآخرين حينئذ يتغير مفهوما العز والذل: {الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أُلِّبْتُمْ عَنْهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً} ². فالتذلل لله سبحانه أو للمؤمنين هو العز أما التذلل للآخرين الذين لا يمثلون قيمة أخروية فهو عين الذل: {أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ} ³. فالحاجة

1 ميزان الحكمة، محمد الري شهري، دار الحديث، قم، ج 2، ص 982

2 النساء 139

3 المائدة 54

للآخرين وليس لله تجعل الإنسان عبدا لغيره محتاجا له ذليلا أمامه: "لَا تَكُنْ عَبْدَ غَيْرِكَ وَقَدْ جَعَلَكَ اللَّهُ حُرًّا"¹. فإذا اتضحت هذه الفكرة² نرى؛ أن الحسين عليه السلام كباقي المؤمنين

1 شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، دار الكتب العلمية، بيروت، ج 16، ص 93
2 لاستكمال الفكرة نقول: إن رفض الذل (اللجوء لإشباع الذات من الآخرين) يعني إحساس الشخصية بكيانها واستقلالها. وهو إحساس صحي وسليم وهو النهج الإسلامي المطلوب. وإن استقلال الذات عن الناس واللجوء الى الله سبحانه هو العز وهو ما أوصانا به سبحانه وتعالى فنحن المحتاجون الى غناه وفيضه: يقول زين العابدين عليه السلام: "اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي أَصُولُ بَكَ عِنْدَ الصُّرُورَةِ وَأَسْأَلُكَ عِنْدَ الْحَاجَةِ وَأَتَضَرَّعُ إِلَيْكَ عِنْدَ الْمَسْكِنَةِ وَلَا تَقْتَبِي بِالْإِسْتِعَانَةِ بِغَيْرِكَ إِذَا اضْطَرَّرْتُ وَلَا بِالْحُضُوعِ بِسُؤَالِ غَيْرِكَ إِذَا افْتَقَرْتُ وَلَا بِالتَّضَرُّعِ إِلَى مَنْ دُونِكَ إِذَا رَهَبْتُ ، فَاسْتَحَقِّ بِذَلِكَ خِذْلَانِكَ وَمَنْعَكَ وَإِعْرَاضَكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ" أنظر: مفاتيح الجنان، عباس القمي (ت 1359هـ)، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، ص 713. وواضح جدا فتلزمنا الشريعة بنفض اليد عن غير الله سبحانه وتعالى فهو الغني المتعال. وهنا قد ألغى الإمام الناس من الحساب؛ لأن الآخرين في تملّكهم لوسائل الإشباع غير كافية لأن يستجيبوا لحاجة المحتاج وبذلك ستتحمل الشخصية تبعات الذل والهوان، وتفقّد بذلك ماء الوجه. أما الشخصية الإسلامية مستقلة الذات الواعية بلجوئها لله دون غيره تكون مطمئنة آمنة مرتاحة البال إن أعطاهَا أو ابتلاها فهو فضل منه ومنة وهو أحسن الواهبين ولا يخيب عبده إذا سأله: " يا مَنْ إِذَا سَأَلُهُ عَبْدٌ أَعْطَاهُ وَإِذَا أَمَلَ مَا عِنْدَهُ بَلَغَهُ مِنْهُ وَإِذَا أَقْبَلَ عَلَيْهِ قَرْبَهُ وَأَدْنَاهُ وَإِذَا جَاهَرَهُ بِالْعِضْيَانِ سَتَرَ عَلَى ذَنْبِهِ وَغَطَّاهُ وَإِذَا تَوَكَّلَ عَلَيْهِ أَحْسَبَهُ وَكَفَّاهُ ، إِلَهِي مَنْ الَّذِي نَزَلَ بِكَ مُلْتَمَسًا قِرَاكَ فَمَا قَرَيْتَهُ وَمَنْ الَّذِي أَنَاخَ بِبَابِكَ مُرْتَجِيًا نَدَاكَ فَمَا أَوْلَيْتَهُ؟ أَيَحْسُنُ أَنْ أَرْجِعَ عَنْ بَابِكَ بِالْحَيْبَةِ مَضْرُوفًا وَلَسْتُ أَعْرِفُ سِوَاكَ مَوْلَى بِالْإِحْسَانِ مَوْصُوفًا؟ كَيْفَ أَرْجُو غَيْرَكَ وَالْحَيْرُ كُلُّهُ بِيَدِكَ وَكَيْفَ أُوْمِلُ سِوَاكَ وَالْخَلْقُ وَالْأَمْرُ لَكَ أَفْقَطُ رَجَائِي مِنْكَ وَقَدْ أَوْلَيْتَنِي مَا لَمْ أَسْأَلْهُ مِنْ فَضْلِكَ، أَمْ تُفَقِّرُنِي إِلَى مِثْلِي وَأَنَا أَعْتَصِمُ بِحَبْلِكَ؟! "مناجاة الراجين: مفاتيح الجنان، عباس القمي (ت 1359هـ)، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، ص 181. ومن هنا تحس الشخصية الإسلامية بالتوازن الداخلي لها، في حين تحيا الشخصية الأرضية حالة القلق والتوتر، ومن هنا ندرك بوضوح لماذا تكون توصيات الناس مثالية بينما نجد الواقعية في الوصايا الإلهية.

ناهيك عن أنه أمام معصوم هو عزيز النفس ولا ينبغي له ألا يذلّ نفسه الشريفة وحاشاه له ذلك. ومن الأسئلة العامّة حول الحسين عليه السلام: "هل حصل للحسين وأصحابه الذلّ والمهانة في واقعة كربلاء؟ هناك بلا شكّ مَنْ يعتقد ذلك على أيّ حالٍ، ومنه جاء قول الشاعر:

وسُراة قومي أين أهل ودادي ويصيح واذلّاه أين عشيرتي

وحاشاهُ سلام الله عليه وليس هذا إلاّ من الكذب على المعصومين سلام الله عليهم، فيكون من أشدّ المُحرّمات، بل هو لا ينوي ذلك في قلبه فضلاً عن أن يقوله أو أن يصيح به، كما يزعم هذا الشاعر. وفي مقابله قول الشاعر:

فأبى أن يعيش إلاّ عزيزاً أو تجلّي الكفاح وهو صريع

بل القول بالذلة مُخالف للقرآن الكريم الذي يقول: {وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ} ¹، والحسين عليه السلام كان في زمانه ولا زال إماماً وأولى المؤمنين بصفات الإيمان، ومن هنا جاء قوله عليه السلام في بعض خطبه: ذاكراً طلب الحاكم الأموي للبيعة: [ألا وإنّ الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين: بين السلة والذلة وهيئات منا الذلة يأبى الله ذلك لنا ورسوله والمؤمنين وحجور طابت وطهرت وأنوف حمية ونفوس أبية من أن تؤثر طاعة اللئام على

مصارع الكرام]¹. وهو واضحٌ جدًّا بالاعتزاز بالإيمان والصمود في جانب الحقّ، وليس هذا من التكبرّ الباطل في شيء، وإنّما هو الاعتزاز بالله ورسوله، حسبنا أن نسمع قوله: [مَنْ أَرَادَ عِزًّا بِلَا عَشِيرَةٍ، وَهَيْبَةً مِنْ غَيْرِ سُلْطَانٍ، وَغِنًى مِنْ غَيْرِ مَالٍ، وَطَاعَةَ مَنْ غَيْرِ بَدَلٍ، فَلْيَتَحَوَّلْ مِنْ ذَلٍّ مَعْصِيَتِهِ إِلَى عِزِّ طَاعَتِهِ؛ فَإِنَّهُ يَجِدُ ذَلِكَ]². وكذلك قوله: [فَأُولِيَاؤُهُ بَعْرَتُهُ يَعْتَزُّونَ]³، وليس لهم كبرياء مستقلّة عن كبرياء الله عزّ وجلّ، ولا شكّ أنّ الحسين وأصحابه من خيرة مَنْ يكون مصداقاً وتطبيقاً لهذه النصوص. بل هو العزيز في الدنيا والآخرة، أمّا في الدنيا فلصموده وصبره، وأمّا في الآخرة فللمقامات العُليا التي ينالها بالشهادة.

إن مبحث العزة في الفكر الإسلامي عميق ومهم جدا. وهناك فرق -كما أسلفنا- بين الدّالّين: الأول أمام الناس والثاني أمام الله سبحانه وتعالى. وقد يصنفا الى ذل مادي نتيجة الحاجة الى الناس أو الحاجة الى الله سبحانه والثاني هو الذل المبدأي. ولعل الذل في بعض

1 اللهوف على قتلى الطّفوف، رضي الدين أبو القاسم علي بن موسى بن جعفر بن طاووس الحسني الحلّي (664 هـ)، دار الأسوة للطباعة والنشر، ص 59.

2 بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار، محمد باقر المجلسي (ت 1111 هـ) دار الإحياء، بيروت، 1983م، ج 68، ص 179

3 بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار، محمد باقر المجلسي (ت 1111 هـ) دار الإحياء، بيروت، 1983م، ج 86، ص 225

معانيه يقال الذل والقل، والذلة والقلّة¹، وقد يكون -والله العالم- ما قاله عبد الله بن مسلم بن عجيل: "اللهم انهم استقلّونا واستذلّونا"² فهيهات أن يكون أدلة بل هم الأعزة ويأتي بمعنى القلة ما جاء في القرآن الكريم: {وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ}³ ولا يجوز وصفهم بأنهم أدلة وفيهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، "ووصفهم الله بأنهم أدلة لانهم كانوا ضعفاء قليلي العدد قليلي العدة"⁴.

وإذا عرفنا أن الذلة تأتي بمعنى "الضعف عن المقاومة، وضدها العزة، وهي القوة على الغلبة، ويقال للجمل المنقاد من غير صعوبة: ذلول لانقياده انقياد الضعيف، فأما الذليل فإنما ينقاد على مشقة"⁵، وفي هذا المعنى ينسب شعراً لزين العابدين عليه السلام حينما دخل دمشق مع سبايا أهل البيت عليهم السلام بغير رغبة منهم، ويتقدّمهم رأس الحسين عليه السلام مرفوعاً على الرمح. والسجاد مقيدّ اليدين، جاء لفظ (أقاد ذليلاً):

1 مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، دار القلم، الدار الشامية، 2009، ص 180.

2 مقتل أبي مخنف، لوط بن يحيى بن سعيد بن مخنف بن مسلم الأزدي الغامدي، المطبعة العلمية، قم، 1398هـ، ص 379

3 آل عمران 123

4 التبيان في تفسير القرآن، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، احياء التراث العربي، بيروت، ج 2، ص 572

5 التبيان في تفسير القرآن، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، احياء التراث العربي، بيروت، ج 2، ص 572

"اقاد ذليلا في دمشق كأنني * * * من الزنج عبد غاب عنه نصيره

وجدي رسول الله في كل مشهد * * * وشيخي أمير المؤمنين وزيره

فيا ليت لم أنظر دمشقاً ولم أكن * * * يراني يزيد في البلاد أسيره"¹

نعم، لا شك أنّ المعسكر المعادي وقادته أرادوا إذلاله وحاولوا إهانته، وهذا أكيد، إلاّ

أنّ شيئاً من ذلك لم يحصل؛ فهو كما الحسين عليهما السلام شعارهما هو: "موت في عزّ،

خير من حياة في ذلّ"²، و "هيهات له ذلك مني، هيهات منّا الذلّة، أباي الله ذلك لنا ورسولُهُ

والمؤمنون"³

فكما الحسين عليه السلام أرادوا توهينه وإضعافه بل وإذلاله بكل ممارساتهم التي

ارتكبوها له شخصياً ولعِياله ونسائه أمام عينيهِ، ولكن كما أسلفنا ذلك لم يحصل؛ "لأنّ الذلّة

الحقيقيّة إنّما تحصل لو حصلت المبايعة للحاكم الأموي والخضوع له، تلك هي الذلّة التي

1 مدينة معاجز الأئمة الإثني عشر ودلائل الحجج على البشر، هاشم البحراني، مؤسسة المعارف الإسلامية،

قم، ج 4، ص 110

2 ميزان الحكمة، محمد الري شهري، دار الحديث، قم، ج 4، ص 256

3 ميزان الحكمة، محمد الري شهري، دار الحديث، قم، ج 10، ص 96

تجنّبها الحسين عليه السلام بكلّ جهده وضحّى ضدّها بنفسه، وأمّا الصمود في ساحة القتال فلن يكون ذلّة، لا في نظر أصدقائه، ولا في نظر أعدائه، ولا في نظر ربّه جلّ جلاله¹.

6. عبادته وزهده

لقد تصدى الحسين عليه السلام للانحرافات الفكرية والعقدية وكانت آنذاك على يد الأزارقة وهم فرقة من الخوارج وزعيمهم نافع بن الأزرق حيث فنّد الحسين عليه السلام أفكاره في محاورّة بينهما. ومما يروى عن ابن عباس أنه: "بينما هو يحدث الناس إذ قام إليه نافع ابن الأزرق فقال له: يا ابن عباس تقتي الناس في النملة والقملة؟ صف لي إلهك الذي تعبد. فاطرق ابن عباس اعظاما لقوله، وكان الحسين بن علي جالسا ناحية فقال: الي يا ابن الأزرق. قال [ابن الأزرق]: لست إياك أسأل! قال ابن عباس: يا ابن الأزرق انه من أهل بيت النبوة وهم ورثة العلم! فأقبل نافع نحو الحسين فقال له الحسين: يا نافع ان من وضع دينه على القياس لم يزل الدهر في الالتباس سائلا ناكيا عن المنهاج، ظاعنا بالاعوجاج، ضالا عن السبيل، قائلا غير الجميل.

1 أضواء على ثورة الحسين عليه السلام، محمد باقر الصدر، ص 121-122

يا ابن الازرق أصف إلهي بما وصف به نفسه وأعرّفه بما عرّف به نفسه: لا يدرك بالحواس ولا يقاس بالناس، قريب غير ملتصق، وبعيد غير منتقص، يوحد ولا يبعض، معروف بالآيات، موصوف بالعلامات، لا إله الا هو الكبير المتعال.

فبكى ابن الازرق وقال: يا حسين ما أحسن كلامك؟! [ف] قال له الحسين: بلغني أنك تشهد على أبي وعلى أخي بالكفر وعليّ؟! قال ابن الازرق: أما والله يا حسين لئن كان ذلك لقد كنتم منار الاسلام ونجوم الاحكام. فقال له الحسين: اني سائلك عن مسألة! قال: سل، فسأله عن هذه الآية: {وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ¹}. يا ابن الازرق من حفظ في الغلامين؟ قال ابن الأزرق: أبوهما؟ قال الحسين: فأبوهما خير أم رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال ابن الأزرق: قد أنبأ الله تعالى أنكم قوم خصمون، شارة إلى قوله تعالى: {مَا صَرَّبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ²3}.

ومشهور أن الحسنين عليهما السلام كانا كثيرا الحج مشياً على الأقدام، فقد أحصي أن الحسين عليه السلام قد "مشى من المدينة على قدميه إلى مكة حاجاً خمسا وعشرين مرة"⁴،

1 الكهف 82

2 الزخرف 58

3 تاريخ مدينة دمشق، أبي القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر، (ت 571 هـ)، دار الفكر، بيروت، ج 14، ص 183

4 أعيان الشيعة، محسن الأمين (ت 1371 هـ)، دار المطبوعات، بيروت، ج 1، ص 580

والحسين عليه السلام كما هم أهل بيت النبوة عليهم السلام يحبون الناس جميعا، وفي مرة كان

عليه السلام قد مرّ "على مساكين فجلس إليهم ثم قال: {إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكَرِينَ} ¹.²

ويتجلّى حب الناس للحسين في رواية ابن عساكر حيث يصف فيها شدة التعلق

بالحسين عليهما السلام من قبل الناس أثناء طوافهما حتى أن شدة الزحام كسرها فأنقذهما

أحد الناس. فجاء في رواية ابن عساكر عن "أبي سعيد قال: رأيت الحسن والحسين صليا مع

الامام العصر ثم أتيا الحجر فاستلماه ثم طافا أسبوعا وصليا ركعتين، فقال الناس هذان ابنا

بنت رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم. قال: فحطمهما³ الناس حتى لم يستطيعا أن يمضيا

ومعهما رجل من الركانات فأخذ الحسين بيد الركاني وردّ الناس عن الحسن - وكان يجله -

وما رأيتهما مرّا بالركن الذي يلي الحجر من جانب الحجر إلا استلماه"⁴.

1 النحل 23

2 ترجمه ريحانه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الامام الحسين عليه السلام من تاريخ مدينة دمشق،

أبي القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر، (ت 571 هـ)، مجمع

إحياء الثقافة الإسلامية، قم، ط2، 1414 هـ. ج 1، ص 219

3 كسرها ازدحاما عليهما

4 تاريخ مدينة دمشق، أبي القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر،

(ت 571 هـ)، دار الفكر، بيروت، ج 13، ص 239

كان الحسين عليه السلام غزير العلم، وعلمه علم رسول الله ورثه من أخيه من أبيه من جده¹ سلام الله عليهم. قال الصادق عليه السلام: " إن الله عز وجل فضل اولي العزم من الرسل بالعلم على الانبياء، وفضل محمدا صلى الله عليه وآله وسلم عليهم، وورثنا علمهم، وفضلنا عليهم في فضلهم، وعلم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما لا يعلمون، وعلمنا علم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فرويناه لشيعتنا فمن قبله منهم فهو أفضلهم، وأينما نكون فشيعتنا معنا."²

1 قال الرضا عليه السلام: "إِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ يَتَوَارَثُ أَصَاغِرُنَا عَنْ أَكَابِرِنَا الْقُدَّةَ بِالْقُدَّةِ". انظر: بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار، محمد باقر المجلسي (ت 1111 هـ) دار الإحياء، بيروت، 1983م، ج 26، ص 179

2 بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار، محمد باقر المجلسي (ت 1111 هـ) دار الإحياء، بيروت، 1983م، ج 65، ص 165

ويقال أنه عليه السلام قد سئل يوماً عن الجهاد سنة أم فريضة¹؟ فأجاب عليه السلام:
"الجهاد على أربعة أوجه: فجهادان فرض وجهاد سنة لا يقام إلا مع فرض وجهاد سنة، فأما
أحد الفرضين فجهاد الرجل نفسه عن معاصي الله وهو من أعظم الجهاد ومجاهدة الذين يلونكم
من الكفار فرض. وأما الجهاد الذي هو سنة لا يقام إلا مع فرض فإن مجاهدة العدو فرض
على جميع الامة لو تركوا الجهاد لاتاهم العذاب وهذا هو من عذاب الامة وهو سنة على
الامام. وحده أن يأتي العدو مع الامة فيجاهدهم. وأما الجهاد الذي هو سنة فكل سنة أقامها
الرجل وجاهد في إقامتها وبلوغها وإحيائها فالعمل والسعي فيها من أفضل الاعمال لأنها إحياء

1 الفريضة: ما أمر الله به في كتابه وشدد أمره وهو انما يكون واجبا والسنة ما سنه النبي صلى الله عليه وآله وليس بتلك المثابة من التشديد وهو قد يكون واجبا وقد يكون مستحبا وجهاد النفس مذكور في القرآن، في مواضع كثيرة، منها قوله سبحانه " وجاهدوا في الله حق جهاده " وقوله: " والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا " إلى غير ذلك وكذا جهاد العدو القريب الذي يخاف ضرره قال الله سبحانه: " قاتلوا الذين يلونكم من الكفار " وكذا كل جهاد مع العدو وقال الله تعالى: " فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم " إلى غير ذلك من الآيات وهذا هو الفرض الذي لا يقام السنة إلا به. والجهاد الذي هو سنة على الامام هو أن يأتي العدو بعد تجهيز الجيش حيث كان يؤمن ضرر العدو ولم يتعين على الناس جهاده قبل أن يأمرهم الامام به فإذا أمرهم به صار فرضا عليهم وصار من جملة ما فرض الله عليهم فهذا هو السنة التي إنما يقام بالفرض. وأما الجهاد الرابع الذي هو السنة فهو مع الناس في إحياء كل سنة بعد اندراسها واجبة كانت أو مستحبة فإن السعي في ذلك جهاد مع من أنكرها. أنظر الهامش في: تحف العقول عن آل الرسول صلى الله عليه وآله، أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة، (من اعلام ق 4 هـ) ط 2، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، 1404 هـ. ص 244

سنة وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: "من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً"¹.

ثم أن الإمام الحسين عليه السلام قد تميّز كباقي الأئمة الأطهار بخشوعهم وخضوعهم وتذلّهم لله سبحانه وتعالى ساعة التوجه بالدعاء. وفي دعائه يوم عرفة المشهور² انه كان "في غَايَةِ التَّذَلُّلِ وَالْخُشُوعِ، فَوَقَفَ إِلَى الْجَانِبِ الْأَيْسَرِ مِنَ الْجَبَلِ وَتَوَجَّهَ إِلَى الْكَعْبَةِ، ثُمَّ وَضَعَ

1 تحف العقول عن آل الرسول صلى الله عليهم، أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة، (من اعلام ق 4 هـ) ط 2، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، 1404 هـ، ص 244

2 وهو دعاء طويل يبدأ ب: (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَيْسَ لِقَضَائِهِ دَافِعٌ وَلَا لِعَطَائِهِ مَانِعٌ وَلَا كَصُنْعِهِ صَانِعٌ وَهُوَ الْجَوَادُ الْوَاسِعُ فَطَرَ أَجْنَاسَ الْبَدَائِعِ وَأَنْقَنَ بِحِكْمَتِهِ الصَّنَائِعَ وَلَا تَخْفَى عَلَيْهِ الطَّلَائِعُ وَلَا تَضِيغُ عِنْدَهُ الْوَدَائِعُ أَتَى بِالْكِتَابِ الْجَامِعِ وَبَشَّرَ الْإِسْلَامَ النُّورِ السَّاطِعِ وَهُوَ لِلْخَلِيقَةِ صَانِعٌ وَهُوَ الْمُسْتَعَانُ عَلَى الْفَجَائِعِ جَارِي كُلِّ صَانِعٍ وَرَائِشُ كُلِّ قَانِعٍ وَرَاحِمُ كُلِّ صَارِعٍ وَمُنْزِلُ الْمَنَافِعِ وَالْكِتَابِ الْجَامِعِ بِالنُّورِ السَّاطِعِ وَهُوَ لِلدَّعَوَاتِ سَامِعٌ وَلِلْمُطِيعِينَ نَافِعٌ وَلِلدَّرَجَاتِ رَافِعٌ وَلِلْكَرْبَاتِ دَافِعٌ وَلِلْجَبَابِرَةِ قَامِعٌ وَرَاحِمُ عَبْرَةٍ كُلِّ صَارِعٍ وَرَافِعُ صَرَعَةٍ كُلِّ صَارِعٍ فَلَا إِلَهَ غَيْرُهُ وَلَا شَيْءَ يَعْدِلُهُ وَلَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ....) وامتاز بدقة وصف أعضاء جسم الإنسان ليشهد الله بتوحيده: (وَأَنَا أَشْهَدُكَ يَا إِلَهِي بِحَقِيقَةِ إِيْمَانِي وَعَقْدِ عَزَمَاتِي يَقِينِي وَخَالِصِ صَرِيحِ تَوْحِيدِي وَبَاطِنِ مَكْنُونِ ضَمِيرِي وَعَلَائِقِ مَجَارِي نُورِ بَصْرِي وَأَسَارِيرِ صَفْحَةِ جَبِينِي وَخُرْقِ مَسَارِبِ نَفْسِي وَخَدَارِيفِ مَارِنِ عِرْنِينِي وَمَسَارِبِ صِمَاحِ سَمْعِي وَمَا ضَمَّتْ وَأَطْبَقَتْ عَلَيْهِ شَفَتَايَ وَحَرَكَاتِ لَفْظِ لِسَانِي وَمَعْرِزِ حَنَكِ فَمِي وَفَكِّي وَمَنَابِتِ أَضْرَاسِي وَبُلُوغِ حَبَائِلِ بَارِعِ عُنُقِي وَمَسَاغِ مَأْكَلِي وَمَشْرَبِي وَحِمَالَةِ أُمِّ رَأْسِي وَجُمَلِ حَمَائِلِ حَبْلِ وَتَبِينِي وَمَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ تَأْمُورُ صَدْرِي وَنِيَاطُ حِجَابِ قَلْبِي وَأَفْلَادُ حَوَاشِي كِبْدِي وَمَا حَوْتُهُ شَرَّاسِيفُ أَضْلَاعِي وَحِقَاقُ مَفَاصِلِي وَأَطْرَافُ أَنْمَالِي وَقَبْضُ عَوَامِلِي وَدَمِي وَشَعْرِي وَبَشْرِي وَعَصْبِي وَقَصْبِي وَعِظَامِي وَمَخِّي وَعُرُوقِي وَجَمِيعُ جَوَارِحِي وَمَا انْتَسَجَ عَلَى ذَلِكَ أَيَّامُ رِضَاعِي).

يَدِيهِ قُبَالَةَ وَجْهِهِ كَمِسْكِينٍ يَطْلُبُ طَعَامًا، وَقَرَأَ الدُّعَاءَ... وَتَمَّ شَرَعَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالسُّؤَالِ وَالِاهْتِمَامِ
فِي الدُّعَاءِ وَدُمُوعُهُ جَارِيَةٌ عَلَى خَدَّيْهِ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي أَخْشَاكَ كَأَنِّي أَرَاكَ... ثُمَّ رَفَعَ
رَأْسَهُ وَبَصَرَهُ نَحْوَ السَّمَاءِ وَكَانَتْ دُمُوعُهُ تَجْرِي كَالْقَرَبِ، وَقَالَ بِصَوْتٍ عَالٍ: يَا أَسْمَعَ السَّامِعِينَ
وَيَا أَبْصَرَ النَّاطِرِينَ وَيَا أَسْرَعَ الْحَاسِبِينَ وَيَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ صَلَّى عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ السَّادَةِ
الْمَيَامِينَ وَأَسْأَلُكَ اللَّهُمَّ حَاجَتِي إِلَيْكَ الَّتِي إِنْ أُعْطِيتُهَا لَمْ يَضُرَّنِي مَا مَنَعْتَنِي وَإِنْ مَنَعْتَنِيهَا لَمْ
يَنْفَعْنِي مَا أُعْطِيتُنِي أَسْأَلُكَ فَكَأَنَّكَ رَقِبتِي مِنَ النَّارِ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ وَحَدَاكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَكَ الْمُلْكُ
وَلَكَ الْحَمْدُ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ يَا رَبِّ يَا رَبِّ يَا رَبِّ. وَجَعَلَ يُكْرِرُ قَوْلَهُ (يَا رَبِّ) وَارْتَفَعَتْ
الْأَصْوَاتُ بِالْبُكَاءِ، ثُمَّ عَادَ وَاتَّجَهَ ذَاهِبًا إِلَى الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ.¹

ولما بلغ قتله عليه السلام أهل مكة صعد عبد الله بن الزبير المنبر وخطب واصفا تعبد

الحسين عليه السلام: وقال: "أما والله لقد كان صواما بالنهار قواما بالليل"².

1 زاد المعاد، كتاب مفتاح الجنان، محمد باقر بن محمد تقي المعروف بالمجلسي، (ت 1111 هـ)، مؤسسة
الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ص 173

2 تكملة: " وأولى بينهم من الفاجر ابن الفاجر والله ما كان يستبدل بالقرآن الغناء ولا بالبكاء من خشية
الله الحداء ولا بالصيام شرب الخمر ولا بقيام الليل الزمور ولا بمجالس الذكر الركض في طلب الصيد
واللعب بالقروذ قتلوه فسوف يلقون غيًّا ألا لعنة الله على الظالمين ثم نزل " أشار بهذا إلى خصال يزيد كلها
لعنه الله. أنظر: تذكرة الخواص، سبط بن الجوزي، الحنفي، (ت 654 هـ)، الشريف الرضي، 1418 هـ،
ايران، ص 241

7. الإعداد السياسي والعسكري للحسين عليه السلام:

وبعد الإعداد الروحي والأخلاقي الذي تلقاه الحسين عليه السلام من البيت النبوي، ها هو الإعداد السياسي والحربي للحسين عليه السلام. فمذ كان في أوائل عمره سمع عن تحالف أعداء الدين لمحقه ومحاربتة. وكيف كان أبوه عليه السلام يحارب صفاً واحداً مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في غزوة الخندق، وغزوة الأحزاب، وبني قريظة، وسمع ما جرى لسرية رسول الله صلى الله عليه وآله حين بعث علياً عليه السلام إلى بني سعد بن بكر بفدك وقتل حي بن أخطب¹ على يده عليه السلام. وبعد غزوة المصطلق حدث جدال كبير بين مشركي مكة والرسول صلى الله عليه وآله وانتهى بصلح الحديبية، فكان الكاتب هو أبوه أمير المؤمنين عليه السلام. لقد عرفت فاطمة عليها السلام من أمير المؤمنين وهو يحدثها وكان الطفلان يسمعان من أبيهما. وكانت شجاعة أمير المؤمنين وصلابة إيمانه في غزوة خيبر قد حفرت في وجدان الإمام الحسين عليه السلام بعمق، فقد كان أمير المؤمنين فيها أميراً، أو هادياً أو مصلحاً ما أفسده الآخرون. وتردد على مسامعه أن والده كان أرمداً، فتقل الرسول

1 حي بن الأخطب من يهود بني النضير، قال الباقر عليهما السلام: "إن رسول الله صلى الله عليه وآله لما قدم المدينة، وظهرت آثار صدقه، وآيات حقه، وبينات نبوته، كادته اليهود أشد كيد، وقصدوه أقبح قصد يقصدون أنواره ليطمسوها، وحججه ليبطلوها" وكان حي بن الأخطب أحدهم.

في عينه وأعطاه الراية وقال له: [لأعطينَ الرايةَ غداً رجلاً يحبُّ اللهَ ورسولَهُ، ويحبُّه اللهُ ورسولُهُ، ليس بفرارٍ يفتح اللهُ على يديه]¹ ففتح اللهُ عليه. وسمع من أبيه كيف نزل قرآن على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد غزوة ذات السلاسل: {وَأَلْعَادِيَاتِ ضَبْحًا * فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا} الى آخرها، وبشّر أصحابه بالفتح، وأمرهم أن يستقبلوا أمير المؤمنين، فاستقبلوه والنبي يقدمهم، فقاموا له صفين، فلما بصر بالنبي ترجّل عن فرسه، فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم: اركب فإن الله ورسوله عنك راضيان. فبكى أمير المؤمنين فرحاً، فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم: وآله وسلم: يا علي لولا أنني أشفق أن تقول فيك طوائف من أمّتي ما قالت النصرى في المسيح عيسى بن مريم، نقلت فيك اليوم مقالاً لا تمرّ بمأ من الناس إلا أخذوا التراب من تحت قدميك².

لقد خَبَر الحسين وعلى صغر سنه ولكنه أدركها وفهمها حينما شبّ، عرف كيف أن أساليب الخدعة والخداع والفتنة اتبعها واحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو "حاطب بن أبي بلتعة وكان من أهل مكة وشهد بدرًا، كتب إلى أهل مكة كتاباً أطلعهم على سرّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومسيره دليهم، فجاء الوحي إلى رسول الله صلى

1 بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار، محمد باقر المجلسي (ت 1111 هـ) دار الإحياء،

بيروت، 1983م، ج 39، ص 12

2 علي امام البررة، أبو القاسم الموسوي الخوئي، دار الهدى، ج 3، ص 135

الله عليه وآله وسلم بما فعل، وكان أعطى الكتاب امرأة سوداء، كانت وردت المدينة مستميحةً، وأمرها أن تأخذ على غير الطريق. فاستدعى صلى الله عليه وآله وسلم علياً وقال: إن بعض أصحابي قد كاتب أهل مكة يخبرهم بخبرنا، وقد كنت سألت الله أن يعمي أخبارنا عليهم، والكتاب مع امرأة سوداء، وقد أخذت على غير الطريق، فخذ سيفك والحقها، وانتزع الكتاب منها وخلها وعد إلي¹، فالحرب عند مثل هؤلاء تحقيق مأرب ومصالح وقليل منهم من يرى فيها مصلحة الدين ورضا الله سبحانه وتعالى. فلم يكن لحاطب بن بلتعة شك في الدين لكنه يرى في خلاص أهله ونجاتهم من مكة أهم من فتحها بنظره. فكان للحسين عليه السلام أن رأى مثل هؤلاء الأشخاص لعلمه في معرفة الرجال، فلما سأل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم حاطب: "فما الذي حملك على ذلك؟ فقال: إن لي أهلاً بمكة ولا عشيرة لي بها، وخفت أن تكون الدائرة لهم علينا، فيكون الكتاب كفاً لهم عن أهلي، ويدا لي عليهم، ولم يكن لشك مني في الدين"². ورأى كيف أن من صحابته يفعلون عكس ما يريده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فهذا خال بن الوليد يرسله محمد صلى الله عليه وآله وسلم داعياً وإذا به يحز

1 علي امام البررة، أبو القاسم الموسوي الخوئي، دار الهدى، ج 3، ص 181

2 علي امام البررة، أبو القاسم الموسوي الخوئي، دار الهدى، ج 3، ص 181

رؤوسهم بسيفه مخالفا للدين وأمر رسول الله فقال فيه الرسول: "اللهم إني أبرأ إليك مما صنع

خالد (ثلاث مرات)"¹. وكم من مثل خال الوليد صادف الحسين عليه السلام.

الحسين عليه السلام عاصر جده وابيه، وعاش تلك الأحداث وتعلم منهما الدروس

الكثيرة. فرأى طاعة والده للمصطفى عليهما السلام ورأى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم

كيف يتعامل مع مفاجآت تلك الأحداث. وهؤلاء الصحابة يبايعون على ملازمة الرسول صلى

الله عليه وآله وسلم على الموت ولا يفرون في يوم حنين إلا أنهم خالفوه وهربوا وتركوا الرسول

ومعه "تسعة من بني هاشم وعاشرهم أيمن بن أم أيمن"². وقد ذمهم القرآن الكريم على فرارهم

أمام هوزان وثقيف ومن لفّ لفهم من الأعراب، وخوفهم وتقييمهم الخاطيء للموقف: لَوِیَوْمَ حُنَیْنِ

إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحَبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ *

ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ

جَزَاءُ الْكَافِرِينَ³. ويتكرر ذات الموقف مع الحسين عليهم السلام ممن كتب له يطلب قدومه

الى الكوفة. خوفا على مصالحه من ابن زياد.

1 علي امام البررة، أبو القاسم الموسوي الخوئي، دار الهدى، ج 3، ص 186

2 علي امام البررة، أبو القاسم الموسوي الخوئي، دار الهدى، ج 3، ص 191

3 التوبة 25-26

لم يكن للحسين عليه السلام في عمره آنذاك إلا أن يراقب مجريات الأحداث ويسمع من أمه الزهراء تحليل الموقف وما يدور من أخبار. ولما "فضّ الله تعالى جمع المشركين بحنين، تفرقوا فرقتين، فأخذت الأعراب ومن تبعهم إلى أوطاس، وأخذت ثقيف ومن تبعها إلى الطائف. فسار النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى الطائف فحاصروهم أياماً، ثم أنفذ أمير المؤمنين في خيل، وأمره أن يظأ ما وجد ويكسر كل صنم وجده"¹. وقد وصله ما قاله الرسول صلى الله عليه وآله وسلم للناس حينما فتح الطائف يوصهم بعترته خيراً وهو يعلم ما سينتهون اليه من تقتيل وملاحقة لهم ولعيالهم فقبورهم توزعت على أمصار عديدة، فقال: [أيها الناس إنني لكم فرط وإن موعدكم الحوض واوصيكم بعترتي خيراً]².

عَلِمَ الحسين عليه السلام أن علياً عليه السلام متوجه الى اليمن ليدعوهم الى الإسلام فدخل الى همدان ومنها انتشر الى كل اليمن، وذاع "سلام الرسول في سجوده على همدان"³، ففهم الحسين عليه السلام أنّ لها شأن يختلف عن باقي الأمصار. فكانوا أهل همدان تُخلص في ولائها للإمام أمير المؤمنين عليه السلام بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فنقف إلى

1 علي امام البررة، أبو القاسم الموسوي الخوئي، دار الهدى، ج 3، ص 200

2 بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار، محمد باقر المجلسي (ت 1111 هـ) دار الإحياء، بيروت، 1983م، ج 40، ص 30

3 علي امام البررة، أبو القاسم الموسوي الخوئي، دار الهدى، ج 3، ص 213

جانبه في جميع حروبه، كما وقفت بعده مع ولديه الحسنين عليهما السلام. وكان هو أيضاً يضيف عليهم عطفه ويوليهم محبته، حتى قال فيهم يوم صفين من شعر له:

"قلو كنتُ بواباً على بابِ جنّةٍ لقلتُ لهمدان: ادخلوا بسلام"¹

لم يرق لبعض الصحابة هذا الاهتمام من رسول الله صلى الله عليه وآله لوصيه علي عليه السلام، فلم يخفوا بغضهم له وذهبوا يشهدون زورا للنبي صلى الله عليه وآله في جمعه للخمس من اليمن "فإذا النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد أحمرَّ وجهه يقول: من كنت وليه فعلي وليه"². ويوما بعد يوم تتكشف حقيقة بعض الصحابة من بغضهم لعلي عليه السلام وأهل بيته حتى أن أحدهم غمز في علي عليه السلام فنهره الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فقال: "لا تقع في علي فإنه مني وأنا منه وهو وليكم بعدي"³. فخصّه بحمل رايته مما أفاض

1 علي امام البررة، أبو القاسم الموسوي الخوئي، دار الهدى، ج 3، ص 213
2 بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار، محمد باقر المجلسي (ت 1111 هـ) دار الإحياء، بيروت، 1983م، ج 37، ص 220
3 قال بريدة: فكتب معي خالد بن الوليد إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يخبره بذلك، فلما أتيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم دفعت الكتاب فقرئ عليه، فرأيت الغضب في وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقلت: يا رسول الله هذا مكان العائذ بك، بعثتني مع رجل وأمرتني أن ففعلت ما ارسلت به، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لا تقع في علي فإنه مني وأنا منه وهو وليكم بعدي. أنظر: بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار، محمد باقر المجلسي (ت 1111 هـ) دار الإحياء، بيروت، 1983م، ج 37، ص 220

كثير من الصحابة: [لَأُعْطِينَ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَيُحِبُّ اللَّهُ وَرَسُولَهُ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ وَلَيْسَ بِفَرَّارٍ]¹.

سمع ذلك أيضا من أخيه الحسن عليه السلام أنه: " كان رسول الله لا يبعث عليًا مبعثًا إلا أعطاه الراية"²، لقد انقسم الناس في علي: منهم من يحبه ومنهم من يبغضه، وما كان بغضهم إلا حسداً وغيرةً وحقدًا وكرهاً. فأصبحت ظاهرة واضحة جلية في المجتمع، فما كان من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلا أن أخبر علياً عليه السلام بأن حبك يا علي ميزان وقسطاس يميز بين المؤمن والمنافق. وهذا ما حدث به ابن عباس الناس وهو ينظر لعلي عليه السلام يخبرهم بما سمعه من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: " لا يحبك إلا مؤمن، ولا يبغضك إلا منافق، من أحبك فقد أحبني، ومن أبغضك فقد أبغضني، وحببي حبيب الله، وبغضبي بغيض الله، ويل لمن أبغضك بعدي"³.

1 البداية والنهاية، ابي الفداء اسماعيل بن كثير الدمشقي (ت 774 هـ) ، دار احياء التراث العربي، ج 4، ص 212.

2 علي امام البررة، أبو القاسم الموسوي الخوئي، دار الهدى، ج 1، ص 246

3 علي امام البررة، أبو القاسم الموسوي الخوئي، دار الهدى، ج 1، ص 93

لقد توافرت للإمام الحسين عليه السلام مع علمه عما ورثه عنهم عليهم السلام خبرة واسعة بالمجريات الاجتماعية والسياسية وما رافقهما من عناوين فرعية لأهواء الناس ورغباتهم وطمع الآخرين بالسلطة أو الغنائم أو تكاسلهم أو إقدامهم.

أ- الحسين عليه السلام محاربا

يعد الحسين عليه السلام من شجعان العرب كيف وهو الهاشمي أبين القائد الهمام الشجاع أمير المؤمنين عليه السلام ومع ذلك فقد أهمل هذه الناحية جماعة من المؤرخين "ولم يتعرضوا لاشتراك الحسن والحسين عليهما السلام في الغزوات والحروب الإسلامية التي كانت مكللة بالنجاح يوم ذاك، وحتى في غزو إفريقيا وطبرستان وجهاتها. كما أهملوا غيرها من الحقائق التاريخية، لذلك فإن إهمالهم لها لا يكفي وحده لأن يكون سببا للتشكيك بها، لا سيما عند المتتبع لتاريخ أهل البيت. الحافل بالتضحيات في سبيل الإسلام"¹. ويدّعي أكثر المؤرخين² بأن الحسين عليه السلام قد اشترك هو وأخوه الحسن عليه السلام في الدفاع عن عثمان، وقد أمرهما أمير المؤمنين عليه السلام ان يقفا على باب داره ليصدا هجمات الثوار عليه. وأضاف إلى ذلك بعض

1 سيرة الأئمة الاثني عشر، هاشم معروف الحسني، المكتبة الحيدرية، ج 2، ص 16

2 منهم من ينكر هذه المشاركة

المؤرخين: أن الثوار قد تهيّبوا الدخول عليه من الباب الذي رابط عليه الحسنان، فتسلقوا الجدران ودخلوا عليه وكانت بذلك نهايته.

هذا وقد اشترك الحسين عليه السلام مع ابيه خلال خلافته في جميع الشؤون السياسية والعسكرية والادارية وكان يرعاه.

لقد شهد الحسين عليه السلام صفين وكان مع أخيه الحسن عليه السلام على الميمنة. وكانا (سيّدا شباب أهل الجنّة) في ركاب أبيهما ينودان عن حياض الإسلام، ويسيران في ظلّ رايته راية الحق. فجعل الإمام علي عليه السلام في تعبئته لعسكره في صفّين: "على خيل ميمنته الحسن والحسين، وعلى رجّالتها عبد الله بن جعفر ومسلم بن عقيل وعلى الميسرة محمد بن الحنفية ومحمد بن أبي بكر، وعلى رجّالتها هاشم بن عتبة. وعلى جناح القلب عبد الله بن العباس وعلى رجّالتها الأشتر والأشعث، وعلى الكمين: عمّار بن ياسر"¹.

1 الحسين عليه السلام سماته وسيرته، محمد رضا الحسيني الجاللي، دار المعروف للطباعة والنشر، ص

كان الحسين عليه السلام مبارزا شديدا البأس مغوارا. فحينما نزل لساحة الحرب نادى هل من مبارز فخرج رجل اسمه الزبرقان¹ وكان سيد أهل الشام وشديد البأس. فقال له الزبرقان: "من أنت؟ قال: أنا الحسن بن علي. فقال له: انصرف يا بني! فو الله لقد نظرت إلى رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلّم مقبلا من ناحية قبا يسير على ناقة له وأنتك يومئذ لقدامه، فما كنت لألقى رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم بدمك. إلى أن قال: وانصرف الزبرقان وهو يقول: إنني أخاف الله في ابن فاطمة، وإنّ ذا الكلاع حدّثني أنّه سمع جهما يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم يقول: إنّ حسنا وحسينا سيّدا شباب أهل الجنة"². و "ان صحت هذه الرواية فمن الجائز أن يكون انصرافه عنه خوفا على نفسه لا عليه لأن الحسين

1 اختلف المؤرخون في اسمه الثاني: "الزبرقان بن أسلم بن من آل ذي لعوة، ومرة الزبرقان بن أصلم، ومرة الزبرقان بن الحكم، وأخرى الزبرقان بن أظلم" انظر: تنقيح المقال في علم الرجال، عبد الله مامقاني، محمد رضا مامقاني، محيي الدين مامقاني، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ج 28، ص 41-42، وفي موقع آخر: الزبرقان بن احلم. أنظر: سيرة الأئمة الاثني عشر، هاشم معروف الحسني، المكتبة الحيدرية، ج 2، ص 18.

2 تنقيح المقال في علم الرجال، عبد الله مامقاني، محمد رضا مامقاني، محيي الدين مامقاني، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ج 28، ص 41-42

كان معروفاً بالبطولة والقوة.¹ و"عاش مدة يقاتل مع أبيه أصحاب الجمل فجنود معاوية فالخوارج"².

ب- شجاعته

لقد تميز الحسين عليه السلام بقوته البدنية وشجاعته وإقدامه وشدة بأسه فقد أخذ كل تلك السمات من أبيه عليه السلام الذي قال فيه: [وأشبهه أهلي بي الحسين]³. وجعل الإمام علي عليه السلام نفسه من الحسين فقال: [الحسن بن علي فصاحب جفنة وخوان فتى من فتيان قريش لو قد التقت حلقتا البطان لم تغن عنكم في الحرب شيئاً وأما أنا وحسين فنحن منكم وأنتم منا]⁴. لقد كان الحسين عليه السلام شديد القلب بطلاً وكان قد امتدحه أخوه الإمام

1 سيرة الأئمة الاثني عشر، هاشم معروف الحسني، المكتبة الحيدرية، ج 2، ص 18

2 أعيان الشيعة، محسن الأمين (ت 1371 هـ)، دار المطبوعات، بيروت، ج 1، ص 580

3 تاريخ مدينة دمشق، أبي القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر، (ت 571 هـ)، دار الفكر، بيروت، ج 14، ص 177

4 تاريخ مدينة دمشق، أبي القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر، (ت 571 هـ)، دار الفكر، بيروت، ج 14، ص 178

الحسن عليه السلام فقال له: "أي أخ والله لوددت أن لي بعض شدة قلب، فيقول له الحسين وأنا والله وددت أن لي بعض ما بسط لك من لسانك"¹.

ومما ينقل الرواة أنه أعطى درسا في القيم والأخلاق لوالي مروان على المدينة الوليد بن عقبة، ولم يكن ذلك إلا من شجاعته الأدبية والأخلاقية، وشجاعته في حكمته ومواقفه عليه السلام، ويروى: "أَنَّه كَانَ بَيْنَ الْحُسَيْنِ وَ بَيْنَ الْوَلِيدِ بْنِ عُقْبَةَ مُنَازَعَةً فِي صَيِّعَةٍ فَتَنَاولَ الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلَامَ عِمَامَةَ الْوَلِيدِ عَنْ رَأْسِهِ وَ شَدَّهَا فِي عُنُقِهِ وَ هُوَ يَوْمئِذٍ وَالٍ عَلَى الْمَدِينَةِ فَقَالَ مَرْوَانُ بِاللَّهِ مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ جُرْأَةً رَجُلٍ عَلَى أَمِيرِهِ فَقَالَ الْوَلِيدُ وَاللَّهِ مَا قُلْتُ هَذَا غَضَبًا لِي وَ لَكِنَّكَ حَسَدْتَنِي عَلَى حِلْمِي عَنْهُ وَإِنَّمَا كَانَتْ الصَّيِّعَةُ لَهُ فَقَالَ الْحُسَيْنُ الصَّيِّعَةُ لَكَ يَا وَلِيدُ وَقَامَ"².

لقد وقف الحسين عليه السلام في كل حياته شجاعا بمواقفه وشجاعا بكلماته وشجاعا بسيفه، وها هو يوم المنازلة يوم الطف لما رأوا ضعف مدده وعدده ظنوا أنهم سيتمكنون من استمالته لمبايعة الفاجر يزيد. فقيل له يَوْمَ الطَّفِّ "انزِلْ عَلَى حُكْمِ بَنِي عَمِّكَ قَالَ لَا وَاللَّهِ لَا

1 تاريخ مدينة دمشق، أبي القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر، (ت 571 هـ)، دار الفكر، بيروت، ج 14، ص 179

2 المناقب لآل أبي طالب، محمد بن علي ابن شهر آشوب (ت 588 هـ)، مؤسسة انتشارات علامه، قم، ج 4، ص 68

أُعْطِيكُمْ بِيَدِي إِعْطَاءَ الدَّلِيلِ وَلَا أَفِرُّ فِرَارَ الْعَبِيدِ" ثُمَّ نَادَى يَا عِبَادَ اللَّهِ¹: {إِنِّي عُدْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ
مِّنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ}². لم يستطيعوا أن يساوموه على مبادئه وعزته فقال لهم
عليه السلام: "مَوْتُ فِي عِزٍّ خَيْرٌ مِنْ حَيَاةٍ فِي ذُلٍّ"³. فما كان من الحسين عليه السلام إلا أن
يعيش حراً أبياً عزيزاً كريماً ولا يكون عوناً لظالم فتكون حياته ضجر وسأماً ومللاً فقال عليه
السلام: "وَإِنِّي لَا أَرَى الْمَوْتَ إِلَّا سَعَادَةً وَالْحَيَاةَ مَعَ الظَّالِمِينَ إِلَّا بَرَمًا"⁴.

وقد اعتبر الامام السجاد عليه السلام الشجاعة من جملة الخصال البارزة التي من الله
بها على هذه الأسرة الكريمة، وذلك لما قال في خطبته في قَصْرِ الطاغية يزيد: "فضلنا أهل
البيت بستّ خصال: فضلنا بالعلم والحلم والشجاعة والسماحة والمحبة والمحلة في قلوب
المؤمنين، وآتانا ما لم يؤت أحدا من العالمين من قبلنا، فينا مختلف الملائكة وتنزيل الكتب".
وكنتيجة لما يتحلّى به الحسين عليه السلام وأسرته من شجاعة فقد حصدوا على أكبر عدد

1 المناقب لآل أبي طالب، محمد بن علي ابن شهر آشوب (ت 588 هـ)، مؤسسة انتشارات علامه، قم،
ج 4، ص 68

2 غافر 27

3 المناقب لآل أبي طالب، محمد بن علي ابن شهر آشوب (ت 588 هـ)، مؤسسة انتشارات علامه، قم،
ج 4، ص 68

4 المناقب لآل أبي طالب، محمد بن علي ابن شهر آشوب (ت 588 هـ)، مؤسسة انتشارات علامه، قم،
ج 4، ص 68

من أوسمة الشهادة، يقول عباس محمود العقاد تحت موضوع أبو الشهداء: "فليس في العالم أسرة أنجبت من الشهداء من أنجبتهم أسرة الحسين عدّة وقدرة وذكره... وحسبه أنّه وحده في تاريخ هذه الدنيا الشهيد ابن الشهيد أبو الشهداء في مئات السنين"¹

1 شخصيات إسلامية، عباس محمود العقاد، دار الكتاب العربي، بيروت، ص 320

الفصل العاشر

نهضة الحسين عليه السلام...القيام الأصغر

الفصل العاشر

نهضة الحسين عليه السلام (القيام الأصغر)

إن من أخطر المنعطفات التي شهدها التاريخ الإسلامي على المستويين السياسي والعقدي بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ابتدأت بالسقيفة فحدث الانقلاب الأول على النص وذلك باستخلاف غير علي عليه السلام متحججين بشرط واحد فقط وجعلته فوق كل اعتبار وهو "ألا تجتمع النبوة والخلافة في بيت واحد"¹! فقد ورد عن علي عليه السلام: "كان (عمر) قبل يقول: ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: "ان النبوة والامامة لا يجتمعان في بيت، وقال أحدهم: اللهم اغفر! ان قومكم كرهوا أن يجتمع لكم النبوة والخلافة فتذهبون في السماء بذخا وشمخا"². وبهذا مهّدت الطريق لكل من هبّ ودبّ للوصول إلى الخلافة. وتجروا أن اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة، متكالبين الفوز بالرئاسة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ضاربين عرض الجدار وصية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

1 بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار، محمد باقر المجلسي (ت 1111 هـ) دار الإحياء، بيروت، 1983م، ج 9، ص 86

2 بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار، محمد باقر المجلسي (ت 1111 هـ) دار الإحياء، بيروت، 1983م، ج 28، ص 295

"وقد احتجّ سعد بن عباد على توجيه الأحداث السياسيّة بهذا الشكل، فلغنه عمر وأبو بكر جهاراً، وبرءاً منه، وأخرجاه من المدينة إلى الشام حيث قُتل هناك"¹. وكان ممّا قال عمر في سعد بن عباد وهو رئيس الأنصار وسيدها اقتلوا سعدا قتل الله سعدا اقتلوه فإنه منافق"². وكان موقف عليّ عليه السلام يتلخص فيما يلي:

1. معارضته السقيفة معارضة سلمية، وابتعاده عن أسلوب المعارضة المسلّحة، وذلك لقلّة الناصر، إذ الغالبية من الناس انطلت عليها المؤامرة، وانصاعت مع الأمر الواقع الذي حدث أثناء السقيفة وفيما بعدها. كقوله: "وظفقت أرتأي بين أن أصول بيد جدّاء، أو أصبر على طخية عمياء، يهرم فيها الكبير، ويشيب فيها الصغير، ويكدح فيها مؤمن حتّى يلقى ربّه"³

2. قيامه بتعبئة الأمة تعبئة فكريّة لفتح أنظارها على حجم الانحراف، ولكي تكون بمستوى المسؤوليّة. كانت على أكثر من صعيد: على الصعيد الاجتماعي حاول الإمام عليه السلام إيضاح الوضع غير الطبيعي المنحرف الذي أعقب وفاة رسول الله عليه السلام

1 ثورة الحسين ظروفها الاجتماعية وآثارها الإنسانيّة، محمّد مهدي شمس الدّين، المؤسسة الدوليّة للدراسات والنشر، بيروت، ط7، 1417 هـ، ص 32

2 شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، دار الكتب العلميّة، بيروت، ج 20، ص 21

3 أعيان الشيعة، محسن الأمين (ت 1371 هـ)، دار المطبوعات، بيروت، ج 1، ص 538

للأمة، وقد استثمر لهذه المهمة سيدة نساء العالمين بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاطمة الزهراء عليها السلام مستعيناً بمنزلتها الاجتماعية لاستثارة عواطف المسلمين ومشاعرهم المرتبطة بها شخصياً باعتبارها ابنة الرسول الوحيدة الباقية بين المسلمين بعد وفاته صلى الله عليه وآله وسلم، ولهذا فإن الاستعانة بفاطمة الزهراء عليها السلام لاستثارة عواطف المسلمين المرتبطة برسول الله كان عملاً أريد منه بالأساس حشد الجانب العاطفي في إطار التعبئة الفكرية التي مارسها الإمام على أكثر من صعيد. أمّا على الصعيد السياسي، فقد عمل الإمام عليه السلام وفي إطار التعبئة الفكرية التي كان يقوم بها على الموازنة بين موقفه المعارض من السلطة، وبين حرصه الشديد على عدم انهيار التجربة الإسلامية، وبين تقويم السلطة وتوجيه الإرشادات والنصائح لها بغية وضعها على الطريق الصحيح لتطبيق الإسلام.

3. "منعه فاطمة الزهراء عليها السلام من الدعاء على الخلفاء"¹: وهي منع الإمام عليّ عليه السلام ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاطمة الزهراء عليها السلام من الدعاء على الظالمين. فقد وردت روايات كثيرة تؤكد أنه غير مرة همّت سيّدة نساء العالمين عليها السلام بالدعاء على الخلفاء، لكنّ الإمام عليّاً عليه السلام كان يتدارك الموقف

1 الإمامة والقيادة، كاظم الحسيني الحائري، مكتب آية الله كاظم الحائري، 1995، ص 179

ويمنعها من الدعاء لأسباب إنسانية بحتة؛ ذلك لأنّ دعاء فاطمة عليها السلام وشكايته أمرها إلى الله تعالى لن تمرّ دون استجابة، وهي التي قال لها أبوها: [يا فاطمة، إنّ الله تبارك وتعالى ليغضب لغضبك ويرضى لرضاك]¹

4. إرشاد المسلمين وتعريفهم الإسلام الصحيح: كان الإمام بحكم الوضع الذي نتج عن أحداث السقيفة مقصيً عن الإدارة السياسيّة المباشرة لأمر الأمة، الأمر الذي جعل المجتمع الإسلامي يعيش بعمق خطرين فادحين: خطر تنحية الرجال الأمناء على الرسالة عن الإشراف عليها، وخطر تسلّم زمام الأمور رجال غير مؤهلين لقيادة التجربة الإسلاميّة، وكان الوضع ينذر . وبكلّ المقاييس . بتصدّع المجتمع الإسلاميّ وانهاره. ولهذا فإنّ الإمام عليه السلام سارع إلى إعلان البيعة للوضع السياسيّ الجديد الذي حلّ بعد السقيفة درءاً للشقاق والاختلاف والتشتت، ومنعاً من حصول المفاسد التي قد تنجم عن ذلك، والتي ليس في المجتمع من مقومات استيعابها أو هضمها.

5. استمراره عليه السلام في إرشاد الناس ودعوتهم، كما أنّه عليه السلام وعلى صعيد العمل مع الأمة استمرّ يدافع عن الرسالة، ويدعو إلى سبيل ربّه، ويرشد الناس، ويقضي بينهم،

1 بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار، محمد باقر المجلسي (ت 1111 هـ) دار الإحياء، بيروت، 1983م، ج 43، ص 22

ويمارس جميع وظائفه وصلاحيّاته باعتباره وصياً لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأميناً على الرسالة، وهو الذي عبّر عن ذلك بقوله صلوات الله وسلامه عليه: [والله لا أدخل (المسجد) إلاّ لزيارة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أو لقضية أفضيها، فإنّه لا يجوز لحجّة أقامه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يترك الناس في حيرة]¹²

وكان حب الرئاسة وشهوة الحكم، شر أدواء الناس وبالا على الناس، وأشدّها استفحالا في طباع الأقوياء من زعماء ومنتزعين. فعمدوا على فصل الخلافة عن بيت النبوة ومن بداية هذا الفصل تنازع المسلمون بين عشاق السلطة الى قيام الحجة عليه السلام. وقد تسبب هذا الفصل الى حدوث مأسى وفضائع في التاريخ الإسلامي رافقها تجاوز النص الى الاجتهاد بالرأي على حساب النص الى ادخال أفكار غريبة على الإسلام وأولاها الجبرية التي اعتمدها معاوية لتبرير تسلطه ومن ثم توريث ابنه يزيد. لقد خرجت قريش من هذه التّجربة وهي ترى

1 بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار، محمد باقر المجلسي (ت 1111 هـ) دار الإحياء، بيروت، 1983م، ج 28، ص 203

2 بتصرّف عن: الإمامة والقيادة، كاظم الحسيني الحائري، مكتب آية الله كاظم الحائري، 1995، ص 187-179

أنّ الحكم حقّ من حقوقها. وأنّ الخلافة وراثية آلت إليها بحكم كون نبيّ المسلمين منها. ممّا سبّب أسوأ الآثار في فهم القرشيين لمهمّة الحكم في الإسلام¹

لقد اجتهدوا غير مكثرين بالنص عن الكتاب والسنة. حيث يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾². "فقضاء الله تعالى هو حكمه التشريعي في شيء مما يرجع إلى أعمال العباد أو تصرفه في شأن من شؤونهم بواسطة رسول من رسله، وقضاء رسوله هو الثاني من القسمين وهو التصرف في شأن من شؤون الناس بالولاية التي جعلها الله تعالى له"³

إن هذا الانقلاب الخطير قد قرّب أصحاب القرار الأموي الحاسم في التعايش نفاقاً مع الإسلام بعد فتح مكة عن السلطة إذ كانوا الطلقاء، بل عملت على الضدّ من ذلك إذ أتاحت لهم الفرصة السانحة إلى ما يبتغون يوم تجاوزت النصّ. وهل كانت المجازر الفظيعة التي جابهها المسلمون في الفترات المختلفة من تاريخ الاسلام: بين بني هاشم وبني أمية: وبين

1 ثورة الحسين ظروفها الاجتماعية وآثارها الإنسانية، محمّد مهدي شمس الدّين، المؤسسة الدوليّة للدراسات والنشر، بيروت، ط7، 1417 هـ، ص 32

2 الأحزاب 36

3 ميزان الحكمة، محمد الري شهري، دار الحديث، قم، ج 16، ص 321

بني الزبير وبني أمية: وبين بني العباس وبني أمية: وبين بني علي وبني العباس. الا النتيجة المنطقية لذلك الفصل بين الخلافة وبين النبوة، لأنهم قالوا: لا تجتمع النبوة والخلافة في بيت واحد، وما هو إلا ترديد لقول أبي جهل: "ويحك والله إن محمدا لصادق وما كذب قط، ولكن إذا ذهب بنو قصي باللواء والحجابه والسقاية والندوة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش"¹.

وهذا الامام الحسن عليه السلام يضع النقاط على الحروف بكتابه لمعاوية ابان البيعة له في الكوفة. قال: " فلما توفي -يعني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم- تنازعت سلطانه العرب، فقالت قريش: نحن قبيلته وأسرته وأولياؤه، ولا يحل لكم ان تنازعونا سلطان محمد وحقه. فرأت العرب ان القول ما قالت قريش وان الحجة في ذلك لهم على من نازعهم في امر محمد. فأنعمت لهم وسلمت إليهم، ثم حاجبنا نحن قريشا بمثل ما حاجبت به العرب، فلم تتصفنا قريش انصاف العرب لها. انهم أخذوا هذا الامر دون العرب بالإنصاف والاحتجاج، فلما صرنا أهل بيت محمد وأولياؤه إلى محاجتهم، وطلب النصف منهم، باعونا واستولوا بالاجتماع على ظلمنا ومراغمتنا والعنت منهم لنا. فالموعد الله وهو الولي النصير!! ولقد كنا تعجبنا لتوثب المتوثبين علينا في حقنا، وسلطان بيتنا.

1 بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار، محمد باقر المجلسي (ت 1111 هـ) دار الإحياء، بيروت، 1983م، ج 9، ص 86

وإذ كانوا ذوي فضيلة وسابقة في الاسلام، أمسكنا عن منازعتهم، مخافة على الدين ان يجد المنافقون والأحزاب في ذلك مغمزا يثلمون به، أو يكون لهم بذلك سبب إلى ما أرادوا من افساده. فاليوم فليتعجب المتعجب من توثبك يا معاوية على أمر لست من أهله، لا بفضل في الدين معروف، ولا أثر في الاسلام محمود، وأنت ابن حزب من الأحزاب، وابن أعدى قریش لرسول الله صلى الله عليه وآله، ولكتابه. والله حسيبك فسترد عليه وتعلم لمن عقبى الدار، وبالله لتلقين عن قليل ربك ثم ليجزينك بما قدمت يداك وما الله بظلامٍ لِلْعَبِيدِ إن عليا لما مضى لسبيله رحمة الله عليه يوم قبض ويوم من الله عليه بالاسلام ويوم يبعث حيا ولآني المسلمون الأمر بعده فأسأل الله ألا يؤتينا في الدنيا الزائلة شيئا ينقصنا به في الآخرة مما عنده من كرامة وإنما حملني على الكتاب إليك الإعدار فيما بيني وبين الله عز وجل في أمرك ولك في ذلك إن فعلته الحظ الجسيم والصلاح للمسلمين فدع التماذي في الباطل وادخل فيما دخل فيه الناس من بيعتي فإنك تعلم أنني أحق بهذا الأمر منك عند الله وعند كل أواب حفيظ ومن له قلب منيب واتفق الله ودع البغي واحقن دماء المسلمين فو الله ما لك خير في أن تلقى الله من دمائهم بأكثر مما أنت لاقية به وادخل في السلم والطاعة ولا تنازع الأمر أهله ومن هو أحق به منك

ليطفئ الله النائرة بذلك ويجمع الكلمة ويصلح ذات البين وإن أنت أبيت إلا التماذي في غيك

سرت، إليك بالمسلمين فحاكمتك حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين.¹

ولأن الأمة أمست ساكته على هذا الانفصال والطلاق بين الخلافة وبيت النبوة وتقبلته

سكوتا أو ابتعادا عن مكابدة هذا الانحراف والتغير ومحاربتة ولذلك تماذي بشكل صريح

وواضح معاوية في ذلك الى درجة أجاب الإمام الحسن عليه السلام بأن يبايعه ويأتيه من بيت

مال المسلمين كباقي المسلمين محتجا بكبر سنه وبتجربته الطويلة في الحكم. ولكنه لم يرد

الاعتراف بوجوب ولايته وامامته كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: [الحسن والحسين

إمامان قاما أو قعدا]².

فكتب معاوية متماديا بتضعيف دور الحسن عليه السلام فيقول: "قلو علمت أنك أضبط

مني للرعية و أحوط على هذه الأمة و أحسن سياسة و أقوى على جمع الأموال و أكيد للعدو

لأجبتك إلى ما دعوتني إليه و رأيتك لذلك أهلا و لكن قد علمت أنني أطول منك ولاية و أقدم

منك بهذه الأمة تجربة و أكبر منك سنا فأنت أحق أن تجيبني إلى هذه المنزلة التي سألتني

فادخل في طاعتي و لك الأمر من بعدي و لك ما في بيت مال العراق من مال بالغا ما يبلغ

1 شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، دار الكتب العلمية، بيروت، ج 16، ص 34

2 بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار، محمد باقر المجلسي (ت 1111 هـ) دار الإحياء،

بيروت، 1983م، ج 44، ص 2

تحمله إلى حيث أحببت و لك خراج أي كور العراق شئت معونة لك على نفقتك يجيبها أمينك
و يحملها إليك في كل سنة و لك ألا نستولي عليك بالإساءة و لا نقضي دونك الأمور و لا
نعصي في أمر أردت به طاعة الله¹. و خفي عليهم بل الحقيقة تغافلوا عن ان الإمامة في
الاسلام دين كالنبوة نفسها، ويجوز فيها ما يجوز في النبوة، ولا يجوز عليها ما لا يجوز على
النبوة في عظمتها، فالإمامة هي امتداد النبوة. وبتصرفهم هذا فقد ضربوهما بعد الالتزام بهما.
وانتهى هذا الابتعاد عن وصية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمبايعة يزيد.

وهكذا كانت السقيفة هي السبيل الحتمي الذي تسلك من خلاله يزيد ومن أمثاله التي
ستؤدي بشكل نهائي الى الابتعاد كثيرا كثيرا عن القيم الحقّة للشريعة السمحاء وغيابها يعني
غياب العدالة، ولأجل هذا سيعمل على إرجاعها الامام الحجة بن الحسن عليهما السلام،
وإرجاع الشريعة السمحاء كما أرادها الله سبحانه وتعالى. فما كان الإمام الحسين عليه السلام
ليقف مكتوف الأيدي أمام هذا التحديّ الخطير الذي أطاح بكلّ ما تبقى من قيم الإسلام
ومثله، وما كان عليه السلام ليستسلم أمام محاولة معاوية بجعل المنهج الأموي بديلاً عن
الإسلام، ومن هنا ولدت نهضة الحسين عليه السلام لتدين لها كلّ المواقع المشرقة في تاريخ
الإسلام لأنها هي التي صنعت بالدماء الزاكيات تاريخاً جديداً له.

1 شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، دار الكتب العلمية، بيروت، ج 16، ص 36

وبعثت نهضة سيد الشهداء عليه السلام من جديد قيم الرسالة ومفاهيم الإسلام التي طُمست وطواها النسيان، وما كان الإسلام ليصل موقعه الذي نرى لولا تلك النهضة، حيث نبه الناس والأجيال من بعده الى محاولة سرقة قيم الدين الحنيف وإضعافه ومن ثم قتله، واستطاعت نهضته عليه السلام وبكل فخر أن تعري الواقع التاريخي المزيف المتختم بالمؤامرات ضد آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم والخطط المتراكمة في إقصائهم عن مراتبهم الحاكمة، لكنهم ما تركوا ولايتهم على الناس لأنها منصب رباني، فعانوا ما عانوا من جراء ذلك وغايتهم سلامة الدين: [وَاللّٰهُ لَأَسْلِمَنَّ مَا سَلِمْتَ أُمُورُ الْمُسْلِمِينَ، وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا جَوْرٌ إِلَّا عَلَيَّ خَاصَّةً؛ التماساً لِأَجْرِ ذَلِكَ وَفَضْلِهِ، وَزُهْدًا فِيمَا تَنَافَسْتُمُوهُ مِنْ زُخْرَفِهِ وَزِبْرَجِهِ]¹، وعمدوا على تصفيتهم ما قاوموا، باعتبارهم قطب الدين² الأوحد وقادته وحماته، وأيقظت الأمة من سباتها ونهبتها

1 بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار، محمد باقر المجلسي (ت 1111 هـ) دار الإحياء، بيروت، 1983م، ج 29، ص 612

2 قال أمير المؤمنين في خطبته الشقشقية: "... أَنْ مَحَلِّي مِنْهَا مَحَلُّ الْقُطْبِ مِنَ الرَّحَى يَنْحَدِرُ عَنِّي السَّيْلُ وَلَا يَرْقَى إِلَيَّ الطَّيْرُ فَسَدَلْتُ دُونَهَا تَوْبًا وَطَوَيْتُ عَنْهَا كَشْحًا وَطَفَعْتُ أَرْتِي بَيْنَ أَنْ أَصُولَ بِيَدِ جَدَاءٍ [جِدًّا] أَوْ أَصْبِرَ عَلَى طَخِيَةِ [ظَلْمَةٍ] عَمِيَاءَ يَهْرَمُ فِيهَا الْكَبِيرُ وَيَشِيْبُ فِيهَا الصَّغِيرُ وَيَكْدَحُ فِيهَا مُؤْمِنٌ حَتَّى يَلْقَى رَبَّهُ فَرَأَيْتَ أَنَّ الصَّبْرَ عَلَى هَاتَا أَحَجَى فَصَبْرْتُ وَفِي الْعَيْنِ قَدَى وَفِي الْحَلْقِ شَجًّا أَرَى تُرَائِي نَهْبًا". أنظر: شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، دار الكتب العلمية، بيروت، ج 1، ص 151.

على أنه لا حرمة في القاموس الأموي لأي دم في الإسلام ولو كان دم الحسين عليه السلام.

ولا ينفصل الحديث عن نهضة الإمام الحسين عليه السلام عن المنعطفات الخطيرة التي شهدها تاريخ الإسلام السياسي بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، إذ ليس من المعقول أن تحتضر المبادئ والقيم الإسلامية في زمان الإمام الحسين عليه السلام دون أن تكون هناك علاقة وثيقة بين حجم تلك المؤامرة على الإسلام وبين تلك المنعطفات السياسية التي ألمّت به من قبل، ولو كانت الفترة ما بين الرسول وسبطه صلى الله عليه وآله وسلم مكرّسة لتعميق الخطّ المحمّدي في نفوس الأمة لما حصل هذا الانقلاب دون أن تنبس الأمة ببنت شفة، على أنّ هناك نقاط التقاء كثيرة بين أسباب نهضة الإمام الحسين عليه السلام والمنعطفات السياسية التي شهدها تاريخ الإسلام السياسي في حياة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وبعد رحيله أيضا. التي ستمتدّ طويلا. لقد تجذّرت نهضة الحسين في الوعي الجماهيري لأنها استنهضت فيهم الضمير والوجدان الديني الذي يحاول الغطاسون في الدنيا ومغرياتها على إخماده بمحاربة القيم الدينية ليتسلطوا على رقاب الناس وطموحاتهم، والتي تتعارض ومصالح هؤلاء المتجبرين الظلمة. تلك الثورة التي دخلت في أعماق الوجدان الشعبي على مدى الأجيال فكانت واعزا وحافزا لما تلاها من ثورات سجلها التاريخ. إذ لم تنقض ستّ سنوات على مصرع الحسين عليه السلام حتى حاق الجزاء بكل رجل أصابه في كربلاء، فلم يكد يسلم منهم أحد من القتل

والتتكيل مع سوء السمعة ووسواس الضمير. ولم تعمر دولة بني أمية بعدها عمر رجل واحد
مديد الأجل، فلم يتم لها بعد مصرع الحسين نيف وستون سنة! وكان مصرع الحسين هو الداء
القاتل الذي سكن في جثمانها حتى قضى عليها، وأصبحت ثارات الحسين نداء كل دولة تفتح
لها طريقاً إلى الأسماع والقلوب"¹.

وعليه فإن الذي استدعى الامام الحسين لينهض بمسؤوليته لإحياء الإسلام والعمل به
وتكريس النص من الكتاب والسنة وليس الهوى والرأي في العمل بشريعته. توعية المسلمين
لما قام به الأمويون وكشف حقيقة دورهم في تخريب العقيدة السمحاء. وذلك من إحياء العمل
بالسنة النبوية والسيرة العلوية الصحيحتان وليستا الموضوعتان من قبل وضاع الحديث الذين
اجتهد بنو أمية في البذل والعطاء لهم لأجل دفن السيرة الصحيحة ووضع البديل المحرف
عنها. ويسير بالتوازي مع ما تقدم: العمل على اصلاح المجتمع واستنهاض الأمة، وهذا ما
أعلنه حين خروجه عليه السلام فقال معلنا هدفه: "أني لم أخرج أشرا ولا بطرا ولا مفسدا ولا
ظالما وإنما خرجت لطلب الاصلاح في امة جدي صلى الله عليه وآله اريد أن أمر بالمعروف
وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدي وأبي علي ابن أبي طالب عليه السلام فمن قبلني بقبول

1 أبو الشهداء الحسين بن علي، عباس محمود العقاد، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، 2012،

الحق فالله أولى بالحق، ومن رد علي هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق وهو خير الحاكمين"¹. وكذلك انهاء استبداد بني أمية على المسلمين لظلمهم وغيهم والعبث بمقدرات الناس وممتلكاتهم يتبع ذلك تحرير إرادة الأمة من حكم القهر والتسلط والظلم والجور.

نجد أنّ الإمام الحسين عليه السلام أعطى لحركته هذه عنواناً لا تقترب السليبيات منه، فهو ليس ظالماً، لأنّه انطلق من أجل أن يرفع الظلم، وهذا هو شأنه وهذه هي رسالته، وليس مفسداً، لأنّه انطلق من أجل أن يسقط الفساد، وليس أشراً ولا بطراً، بل انطلق بعيداً عن ذاتيّاته كلّها في خطّ رسالته كلّها.

"لقد اكتشف المجتمع الإسلامي ما فيه الكفاية من عورات الحكم الأموي، وذاق طعم عذابه، وخبر ألواناً من عسفه وظلمه في الأرزاق والكرامات، وانزاحت عن بصيرته الغشاوة التي رانت عليها في أول عهد معاوية. ولم يكن يزيد في مثل تروّي أبيه وحزمه واحتياطه للأمر، ولم يلتزم أسلوب أبيه في الاحتفاظ بالغشاء الديني مُسدلاً على أفعاله وتصرفاته.

ولم يكن بين الحسن والحسين عليهما السلام من جهة وبين يزيد من جهة أخرى أي عهد أو ميثاق. وهكذا فقد انزاحت بموت معاوية ووعي المجتمع الإسلامي جميع الأسباب التي

1 بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار، محمد باقر المجلسي (ت 1111 هـ) دار الإحياء، بيروت، 1983م، ج 44، ص 329

كانت تحول بين الحسين عليه السلام وبين الثورة في عهد معاوية، وبدا الطريق إلى الثورة

على الحكم الأموي مُمهّداً أمام الحسين عليه السلام.¹

فالهدف من نهضة الحسين عليه السلام والله وحده العالم- هو لنزع الشرعية-السياسية

والدينية- عن السلطة الأموية. ولم يكن هدف أهل البيت عليهم السلام أبدا هو تولي السلطة

أو الحاكمة فإمامتهم أعظم وأجلّ من السلطة أو الحاكمة. أما حدود أهداف الحسين عليه

السلام لا يمكن أن نجزم بالقطع هي ما نكتبه ونحلله، "حينما نُريد أن نتحدّث عن أهداف

الحسين عليه السلام في ثورته، فإنّما نتحدّث في حدود فهمنا ومدى إدراكنا، وهو البعيد عن

فهم الواقعيّات والمحجوب أساساً عن الوصول إلى تلك المستويات، فنحن نتحدّث عن أقصى

ما ندركه من أمر منطقيّ ومعقول، كأطروحة مقبولة ومُحتملة في هذا الصدد، وليس كشيء

قطعيّ وناجز، ونحن نعلم أنّ ما خفي علينا من الحقّ أكثر ممّا اتّضح لنا بكثير. وخاصّة

ونحن نعرف بأنّ أقوال المعصومين وأفعالهم مُطابقة للحكمة الإلهيّة ومُساوقة للعلم الإلهي؛

لما لهم من التأييد والتسديد منه جلّ جلاله؛ ومن المعلوم أنّ الحكمة والعلم الإلهيين غير

محدودين، ونحن محدودون، ولا يُمكن للمحدود أن يُدرك اللامحدود"².

1 ثورة الحسين ظروفها الاجتماعية وآثارها الإنسانيّة، محمّد مهدي شمس الدّين، المؤسسة الدوليّة للدراسات

والنشر، بيروت، ط7، 1417 هـ، ص 134

2 أضواء على ثورة الحسين عليه السلام، محمد باقر الصدر، ص 72

فالحسين عليه السلام كان معلوماً أنه سبط الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وأنه أمام إن قام بالخلافة أو إن لم يقم بها: [الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا]¹. وكان يهدف الحسين عليه السلام ومن قبله الإمامان علي والحسن عليهما السلام من تعرية السلطة الأموية وفضحها، فكانت السلطة تسعة الى طمس الدين وقيمه وسلوكيات غريبة من أن تلبس تصرفاتها المشينة بغطاء الدين وبأساليب شتى. من شراء الذمم أو تهديدها أو القتل والتجويع والتشريد، وبالتالي كان من اللازم القيام بعمل استثنائي لتغيير المسار المنحرف وإعادة الحق الى نصابه. لقد أصبح وجود الدين والمنهج القويم مهددان، فقطعت السلطة الأموية مشواراً طويلاً في هذا الاتجاه. وكانت نهضة الحسين عليه السلام أن تقف أمام هذا الطغيان الأموي وهذا الانحدار الشديد والمتسارع بالمجتمع نحو الهاوية، والخذلان الذي ألمّ بهم والخنوع والانكسار.

كانت حركة الإمام الحسين عليه السلام من أجل تغيير الواقع الفاسد إلى واقع صالح، سواء في الجانب الثقافي في الإسلام في مسألة التصور لمفاهيم الإسلام، أو في الجانب العملي الذي يتحرك في الخطوط السياسية المنحرفة، أو في الخطوط الاجتماعية المنحرفة بعلاقات الناس مع بعضهم البعض. ولذا عتب الإمام عليه السلام فقال: أريد أن أمر بالمعروف

1 بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار، محمد باقر المجلسي (ت 1111 هـ) دار الإحياء، بيروت، 1983م، ج 44، ص 2

وأنهى عن المنكر. والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإن اختصا بالجانب العملي للناس في خط الانحراف، ولكن لما كان الجانب العملي منطلقاً من الخطأ في الجانب الثقافي، فإن الانطلاق بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يتحرك في تحديد ماهية المعروف وماهية المنكر، لمواجهة هذا المنكر على مستوى الواقع.

فكان الحسين عليه السلام صاحب المشروع الإلهي للإصلاح أن يقف متحديا السلطة الأموية وينشر بذور الإصلاح ويدعو الى تغيير الواقع الفاسد. إصلاحا دينيا وفكريا وسياسيا مهدت جميعها لانهايار السلطة الأموية الغاشمة. بأسقاط المشروعية السياسية والدينية وانهااء المدرسة الفكرية المنحرفة للنظام التي جعلها بديلا عن المدرسة النبوية الطاهرة. واستتبع ذلك وكان بالتوازي مع مشروعه الشامل هو استنهاض الأمة من خلال خطبه وكتبه ومراسلاته. ولا ننسى حركته الجغرافية عبر كثير من المدن والمنازل مما جعل الناس يتساءلون عن سبب خروجه هذا فكان عنوانا لاحتجاجه وإظهار هدفه الحقيقي لحركته هذه.

1. مقدمات النهضة

ولمّا رأى الإمام الحسين عليه السلام أمام هذا الواقع السيّئ والابتعاد عن العقيدة الحقّة واعتماد الاجتهاد بالرأي وعدم الرجوع للنص من الكتاب والسنة وتزوير أو وضع أحاديث للرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وابتكار مدارس فكرية مشوهة تحاول تغليف النصوص الشرعية بلباس آخر يمجدّ عمل الظالم ويصوره بأن السلطان الظالم لم يختر هذا الإجرام أو القهر، وإنما هو مجبور عليها!! لأن الله سبحانه وتعالى أراد له ذلك -والعياذ بالله- وسميت هذه الفكرة بالمدرسة الجبرية. وقد امتدت جذور الخوارج الأزارقة وكثر تشويهاها للشرعية السماوية وصار لها أتباع في الأمصار الإسلامية. وهناك عوامل أخرى ساعدت في الانحراف الكبير في عقيدة الناس وابتعادهم عن الشريعة السمحاء منها تمادي السلاطين بتعاليم الدين الإسلامي وقيمه فسخروا منه بممارسات مخزية وفجّة. أنّ الظروف النفسية والاجتماعية في مجتمع العراق خاصة وباقي الأمصار عامة جعلت هذا المجتمع عاجزاً عن النهوض بنفسها والرجوع الى علمائها وبالخصوص الإمام الحسين عليه السلام، كما أن مطاردة أهل البيت وعلى رأسهم الإمام الحسين عليه السلام حيث أهدر دمه إن لم يبايع يزيد بن معاوية، كما قال مروان ابعت الساعة إلى الحسين وابن الزبير فان بايعاك والا

فاضرب اعناقهما"¹، فغضب الحسين عليه السلام ورد بقوة على والي المدينة: "ويلي عليك يا بن الزرقاء، أنت تأمر بضرب عنقي، كذبت والله ولؤمت. أيها الأمير إنا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة، وبنا فتح الله وبنا ختم الله، ويزيد رجلٌ فاسق شارب الخمر، قاتل النفس المحرمة معطن بالفسق ليس له هذه المنزلة، ومثلي لا يبايع مثله، ولكن نصبح وتصبحون وننظر وتنظرون أينما أحق بالخلافة والبيعة"².

وقد يتساءل البعض: لو لم يطلب يزيد لعنه الله البيعة من الحسين عليه السلام، أو لم يرأسه أهل الكوفة، فهل كانت تقع واقعة الطف؟

لم يكن خروج الحسين انفعاليا بمعنى المزاجية -والعياذ بالله- فذلك يتنافى وعصمته عليه السلام، ومنهجه ورسالته. أما لو لم يُطلب منه المبايعة فأمره عليه السلام جارٍ وقائم تحت عنوانين وهما:

الأول: ما أخبر به عليه السلام عن جده صلى الله عليه وآله وسلم.

1 تاريخ مدينة دمشق، أبي القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر، (ت 571 هـ)، دار الفكر، بيروت، ج 28، ص 202.

2 اللهوف على قتلى الطّفوف، رضي الدين أبو القاسم علي بن موسى بن جعفر بن طاووس الحليّ (664 هـ)، دار الأسوة للطباعة والنشر، ص 98

والثاني: دوره عليه السلام الذي يحتم عليه التدخّل لمنع استمراره وإصلاح ما أفسده بنو أمية. بعدما أخلّ بنو أمية بالشريعة السماوية، والانحراف الذي ابتدأه معاوية في العقيدة، وسار عليه يزيد وأسّس لذلك المنهج المنحرف والذي يتعارض والسنة الإلهية وهذا ما يتوجّب عليه كما الأنبياء عليهم السلام في التصدي والوقوف بوجهه.

فثبت بذلك أن نهضته عليه السلام كانت فعلية لا انفعالية. فعلية ومستندة الى ثوابت الدين الحنيف وغير منفعة بردود الأفعال. ومن المستندات قوله صلى الله عليه وآله وسلم: [من رأى سلطانا جائرا مستحلا لحرم الله ناكثا عهده، مخالفا لسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغيّر عليه بفعل ولا قول كان حقا على الله أن يدخله مدخله]¹. وإعلان الحسين عليه السلام: "أني لم أخرج أشرا ولا بطرا ولا مفسدا ولا ظالما وإنما خرجت لطلب الإصلاح في امة جدي صلى الله عليه وآله اريد أن أمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدي وأبي علي ابن أبي طالب عليه السلام

1 حياة الإمام الحسين بن علي دراسة وتحليل، باقر شريف القرشي، قسم الشؤون الفكرية والثقافية، العتبة الحسينية، العراق، 2008، ج 1، ص 13

فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق، ومن رد علي هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق وهو خير الحاكمين"¹

وباختصار، فإن السنن الإلهية تقتضي بوجود مصلح إلهي، وقائد ربّاني يتصدى لأي انحراف في الشريعة المقدسة بما تدعو إليه ثوابتها الراسخة، فلا مجال للمواقف الانفعالية في نهضتهم عليهم السلام.

كما أن معاوية قد اتبع سياسة التجويع والحرمان، فضيق بالعطاء لبني هاشم ليرغم الحسين على المبايعة. فما كان من الحسين عليه السلام إلا أن يرفض بيعة يزيد ويختار تصحيح الوضع البائس الذي وصلت إليه الأوضاع بعد 60 سنة من وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم. ولقد كان هذا هو الطريق الوحيد الذي يستطيع الحسين عليه السلام أن يسلكه باعتباره صاحب رسالة قد اكتنفته هذه الظروف السيئة التي تبعث على اليأس. وبالإضافة لما مرّ أعلاه وللأسباب التالية نهض الحسين عليه السلام لتصحيح المسار: ولعلّ "أبرز مظاهر الانحراف في عهد معاوية يتمثل بالنقاط التالية:

1- تحريف مبادئ الاسلام، وايجاد البدع بغية القضاء على الإسلام.

1 بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار، محمد باقر المجلسي (ت 1111 هـ) دار الإحياء، بيروت، 1983م، ج 44، ص 329

- 2- اشاعة ثقافة الجبرية مما يجعلهم يعيشون حياة الخنوع والاستسلام.
 - 3- نهب بيت المال وانفاقه في الأهواء والمصالح الذاتية.
 - 4- افساد الاخلاق واشاعة حياة المجون.
 - 5- إحياء العصبية القبلية والقومية، والقيم الجاهلية.
 - 6- تسليم مقاليد السلطة والولاية للعناصر الفاسدة والمعروفة بسقوطها الأخلاقي، وغير المؤهلة، والتأهيل الوحيد هو انتمائهم للأمويين.
 - 7- التزييف والاعلام الكاذب.
 - 8- اعتقال وسجن وقتل الشخصيات الاسلامية البارزة والثورية التي تناصر أهل البيت.
 - 9- أخذ البيعة بالإكراه ليزيد من الناس ومن رؤساء القبائل¹.
- وقد فصل كثيرا في هذا الموضوع شمس الدين في ثورة الحسين عليه السلام وظروفها الاجتماعية، في سياسة الحكم الأموي المتمثلة بمعاوية، منها²:

1 بتصرف عن: أبعاد النهضة الحسينية، عباس الذهبي، مركز الرسالة، 1425 هـ، ص 81.
2 ثورة الحسين ظروفها الاجتماعية وآثارها الإنسانية، محمد مهدي شمس الدين، المؤسسة الدولية للدراسات والنشر، بيروت، ط7، 1417 هـ، ص 60.

أ- سياسة الإرهاب والتجويع:

تحدث "سفيان بن عوف الغامدي قال دعاني معاوية فقال: إني باعثك في جيش كثيف ذي أداة و جلادة فالزم لي جانب الفرات حتى تمر بهيت، تقطعها فإن وجدت بها جندا فأغر عليهم وإلا فامض حتى تغير على الأنبار فإن لم تجد بها جندا فامض حتى توغل في المدائن ثم أقبل إلي واتق أن تقرب الكوفة واعلم أنك إن أغرت على أهل الأنبار وأهل المدائن فكأنك أغرت على الكوفة إن هذه الغارات يا سفيان على أهل العراق ترعب قلوبهم وتفرح كل من له فينا هوى منهم وتدعو إلينا كل من خاف الدوائر فاقتل من لقيته ممن ليس هو على مثل رأيك وأخرب كل ما مررت به من القرى واحرب الأموال فإن حرب الأموال شبيهة بالقتل وهو أوجع للقلب"¹. وصورة أخرى للإرهاب: " فلم يكن البلاء أشدّ ولا أكثر منه بالعراق، ولا سيما بالكوفة، حتّى أنّ الرجل من شيعة علي عليه السلام ليأتيه من يثق به فيدخل بينه فيلقى إليه سرّه، ويخاف من خادمه ومملوكه، ولا يحدثه حتّى يأخذ عليه الأيمان الغليظة ليكتمنّ عليه. فلم يزل الأمر كذلك

1 شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، دار الكتب العلمية، بيروت، ج 2، ص 60-61

حتى مات الحسن بن علي عليهما السلام، فازداد البلاء والفتنة، فلم يبقَ أحد من هذا القبيل إلا وهو خائف على دمه، أو طريد في الأرض"¹

ب- إحياء النزعة القبلية واستغلالها:

أرسل معاوية في سنة 38 ابن الحضرمي إلى البصرة ليضرم الفتنة بين قبائلها بإثارة ذكريات حرب الجمل، وقتل عثمان، وقال له فانزل في مضر، واحذر ربيعة، وتوّد الأزد، وانع ابن عفان، وذكرهم الواقعة التي أهلكتهم، ومن لمن سمع وأطاع دنياً لا تفنى، وأثرة لا يفقدها"²

ت- التحذير باسم الدين، وشلّ الروح الثورية:

لقد رسم معاوية منهجا فكريا جديدا في وضع الرواية المزورة عن علي عليه السلام وإن "معاوية وضع قوماً من الصحابة، وقوماً من التابعين على رواية أخبار قبيحة في علي عليه السلام تقتضي الطعن فيه والبراءة منه، وجعل لهم على ذلك جُعلاً يرغب

1 شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، دار الكتب العلمية، بيروت، ج 2، ص 63
2 ثورة الحسين ظروفها الاجتماعية وآثارها الإنسانيّة، محمّد مهدي شمس الدّين، المؤسسة الدوليّة للدراسات والنشر، بيروت، ط7، 1417 هـ، ص 76.

في مثله، فاختلفوا ما أَرْضَاه. منهم: أبو هريرة، وعمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة،
ومن التابعين عروة بن الزبير¹. كما وقد هدد كل من يذكر فضائل أمير المؤمنين "
فكتب معاوية نسخة واحدة إلى عماله بعد أن برئت الذمة ممن روى شيئاً من فضل
أبي تراب وأهل بيته فقامت الخطباء في كل كورة وعلى كل منبر يلعنون عليا ويبرؤون
منه ويقعون فيه وفي أهل بيته"²

2. أسلوب النهضة

والمقصود من أسلوب النهضة هو ما رافق القيام بالنهضة من تحضيرات وإعدادات وخطوات
تسمح باستمرار النهضة وتمنع فشلها أو تعثرها في مرحلة ما. فيحتاج الى جمع المعلومات
ودراسة خطط العدو وبث العيون ودراسة نفسية المقابل وهكذا. منها ما هو واضح ومعلوم
منها كيف مسح النظام الأموي ضمائر بعض الناس من خلال رؤساء قبائلهم وعشائريهم
بالأموال مرة وبالتقريب مرة أخرى، ومن لا يطيع يهجر أو يسجن أو يمنع عنه العطاء.
وأسميت هذه المهمات بالمهمات الاستخبارية والعسكرية وتندرج تحتها عدة نقاط.

1 شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، دار الكتب العلمية، بيروت، ج 4، ص 63

2 شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، دار الكتب العلمية، بيروت، ج 11، ص 44

أ- جمع المعلومات وتحليلها:

من المؤكد أن للمعلومة دورا مهما وخطيرا. ومن خلالها تحدد القرارات وبشأنها يتم تقرير الخطوات اللاحقة بشكل عام. ومن المعلومات ما هو سلبي وأو قد تكون مغلوبة فيحتم تعدد المصادر لتأكيدھا والاعتماد عليه وبذلك يتم عزلھا وعدم الاعتماد عليها. فلا بد من تقييمها وفرزھا ومن ثم تبويبھا ليسهل الرجوع اليھا، ولابد من التأكد من انها ليست كاذبة او مبالغ فيها او مدسوسة، ولابد من معرفة مدى اهميتها وهل تمثل باباً لمعلومات اوسع واخطر، وهل تحتاج الى تنمة، وغيرها من الاسئلة التي تنتج عن اكتسابنا للمعلومة. وهنا سوف أجييب على بعض هذه الأسئلة لتسليط الضوء على ما رافق النهضة المباركة. ومن بين تحليل المعلومة أن طلب الامام الحسين عليه السلام التأكد من أهل الكوفة حينما كتبوا للحسين عليه السلام ثلاث مرات يحثونه على المجيء للكوفة، وهل يعوّل على أصحابها أم أنهم بعضهم قد كتبها خجلا من رئيس قبيلته أو طمعا بشيء معين. إما حبا بالحسين حبا عاطفيا أو ليطلب مغنما ما. فبعث ابن عنه مسلم بن عقيل ليتطلع عن قرب عن الأخبار.

انظر الى كلام الحسين عليه السلام لأهل الكوفة في دور مسلم باستقراء الموقف ومن ثم ردّ الجواب اليه بسرعة: "وانا باعث إليكم أخي وابن عمي وثقتي من أهل بيتي مسلم

بن عقيل فان كتب إلي انه قد اجتمع رأي ملئكم وذوي الحجى والفضل منكم على مثل ما قدمت به رسلكم وقرأت في كتبكم فاني أقدم إليكم وشيكا إن شاء الله تعالى" ¹ فكل الدور لمسلم في تحليل الرسائل. وبالمقابل فإن الإشاعة السلبية لها دور كبير في تخذيل الناس وتخويفهم وهذا ما فعله بن زياد واليك موقفان واضحان في ذلك الأول: حينما علمت قبيلة مذحج باعتقال هانئ بن عروة في قصر الإمارة من قبل عبيد الله بن زياد، جاءت القبيلة للاطمئنان عليه فتجمهروا حول القصر مما أربك عبيد الله بن زياد وزبانيته وأخبرهم بسلامته: "أمر شريحا القاضي أن يدخل على هاني فيشاهده ويخبر قومه بسلامته من القتل، ففعل ذلك وأخبرهم، فرضوا بقوله وانصرفوا" ²، وكان هانئ قد عدب وورمي بإحدى غرف القصر. والثاني: أكثر وضوحا وهو حينما قدم عبيد الله بن زياد ومعه عشرون نفرا وعشرة من أعيان الكوفة وعياله في قصر الإمارة، فبث إشاعة مفادها أن جيش الشام قادم وعلى الأبواب مما أثار الرعب في قلوب الناس لما رأوا من وحشيته وهمجيته في الحروب السابقة: "وبلغ الخبر إلى مسلم بن عقيل، فخرج بمن بايعه إلى حرب عبيد الله، فتحصن منه بقصر الامارة، واقتتل أصحابه وأصحاب مسلم.

1 أعيان الشيعة، محسن الأمين (ت 1371 هـ)، دار المطبوعات، بيروت، ج 1، ص 584

2 اللهوف على قتلى الطفوف، رضي الدين أبو القاسم علي بن موسى بن جعفر بن طاووس الحلي (664 هـ)، دار الأسوة للطباعة والنشر، ص 226

وجعل أصحاب عبيد الله الذين معه في القصر يتشرفون منه ويحذرون أصحاب مسلم ويتوعدونهم بجنود الشام، فلم يزلوا كذلك حتى جاء الليل. فجعل أصحاب مسلم يتفرون عنه، ويقول بعضهم لبعض: ما نضع بتعجيل الفتنة، وينبغي أن نقعد في منازلنا وندع هؤلاء القوم حتى يصلح الله ذات بينهم. فلم يبق معه سوى عشرة أنفس، ودخل مسلم المسجد ليصلي المغرب، فتفرق العشرة عنه.¹

ب- الرصد والتجسس

والعامل الثاني هو بث العيون وترصد تحركات القابل واستعداداته، وتأهبه، وحجم التسليح والعدد وما الى ذلك. وبما أن الحسين عليه السلام ومن معه وما يحملون من عتاد وذخيرة معلوم للقاصي والداني من حجم عدته وتسليحه فهي ليست ذات بال، فلا العدد ولا العدة ترهب السلطة الأموية وهم مجموعة أنفار يعدّون على أصابع اليدين وإنما المهم هي تحركاته وما يقوم به من توعية وتحريض واجتماعات وجمع الأنصار. فقد فكتب يزيد لعبيد الله بن زياد طالبا منه بثّ العيون لرصد تحركات الحسين عليه السلام: "قد بلغني ان الحسين بن علي قد فصل من مكة متوجها الى ما قبلك، فأدرك العيون عليه، وضع الارصاد

1 اللهوف على قتلى الطّفوف، رضي الدين أبو القاسم علي بن موسى بن جعفر بن طاووس الحليّ (664 هـ)، دار الأسوة للطباعة والنشر، ص 119

على الطرق، وقم افضل القيام، غير الا تقاتل الا من قاتلك، واكتب الى بالخبر في كل يوم"¹. وهذا ما فعله ابن زياد فبث العيون في الكوفة، وأحدهم مولى له من اهل الشام يسمى معقلا، استطاع أن يدخل في بيت هانئ بن عروة ليسترق السمع عن تحركات مسلم بن عقيل. وحينما قبض على هانئ واجهه عبيد الله بن زياد مع هانئ "فقال ابن زياد لهانئ بن عروه: اتعرف هذا؟ فلما رآه علم انه انما كان عينا عليهم"².

وكان للحسين عليه السلام عينا وهو أخوه محمد بن الحنفية، أبقاه في المدينة حينما خرج هو وعياله متوجها الى مكة. وطلب منه ألا يخفيه من تحركات السلطة الأموية من شيء فقال له: "وأنا عازم على الخروج إلى مكة، وقد تهيأت لذلك أنا وإخوتي وبنو أخي وشيعتي، وأمرهم أمري ورأيهم رأيي، وأما أنت يا أخي فلا عليك أن تقيم بالمدينة، فتكون لي عينا لا تخفي عني شيئا من امورهم"³.

1 الأخبار الطوال، أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري (ت 282)، دار النشر دار الكتب العلمية، بيروت، ص 242

2 اللهوف على قتلى الطفوف، رضي الدين أبو القاسم علي بن موسى بن جعفر بن طاووس الحلي (664 هـ)، دار الأسوة للطباعة والنشر، ص 116

3 بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار، محمد باقر المجلسي (ت 1111 هـ) دار الإحياء، بيروت، 1983م، ج 44، ص 329

ت - الدعوة والإعلام:

إن التوصيف سلبيًا كان أم إيجابيًا حينما يوصف به كيان فإن الغاية منه هو لتكوين رأي عام، وسلوك جمعي يضيّق أفق التشخيص في تحديد هوية ذلك الكيان. بحيث لا يرى ذلك الكيان إلا من خلال ذلك التوصيف، أما دوافع من يفعل ذلك التوصيف فهي كثيرة هي التبرير والبهتان. وأما أساليبها فهي الدعاية السلبية والإشاعة وغيرها كثير أيضا. لكن من يتقي الله ومن علم نفسه على إقامة العدل على نفسه وعلى الآخرين ليكون منصفًا، أو من يعتقد أن ستكون هناك حكومة عدل ويسعى لأن يكون من جنودها؛ حينئذ يعمل على تقزيم هذه المشكلة ومنعها.

ولمحاربة هذه الظاهرة وهذا الأسلوب أن يتقي الله في السماع وفي الآخرين، قال أمير المؤمنين عليه السلام: "أيها الناس من عرف من أخيه وثيقة دين، وسداد طريق، فلا يسمعنّ فيه أقاويل الناس. أما انه قد يرمي الرامي ويخطئ، ويحيل الكلام، وباطل ذلك بيور، والله سميع شهيد، أما إنه ليس بين الحق والباطل إلا أربع أصابع، فسئل عن معنى

هذا، فجمع أصابعه ووضعها بين أذنه وعينه، ثم قال: الباطل أن تقول سمعت، والحق أن تقول رأيت"¹.

3. التهيؤ للنهضة

عزم الحسين عليه السلام على التوجه الى كربلاء. ولكنه قبل ذلك خرج من المدينة الى مكة. فأدى العمرة وكان عليه السلام قد قام بعد خطوات متوازية، منها:

أ- استعداد الأمة لتحمل دورها ومسئوليتها:

فلا يكتفى بالعاطفة والهيجان الشعبي وإنما توافر الواعين للقضية والمنتظرين القيام بدورهم الذي فهموه ووعوه. ولذلك نرى الإمام الحسين عليه السلام لم يكتفى بالمخاطبات التي توالى عليه من أهل الكوفة تحته على القدوم، وإنما طلب من مسلم أن يكن حذرا في تحركاته ويرصد الواقع الكوفي بشكل عام وموقف الموالين بشكل خاص عن كذب ويرفع تقريره للحسين عليه السلام: "ودعا الحسين عليه السلام مسلم بن عقيل فسرحه مع قيس

1 بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار، محمد باقر المجلسي (ت 1111 هـ) دار الإحياء، بيروت، 1983م، ج 72، ص 192

بن مسهر الصيداوي وعمارة بن عبدالله السلولي وعبد الرحمن بن عبدالله الازدي، وأمره بالتقوى وكتمان أمره والल्पف، فان رأى الناس مجتمعين مستوسقين¹ عجل إليه بذلك². وكذلك فقد كتب الحسين عليه السلام الى مصر آخر وهم أهل البصرة عن طريق أشرافها يدعوهم الى نصرته ولزوم طاعته فكان موقفهم إيجابيا، فكتب يزيد بن مسعود النهشلي ردا للحسين عن موقف أهل البصرة: "بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فقد وصل إلي كتابك وفهمت ما ندبتي إليه ودعوتني له، من الاخذ بحظي من طاعتك والفوز بنصيبي من نصرتك، وإن الله لم يخل الارض قط من عامل عليها بخير أو دليل على سبيل نجاه، وأنتم حجة الله على خلقه، ووديعته في أرضه، تفرعتم من زيتونة أحمديّة، هو أصلها وأنتم فرعها، فأقدم سعديت بأسعد طائر، فقد ذللت لك أعناق بني تميم، وتركتهم أشد تتابعا في طاعتك من الابل الظماء لورود الماء يوم خمسها، وقد ذللت لك رقاب بني سعد، وغسلت درن صدورها بماء سحابة مزن حين استحل برقها فلمع"³. ولكنه لما تجهز

1 يقال: استوسق له الامر: اي امكنه

2 بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار، محمد باقر المجلسي (ت 1111 هـ) دار الإحياء، بيروت، 1983م، ج 44، ص 353

3 بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار، محمد باقر المجلسي (ت 1111 هـ) دار الإحياء، بيروت، 1983م، ج 44، ص 339

المشار إليه للخروج إلى الحسين عليه السلام بلغه قتله قبل أن يسير فجزع من انقطاعه عنه.

ب- شحذ همم القادة وتوجيههم:

للقيادة دور مهم في إنجاح المهمة. وما أن يتردد القائد أو يضعف يفرط جنوده وتتشل الخطة المرسومة. وكان الحسين عليه السلام يتابع وبعناية فائقة ما يؤديه القادة. ولناخذ مثالا. حينما توجه مسلم بن عقيل رحمه الله الى كربلاء مبعوثا من الحسين عليه السلام، بعث معه قيس بن مسهر الصيداوي، فاستأجر دليلين، فضلا عن الطريق، وأصابهما عطش شديد فعجزا عن السير، وماتا. هنا تردد مسلم بن عقيل من مواصلة الطريق فكتب للحسين عليه السلام وبعثه مع قيس بن مسهر: "أما بعد فاني أقبلت من المدينة مع دليلين لي فحازا عن الطريق فضلا، واشتد علينا العطش فلم يلبثا أن ماتا، وأقبلنا حتى انتهينا إلى الماء فلم ننج إلا بحشاشة أنفسنا، وذلك الماء بمكان يدعى المضيق من بطن الخبت، وقد تطيرت من توجهي هذا، فان رأيت أعفيتني عنه وبعثت غيري، والسلام"¹.

1 بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار، محمد باقر المجلسي (ت 1111 هـ) دار الإحياء، بيروت، 1983م، ج 44، ص 353

ولما أن رأى الحسين عليه السلام أن مسلماً قد تعثر في إكمال ما أنيط به من أول اختبار له، عنقه الحسين عليه السلام بشدة وبعث اليه قائلاً: "أما بعد فقد حسبت، ألا يكون حملك على الكتاب إلي في الاستعفاء من الوجه الذي وجهتك له إلا الجبن، فامض لوجهك الذي وجهتك فيه والسلام"¹. فاستجاب مسلم وكتب له عليه السلام قائلاً: "أما هذا فلست أتخوفه على نفسي"². وهنا تمثلت شجاعة مسلم في الاستمرار في تكليفه الذي كلفه به الحسين عليه السلام.

ت - السرية والكتمان:

لابد في بداية أي نهضة أن يكون الدعاة على حذر شديد في تبليغ الجماهير لكيلا يقعوا فريسة سهلة بيد الأعداء ويفشل عندئذ المشروع كله. ولا أقول سرية الهدف، وإنما سرية تحرك العاملين على تفعيله بين الأوساط الشعبية. "ولما سمع مسلم بن عقيل مجيء

1 بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار، محمد باقر المجلسي (ت 1111 هـ) دار الإحياء، بيروت، 1983م، ج 44، ص 353

2 بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار، محمد باقر المجلسي (ت 1111 هـ) دار الإحياء، بيروت، 1983م، ج 44، ص 353

عبيد الله إلى الكوفة، ومقالته التي قالها، وما أخذ به العرفاء والناس، خرج من دار المختار حتى انتهى إلى دار هانئ بن عروة، فأخذت الشيعة تختلف إليه في دار هانئ على تستر واستخفاء من عبيد الله، وتواصوا بالكتمان¹.

ث - المتابعة المستمرة والتوجيه بعد التخطيط:

مما يلاحظ من رسائل الحسين عليه السلام قبل خوض المعركة كان يتجاوب بسرعة مع الرسائل التي تأتيه، ولا يترك جوابه مباشرة وإنما يعطي فكرة عن رسالتهم ثم يجيب، وبعد ذلك يضع لهم الخطوة اللاحقة، ماذا يريد منهم وماذا عليهم أن يفعلوا. ففي كتابه الى أهل الكوفة يخبرهم بالمسير وما الى ذلك ثم يطلب منهم أن يجدوا بتهيئة أنفسهم من العدة والعدد وما يرافقهما من الاستعداد المعنوي والعسكري فيقول: "بسم الله الرحمن الرحيم من الحسين بن علي إلى إخوانه المؤمنين والمسلمين سلام عليكم فاني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو أما بعد فان كتاب مسلم بن عقيل جاءني يخبرني فيه بحسن رأيكم ، واجتماع ملائكم على نصرنا والطلب بحقنا ، فسألت الله أن يحسن لنا

1 بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار، محمد باقر المجلسي (ت 1111 هـ) دار الإحياء، بيروت، 1983م، ج 44، ص 342

الصنيع ، وأن يثيبكم على ذلك أعظم الاجر ، وقد شخصت إليكم من مكة يوم الثلاثاء¹،
لثمان مضي من ذي الحجة يوم التروية ، فاذا قدم عليكم رسولي فانكمشوا في أمركم
وجدوا فاني قادم عليكم في أيامي هذه والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته"². لكن هذا الكتاب
لم يصل لأهل الكوفة لأن حامله قتل.

4. عناصر المنهج النهضوي عند الحسين عليه السلام:

لابد أن نحدد أولاً أهم عناصر المنهج النهضوي عند الامام الحسين عليه السلام لنرى
بعد ذلك كيف نهض الامام القائد به، وكيف ربي أنصاره وسيرهم عليه، ويمكننا أن نحدد
أهم العناصر الأساسية لهذا المنهج بالآتي:

أ- شخصية القائد

لكاريزما القادة دور مهم في التصاق الأتباع بهم. وإن قدرتهم على التفكير
الاستراتيجي والتركيز على المدى الطويل أثناء تنفيذ كل خطوة من خططهم بعزم ودقة
تجعلهم قادة أعمال أقوياء. حيث إن القادة يدفعون أنفسهم لتحقيق أهدافهم من خلال

1 هكذا في المصدر

2 بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار، محمد باقر المجلسي (ت 1111 هـ) دار الإحياء،
بيروت، 1983م، ج 44، ص 370

قوة الإرادة في المواقف التي قد يستسلم فيها الآخرون، ونتيجة مهاراتهم الاجتماعية واندفاعهم لأن يكونوا أسوة حسنة فأنهم سيدفعون الآخرين معهم ليحققوا معًا نتائج مذهلة في النهاية. وهناك أمر آخر وهو أنهم ليسوا عاطفيين بل أن يفكرون مليا ويستخدمون أدوات التفكيرين المنطقي والتحليلي. ولأنهم منفتحون اجتماعيًا، فإن بُعد شخصيات القادة عن عواطفهم هو صفة عامة يمكن لكثير من الناس الشعور به مباشرة. وخاصة في بيئة العمل. إن شخصيات القادة قوية بحق، ويحاولون دائما أن يكونوا أكبر من الحياة نفسها. ولأخلاقهم العالية ولنفاذ بصيرتهم تزداد ثقة الاتباع في رئيسهم ثقة كاملة، وقبولهم له قائدا غير مشروط، وبذلك يظهر ولاء الأتباع لزعيمهم بشكل كامل ويسلموا بكل طاعتهم وحماسهم وانفعالاتهم وطموحاتهم لقائدهم.

وأهل البيت تميزوا بقوة الشخصية وانسيابيتها بين الناس فتغمر قلوبهم المحبة والتعلق بهم لصدقهم ولين عريكتهم ولشدة صبرهم وفصاحتهم واخلاصهم وحبهم للإنسان خلوصا لوجه الله تعالى ولكرمهم وجودهم وعطائهم فهذا رسول الله يوجهه سبحانه وتعالى مخاطبا إياه: {فِيمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ}¹. وأهل البيت عليهم

السلام إنما هم من مدرسة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وهم ذوو مكارم الأخلاق ومن دعائها بين الناس فرسول الله قد امتدحه الله سبحانه وتعالى: {وَأِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ} ¹. والحسين عليه السلام وهو سبط رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهو ابن أمير المؤمنين وفاطمة الزهراء وأخو الحسن عليه السلام.

1. الحوار بين الحسين عليه السلام والحر بن يزيد الرياحي

ومن خلق الحسين عليه السلام في حوار مع الحر حينما اعترضه غمر قلبه حبا وتعلقا وكان يخاطبه وهو قائد في جيش عبيد الله بن زياد بابن رسول الله. وسأعرض هذا الحوار بينهما:

قال الحسين عليه السلام للحر: ألنا أم علينا؟

فقال: بل عليك يا أبا عبدالله .

فقال: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

ثم ترادًا القول بينهما، حتى قال له الحسين: فإذا كنتم على خلاف ما أتتني به كتبكم وقدمت به علي رسلكم، فإني أرجع إلى الموضع الذي أتيت منه. فمنعه الحر

وأصحابه من ذلك، وقال: لا، بل خذ يا بن رسول الله طريقاً لا يدخلك الكوفة ولا يوصلك إلى المدينة لأعتذر إلى ابن زياد بأنك خالفتي الطريق. قال: فورد كتاب عبيد الله بن زياد إلى الحر يلومه في أمر الحسين عليه السلام، ويأمره بالتضييق عليه. فعرض له الحر وأصحابه ومنعوه من المسير. فقال له الحسين: ألم تأمرنا بالعدول عن الطريق؟ فقال الحر: بلى، ولكن كتاب الأمير عبيد الله بن زياد قد وصل يأمرني فيه بالتضييق عليك، وقد جعل علي عينا يطالبني بذلك.

ثم أن الحسين عليه السلام قام وركب، وصار كلما أراد المسير يمنعونه تارةً ويسايرونه أخرى، حتى بلغ كربلاء، وكان ذلك في اليوم الثاني من المحرم... نزلوا جميعاً، ونزل الحر وأصحابه ناحية، وجلس الحسين عليه السلام يصلح سيفه.

ولم تكن عند الحر تلك الجلفة والغلاظة كما لأزلام عبيد الله بن زياد، ولأحد أسبابها أنه يعد من رؤساء الكوفة وأشرفها، ولذلك نجده لم يمانع من الصلاة خلف الإمام الحسين عليه السلام وهو المكلف عسكرياً باصطحابه للكوفة وأن الحسين عليه السلام بتصنيف ابن زياد من الخارجين على يزيد وعليه الحد والعقاب. ومما حدث أنه عند صلاة الظهر قال الحسين عليه السلام للمؤذن: "أقم فأقام الصلاة

فقال للحر: أتريد ان تصلي بأصحابك؟ قال: لا بل تصلي أنت ونصلي بصلاتك،

فصلى بهم الحسين عليه السلام¹.

وقد بدا من خلال الحوار بين الحسين عليه السلام والحر. أن الحر لم يكن يعلم بأن أهل الكوفة قد كاتبوا الحسين يحثوه على القدوم وعلى الأقل برأ نفسه وأنه لم يكتب. وبعدها أخبره الحر بأن يأخذ الحسين للكوفة بأمر من عبيد الله بن زياد، فرفض الحسين وقال للحر: " ثكلتك أمك ما تريد؟ فقال له الحر: أما لو غيرك من العرب يقولها لي وهو على مثل هذه الحال التي أنت عليها ما تركت ذكر أمه بالثكل كائنا من كان، ولكن والله ما لي إلى ذكر أمك من سبيل الا بأحسن ما يقدر عليه².

واقترح على الحسين عليه السلام أن يختار طريقا لا يدخله للكوفة ولا يرده للمدينة ويكون بينهما نصفا. ويبدو أن الحر بدأ يراجع نفسه وبدأ يقلب الأمور وما جدوى هذه المعركة ويريد ألا يورط نفسه بها. فقال للحسين: "حتى أكتب إلى ابن زياد وتكتب إلى يزيد ان شئت أو إلى ابن زياد ان شئت فلعل الله أن يأتي بأمر

1 أعيان الشيعة، محسن الأمين (ت 1371 هـ)، دار المطبوعات، بيروت، ج 4، ص 612

2 أعيان الشيعة، محسن الأمين (ت 1371 هـ)، دار المطبوعات، بيروت، ج 4، ص 612

يرزقني فيه العافية من أن أبتلي بشيء من أمرك، فخذها هنا فتياسر عن طريق العذيب والقادسية. فتياسر الحسين عليه السلام وبينه وبين العذيب ثمانية وثلاثون ميلا وسار والحر يسايره. فقال له الحر: اني أذكرك الله في نفسك فاني أشهد لئن قاتلت لتقتلن ولئن قوتلت لتهلكن فيما أرى. فقال له الحسين عليه السلام: أقبال موت تخوفني؟ وهل يعدو بكم الخطب ان تقتلوني؟¹.

وحينما سار الركب الى منطقة عذيب الهجانات أقبل أربعة أشخاص من الكوفة لنصرة الحسين ومعهم دليلهم الطرماح، فاتوا إلى الحسين وسلموا عليه، "فاقبل الحر وقال: ان هؤلاء النفر الذين جاءوا من أهل الكوفة ليسوا ممن أقبل معك وانا حابسهم أو رادهم. فقال الحسين عليه السلام: لأمنعهم مما أمنع منه نفسي! انما هؤلاء أنصاري وأعواني، وقد كنت أعطيتني ان لا تعرض لي بشيء حتى يأتيك جواب عبيد الله؟ فقال: اجل لكن لم يأتوا معك. قال: هم أصحابي وهم بمنزلة من جاء معي فان بقيت على ما كان بيني وبينك والا ناجزتك. فكف عنهم الحر"² وهنا كان الحر بارًا بوعدده، فلم ينكث العهد الذي قطعه للحسين عليه السلام.

1 أعيان الشيعة، محسن الأمين (ت 1371 هـ)، دار المطبوعات، بيروت، ج 4، ص 613

2 أعيان الشيعة، محسن الأمين (ت 1371 هـ)، دار المطبوعات، بيروت، ج 4، ص 613

2. توبة الحر وميله للحسين عليه السلام:

وحيثما قدم عمر بن سعد ومعه أربعة آلاف وانضم إليه الحر ومن معه فأصبحوا خمسة آلاف. وحيثما استشف الحر أن عمر قادم لمقاتلة الحسين عليه السلام قتالا أيسره ان تسقط الرؤوس وتطيح الأيدي. وتبادلا الحوار ولم يثن عمر بن سعد عن موقفه في مقاتلة الحسين عليه السلام. وتأكد تماما أن لا مناص من القتال. وهنا قرر الحر أن يحسم موقفه وينتهي الى أحد الأمرين الذين شغلاه لفترة طويلة أن يكون مع بن سعد أو مع الحسن عليه السلام. وقرر أن يمضي مع الحسين عليه السلام.

فاخذ الحر يدنو من الحسين قليلا قليلا، فأخذته رعدة كعدة الحمى. ومن المعلوم عند أهل الكوفة أن الحر من أشجع فرسان أهل الكوفة. "فقال اني والله أخير نفسي بين الجنة والنار ووالله لا أختار على الجنة شيئا ولو قطعت وحرقت، ثم ضرب فرسه قاصدا إلى الحسين عليه السلام ويده على رأسه وهو يقول: اللهم إليك أنيب فتب على فقد أرعبت قلوب أوليائك وأولاد بنت نبيك، فلما دنا منهم قلب ترسه فقالوا: مستأمن، حتى إذا عرفوه سلم على الحسين وقال: جعلني الله فداك يا

ابن رسول الله! أنا صاحبك الذي حبستك عن الرجوع وسائرتك في الطريق وجعجت

بك في هذا المكان!"¹

وبرّر الحر سبب جعجعته بالحسين عليه السلام وركبه، وهذا ما يجب على
الإنسان إن كان في حيرة من أمره ويريد أن يختار أحدهما أن يتحرى جيدا ويدرس
الموضوع من جميع جوانبه باستكمال المعرفة والاحاطة بالعلم لكي يتخذ القرار
الصائب، والحر ما اتخذ قراره هذا إلا بعدما علم من الحسين عليه السلام أن أهل
الكوفة طلبوا قدومه وأراه كتبهم، وعلم من إصرار عمر بن سعد على قتل الحسين
عليه السلام والأمر متخذ مسبقا من ابن زياد، فقال الحر: "والله الذي لا إله إلا هو
ما ظننت ان القوم يردون عليك ما عرضته عليهم ابدا ولا يبلغون منك هذه المنزلة
فقلت في نفسي: لا أبالي أن أصانع القوم في بعض أمرهم ولا يظنون اني خرجت
من طاعتهم واما هم فسيقبلون من حسين هذه الخصال التي يعرض عليهم، والله
لو ظننتهم لا يقبلونها منك ما ركبتها منك، واني قد جئتك تائبا مما كان مني إلى
ربي ومواسيا لك بنفسي حتى أموت بين يديك، فهل ترى لي من توبة. قال: نعم!
يتوب الله عليك ويغفر لك فانزل. قال: أنا لك فارسا خير مني راجلا أقاتلهم على

1 أعيان الشيعة، محسن الأمين (ت 1371 هـ)، دار المطبوعات، بيروت، ج 4، ص 613

فرسي ساعة والى النزول ما يصير آخر أمري قال: فاصنع يرحمك الله ما بدا

لك.؟¹

لقد مرّ الحرّ بتفكير عميق ناقد لمجريات الأحداث واستخلص أن الاصطفاف مع الحسين عليه السلام هي الكفة الراجحة ليس بالمغانم وإنما لنصرة الحق والعدل ودفعته مروءته وشجاعته وتربيته أن يميل الى الحسين عليه السلام. مما سبب في تخفيف الروع في قلوب نساء الحسين عليه السلام وصبياناه، ورفع معنويات أصحاب الحسين عليه السلام.

3. زهير بن القين العثماني الهوى مع الحسين عليه السلام

"زهير بن القين: شخصية بارزة في المجتمع الكوفي، ويبدو أنه كان كبير السن عند لحوقه بالحسين عليه السلام"². يقول أصحاب السير والمؤرخون: "وكان قد حج في السنة التي خرج فيها الحسين إلى العراق فلما رجع من الحج جمعه الطريق مع الحسين عليه السلام، فكان زهير وجماعته يسايرون الحسين عليه السلام فلم

1 أعيان الشيعة، محسن الأمين (ت 1371 هـ)، دار المطبوعات، بيروت، ج 4، ص 613

2 اللهوف على قتلى الطفوف، رضي الدين أبو القاسم علي بن موسى بن جعفر بن طاووس الحلي

(664 هـ)، دار الأسوة للطباعة والنشر، ص 132

يكن شيء أبغض إليه من أن يسير معه في مكان واحد أو ينزل معه في منزل واحد فإذا سار الحسين عليه السلام تخلف زهير بن القين وإذا نزل الحسين عليه السلام تقدم زهير حتى نزلنا يوما في منزل لم نرد بدا من أن ننازله فيه فنزل الحسين عليه السلام في جانب ونزلوا في جانب. وبينما كانوا يتغدون جاءهم رسول الحسين عليه السلام فسلم وقال "يا زهير بن القين ان أبا عبد الله الحسين بعثني إليك لتأتيه. فطرح كل انسان منا ما في يده حتى كان على رؤوسنا الطير كراهة ان يذهب زهير إلى الحسين. فإنهم كانوا عثمانية¹ يبغضون الحسين وأباه قال أبو مخنف: فحدثتني دلهم بنت عمرو امرأة زهير قالت فقلت له سبحان الله أبيعك إليك ابن رسول الله ثم لا تأتيه فلو أتته فسمعت من كلامه ثم انصرفت. فاتاه زهير بن القين فلما لبث ان جاء مستبشرا قد أشرق أسفر وجهه فامر بفسطاطه وثقله ورحله ومتاعه فقوض وحمل إلى الحسين ثم قال لي أنت طالق الحقي باهلك فاني لا أحب ان يصيبك بسببي الا خير ثم قال لأصحابه من أحب منكم ان يتبعني والا فإنه آخر العهد"².

1 سياسيا عثمانيو الهوى، نسبة الى عثمان بن عفان. "ويطلق على من يعتقد مظلومية عثمان، وأنه قتل شهيدا مظلوما محتسبا!! ويتفجر حقدا وغیظا وعداوة لأمير المؤمنين علي عليه السلام باعتباره معينا على قتل عثمان!! ومطلوبا بدمه هو وأولاده، ويوالي بني أمية ولاء مطلقا لأنهم الطالبون بدم عثمان." أنظر:

زهير بن القين، علي أشرف، دار الأنصار، إيران، 1429 هـ. ص 161

2 أعيان الشيعة، محسن الأمين (ت 1371 هـ)، دار المطبوعات، بيروت، ج 7، ص 71

فإن صحّت هذه الرواية فذلك يعود لقوة شخصية الإمام الحسين عليه السلام وتمكنه من قوة الإقناع والقاء الحجة تلو الحجة لما استطاع من "تغيير زهير من عثمانيته الى علويته"¹ واستشهاده بين يدي الحسين عليه السلام. ولكن هناك² من يفند هذه المزاعم كلها من ناحية توقيتات المسير والخروج من مكة، والأهم منها جميعا ميوله السياسية بأن هواه عثمانيا وأنه " يكره النزول معه، ولكن الماء جمعهم في المكان"³ ويحقق في أنها ليست إلا تهمة اتهموه بها الأمويون؛ جزءا من إعلامهم البغيض ضد الحسين عليه السلام ونهضته، وذلك نقلا عن عدوه عزرة بن قيس الذي كان على خيل ابن سعد لعنهما الله.

ب- الوعي والتبصّر ووضوح الرؤية والهدف:

كما هم الأنبياء والمصلحون كذلك كان هدف الإمام الحسين عليه السلام هو تحرير الإنسان من قيود الوضع الاجتماعي الفاسد، تخليصه من الظلم، والعقيدة المنحرفة، ولبناء مجتمع صالح على أنقاض ذلك الوضع المتردي. وهذا ما

1 موسوعة كربلاء، لبيب بيضون، مؤسسة الأعلمي، ج 1، ص 555

2 زهير بن القين، علي أشرف، دار الأنصار، إيران، 1429 هـ. ص 15

3 موسوعة كربلاء، لبيب بيضون، مؤسسة الأعلمي، ج 1، ص 555

نستخلصه مما كتبه في وصيته لأخيه محمد بن الحنفية إذ يقول: "أني لم أخرج أشرا ولا بطرا ولا مفسدا ولا ظالما وإنما خرجت لطلب الاصلاح في امة جدي صلى الله عليه وآله اريد أن أمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدي وأبي علي ابن أبي طالب عليه السلام فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق، ومن رد علي هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق وهو خير الحاكمين"¹.
فالفكرة والهدف هما واحد وقد نشرها الحسين عليه السلام في كتبه على البصرة والكوفة وبكل وضوح من غير إرباك أو تشويش.

ومما كتب للبصرة يدعوهم للالتحاق به حدد الدعوة في أحياء سنة محمد صلى الله عليه وآله وسلم والرجوع الى دين الله عز وجل بعدما عمل معاوية ويزيد على حرفها عن مسارها القويم والعبث باسم الدين بمقدرات الناس فقال: "إني أدعوكم إلى الله وإلى نبيه، فان السنة قد اميتت، فان تجيبوا دعوتي، وتطيعوا أمري أهدكم سبيل الرشاد"². لقد كان الحسين عليه السلام واضحا صريحا بخطته وهدفه منذ

1 بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار، محمد باقر المجلسي (ت 1111 هـ) دار الإحياء، بيروت، 1983م، ج 44، ص 329

2 بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار، محمد باقر المجلسي (ت 1111 هـ) دار الإحياء، بيروت، 1983م، ج 44، ص 340

لمقاتلته عمرو بن حريث المخزومي ومحمد بن الأشعث في سبعين رجلا حتى أطافوا بالدار، وعجزوا عن قتله بعدما قتل منهم رجالا كثيرا. ما أغاظ ابن زياد فوبخهما، ردّ عليه محمد بن الأشعث واصفا مسلم بن عقيل رحمه الله: "أيها الأمير: أتظن أنك بعثتني إلى بقال من بقال الكوفة، أو إلى جرمقاني¹ من جرامقة الحيرة؟ أو لم تعلم أيها الامير أنك بعثتني إلى أسد ضرغام، وسيف حسام، في كفّ بطل همام، من آل خير الانام. كما وقد وصفه غيره فقال كان مثل الاسد، وقال آخر: لقد كان من قوته أنه يأخذ الرجل بيده، فيرمي به فوق البيت"².

وهذا قيس بن مسهر الصيداي حينما أقبل على الكوفة حاملا كتاب³ الحسين عليه السلام، اعترضه الحصين بن نمير ليفتشه فأخرج (قيس) الكتاب ومزقه، فحملة الحصين إلى ابن زياد ، فلما مثل بين يديه قال له : من أنت؟ قال : أنا

1 الجرامقة: قومٌ من العجم صاؤوا بالمؤصل في أوائل الإسلام، وجرامقة الشام أنباطها الواحد منهم جرمقاني وهذا كالأسم الخاص. أنظر: تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي (ت 1205هـ)، دار الهداية، مادة جرمق.

2 بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار، محمد باقر المجلسي (ت 1111 هـ) دار الإحياء، بيروت، 1983م، ج 44، ص 354

رجل من شيعة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وابنه عليهما السلام قال :
فلماذا خرقت الكتاب؟ قال: لئلا تعلم ما فيه ، قال : وممن الكتاب وإلى من؟ قال
: من الحسين بن علي إلى جماعة من أهل الكوفة لا أعرف أسماءهم ، فغضب
ابن زياد فقال : والله لا تفارقني حتى تخبرني بأسماء هؤلاء القوم أو تصعد المنبر
وتلعن الحسين بن علي وأباه وأخاه وإلا قطعك إربا إربا، فقال قيس: أما القوم فلا
اخبرك بأسمائهم، وأما لعنة الحسين وأبيه وأخيه فأفعل، فصعد المنبر وحمد الله
وصلى على النبي وأكثر من الترحم على علي وولده صلوات الله عليهم ثم لعن
عبيد الله بن زياد وأباه ولعن عتاة بني امية عن آخرهم، ثم قال: أنا رسول الحسين
إليكم وقد خلفته بموضع كذا فأجيبوه"¹

2. الانفتاح على قاداته والعمل معهم كفريق واحد:

لقد دأب الحسين عليه السلام على تبادل الرأي مع قواده وينتهي به الأمر للتنفيذ
واتخاذ القرار عملا بالآية الشريفة: **لَوْ شَاوَرَهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى**

1 اللهوف على قتلى الطفوف، رضي الدين أبو القاسم علي بن موسى بن جعفر بن طاووس الحلي
(664 هـ)، دار الأسوة للطباعة والنشر، ص 136

اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ¹. ولتأخذ كلام الحسين عليه السلام حينما أخبر أصحابه لما اعترضه الحر بن يزيد الرياحي ليضع أصحابه بالموقف الأخير فقال: "إنه قد نزل بنا من الأمر ما قد ترون، وإن الدنيا قد تنكرت وتغيرت وأدبر معروفها واستمرت جذاء، ولم يبق منها إلا صباغة كصباغة الإناء، وخسيس عيش كالمرعى الوبيل، ألا ترون إلى الحق لا يعمل به، وإلى الباطل لا يتناهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء ربه محققاً، فإنني لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا برماً"².

وأخبرهم بما سيجري له ولهم حينما وصل أرض كربلاء بعدما سأل ما اسمها فقال وكلامه عن الجميع: "انزلوا، ها هنا والله محط ركابنا وسفك دماننا، ها هنا والله مخط قبورنا، وها هنا والله سبي حريمنا، بهذا حدثني جدي"³ فنزلوا جميعاً، ولم يتزلزل إيمان أحدهم أو يعتذر عن المواصلة مع الحسين عليه السلام.

1 آل عمران 159

2 اللهوف على قتلى الطفوف، رضي الدين أبو القاسم علي بن موسى بن جعفر بن طاووس الحلي (664 هـ)، دار الأسوة للطباعة والنشر، ص 138

3 اللهوف على قتلى الطفوف، رضي الدين أبو القاسم علي بن موسى بن جعفر بن طاووس الحلي (664 هـ)، دار الأسوة للطباعة والنشر، ص 139

وفي ليلة عاشوراء جمعهم الحسين عليه السلام وخاطبهم بكل صراحة وقال:
"أما بعد، فإني لا أعلم أصحاباً خيراً منكم، ولا أهل بيتٍ أفضل وأبر من أهل
بيتي، فجزاكم الله عني جميعاً خيراً، وهذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً، وليأخذ
كل رجلٍ منكم بيد رجلٍ من أهل بيتي، وتفرقوا في سواد هذا الليل وذروني
وهؤلاء القوم، فإنهم لا يريدون غيري"¹

1 اللهوف على قتلى الطفوف، رضي الدين أبو القاسم علي بن موسى بن جعفر بن طاووس الحلي
(664 هـ)، دار الأسوة للطباعة والنشر، ص 151

ت- الاستعداد العالي للتضحية:

لا يمكن أن ينجح أي مشروع إن لم يقم به من يؤمن به ويضحي لأجله بوقته أو ماله أو نفسه أو ما يملك بعضها أو كلها. ونتلمّس ذلك في أصحاب الحسين عليه السلام. فنرى أصحاب الحسين عليه السلام حينما انتهى كلامه قائلاً: "فإني لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا برماً"، أجابه الأبطال الأشاوس واحداً تلو الآخر. "فقام زهير بن القين، فقال: لقد سمعنا هداًنا الله بك يا بن رسول الله مقاتلك، ولو كانت الدنيا لنا باقية وكنا فيها مخلدين لأثر النهوض معك على الإقامة فيها. قال: ووثب هلال بن نافع البجلي، فقال: والله ما كرهنا لقاء ربنا، وإنا على نياتنا وبصائرنا، نوالي من والاك ونعادي من عاداك. قال: وقام برير بن حصين، فقال: والله يا بن رسول الله لقد من الله بك علينا أن نقاتل بين يديك فنقطع فيك أعضاؤنا، ثم يكون جدك شفيعنا يوم القيامة.

ث- الانضباط التام.

لقد تميز أنصار الحسين عليه السلام بالالتزام العسكري والمياني لذوبانهم بالحسين عليه السلام إماماً وقائداً وحبیباً. فكانوا نعم الأصحاب هم. فكان كلامه واحداً ليلة العاشر من المحرم إذ جمعهم وقال لهم بعدما خبرهم وجربهم خلال صحبتته

له وما مروا به من ظروف قاسية وما تحملوه من متاعب وقهر وعطش وتهديد وتخويف فما استكانوا أو وهنوا بل قويت شكيمتهم واشتد ساعدهم وقويت قلوبهم. فقال لهم الحسين عليه السلام: " أما بعد، فإنني لا أعلم أصحاباً خيراً منكم، ولا أهل بيتٍ أفضل وأبر من أهل بيتي، فجزاكم الله عني جميعاً خيراً"¹. وحينما سمعوا منه أن خيرهم بالذهاب لينجوا بأنفسهم لأنه هو المطلوب فلماذا يعرضوا أنفسهم للموت: "وهذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً، وليأخذ كل رجلٍ منكم بيد رجلٍ من أهل بيتي، وتفرقوا في سواد هذا الليل وذروني وهؤلاء القوم، فإنهم لا يريدون غيري، ثم نظر إلى بني عقيل، وقال: حسبكم من القتل بصاحبكم مسلم، اذهبوا فقد أذنت لكم"². ثم انبرى واحد بعد الآخر بحديث يظهر طاعتهم والتزامهم وواجبهم وتكليفهم الشرعي الذي أملا عليهم البقاء معه والذود عنه وعن عياله ومحاربة الظلم والجور.

"فقال له إخوته وأبناؤه وأبناء عبد الله بن جعفر: ولم نفعل ذلك، لنبقي بعدك! لا

أرنا الله ذلك أبداً، وبدأهم بهذا القول العباس بن علي، ثم تابعوه. وقال آخرون: لا

1 اللهوف على قتلى الطفوف، رضي الدين أبو القاسم علي بن موسى بن جعفر بن طاووس الحلي (664 هـ)، دار الأسوة للطباعة والنشر، ص 151.

2 اللهوف على قتلى الطفوف، رضي الدين أبو القاسم علي بن موسى بن جعفر بن طاووس الحلي (664 هـ)، دار الأسوة للطباعة والنشر، ص 152.

والله يابن رسول الله لا نفارقك أبداً، ولكننا نفيك بأنفسنا حتى نقتل بين يديك ونرد
موردك، فقبح الله العيش بعدك. ثم قام مسلم بن عوسجة، وقال: نحن نخليك هكذا
وننصرف عنك وقد أحاط بك هذا العدو، لا والله لا يراني الله أبداً وأنا أفعل ذلك
حتى أكسر في صدورهم رمحي وأضربهم بسيفي ما ثبت قائمة بيدي، ولو لم يكن
لي سلاح أقاتلهم به لقدفتهم بالحجارة، ولم أفارقك أو أموت دونك. وقام سعيد بن
عبدالله الحنفي فقال: لا والله يابن رسول الله لا نخليك أبداً حتى يعلم الله أنا قد
حفظنا فيك وصية رسوله محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ولو علمت أنني أقتل فيك
ثم أحيى ثم أحرق حياً ثم أذرى يفعل بي ذلك سبعين مرة ما فارقتك حتى ألقى
حمامي من دونك، فكيف وإنما هي قتلة واحدة ثم أنال الكرامة التي لا انقضاء لها
أبداً؟! ثم قام زهير بن القين وقال: والله يابن رسول الله لو ددت أنني قتلت ثم نشرت
ألف مرة وأن الله يدفع بذلك القتل عنك وعن هؤلاء الفتية من إخوتك وولدك وأهل
بيتك.

قال: وتكلم جماعة من أصحابه بمثل ذلك وقالوا: أنفسنا لك الفداء نقيك بأيدينا

ووجوهنا، فإذا نحن قتلنا بين يديك نكون قد وفينا لربنا وقضينا ما علينا"¹

لقد أظهروا التزامهم وطاعتهم المتناهية للإمام الحسين عليه السلام وفدوه بأرواحهم

لأجل انجاز النهضة الحسينية ولم يعيروا لأرواحهم أهمية بقدر اهتمامهم بالحسين قيادة

وإمامة ومشروعاً للنهوض بالأمّة لتخليصها من براثن الظلم والجور والطغيان.

لقد اجتمع أصحاب الحسين عليه السلام على خط واحد وهدف واحد هو النهوض

بمسئوليته الشرعية في إصلاح ما أفسده بنو أمية. وهذا الإصلاح يستوجب قيادة

حكيمّة تمثلت بالحسين عليه السلام وعاونه أصحابه رضوان الله عليهم. هذه القيادة

وعدت بشكل دقيق تلك الانحرافات الخطيرة، وهي تدرك أيضاً ضوابط العملية

الإصلاحية وتعرف بما لديها من خبرات تراكمية أهداف العمل الإصلاحي، وهي

بالتأكيد مستعدة أن تدفع ثمن ذلك الإصلاح. ولقد جادت بنفسها ثمناً لتلك العملية

الإصلاحية وأعلنت للأجيال أن الانحراف لا يجب أن يستمر، ولا بد من رجل يصلحه

1 اللهوف على قتلى الطّفوف، رضي الدين أبو القاسم علي بن موسى بن جعفر بن طاووس الحنّي

(664 هـ)، دار الأسوة للطباعة والنشر، ص 153

الدكتور أحمد الصفار.....الفتح المبين الى المهدي من الحسين ع

مهما طال الزمن لحض الباطل وازهاقه، وإعلاء كلمة الحق والانتصار للعدل ضد
الظلم.

